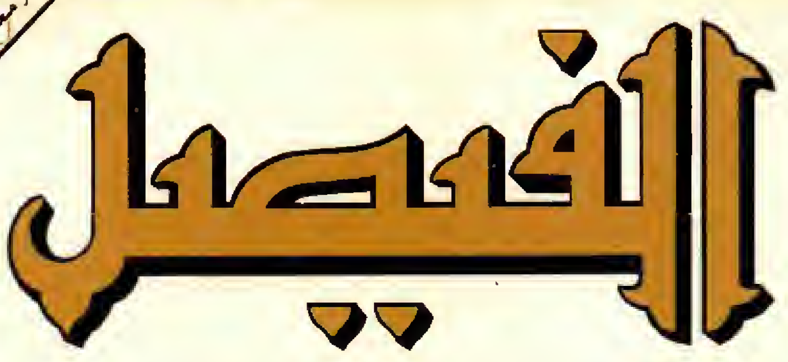
غير مخصص للبيع



مجلة ثقافية شهرية - العدد ٢٦٥ - رجب ١٤١٩هـ - أكتوبر / نوفمبر ١٩٩٨م

AL-FAISAL MAGAZINE - ISSUE 265 - OCT/NOV. 1998

Mngool. com





www.ahlaltareekh.com

صدر حديثاً عن

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض:



الطبعة الكاملة من:

طبقات القراء

في ثلاثة أجزاء

تأليف:

الإمام شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي

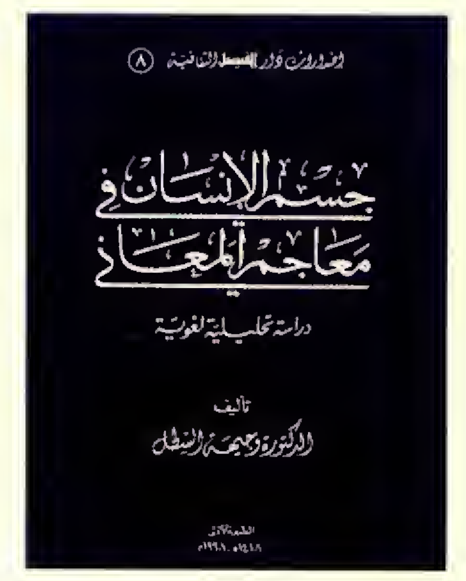
تحقيق: **الدكتور أحمد خان**

الشيخ مصطفى صبري وموقفه من الفكر الوافد

تأليف: **الدكتور مفرح بن سليمان القوسي**

كما صدر حديثاً

عن دار الفيصل الثقافية:

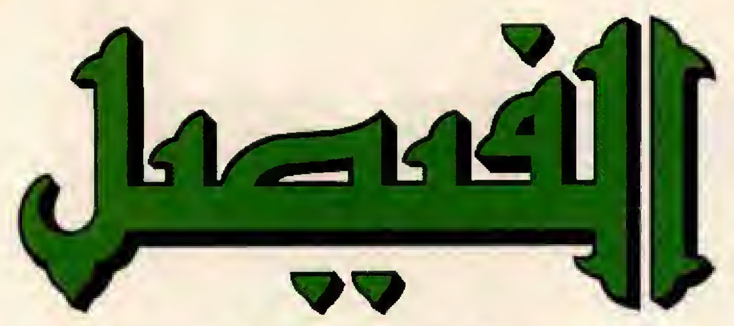


جسم الإنسان في معاجم المعاني

دراسة تحليلية لغوية

تأليف: **الدكتوره وجيهة السطل**

www.ahlaltareekh.com



مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ملاحظات عامة :

مع تقديرنا لكل من يسهم في الكتابة في المجلة، فإننا نرجو من كُتّابنا الكرام أن يضعوا في حسبانهم الملاحظات التالية:

١ ـ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

٢ ـ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

٣ ـ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

٤ ـ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه، الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة، إضافة إلى صورة ملونة حديثة.

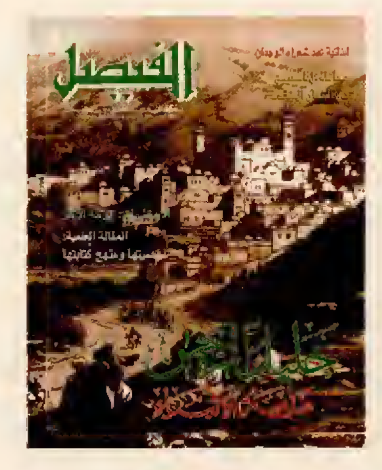
٥ ـ الموضوعات المنشورة في هذه المجلة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

العنوان ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية
هاتف ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٤٧٨٨٤ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

ردمد ١١٤٠ ـ ٠٢٥٨ رقم الإيداع ١٤/٠٥٤٢

الاشتراكات السنوية :
للأفراد ١٥٠ ريال سعودي، للمؤسسات ٢٥٠ ريال سعودي.

الإعلانات :
يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.



عن العدد الماضي

اطلعت على العدد ٢٦٤ من مجلة «الفيصل»، وكالعادة كان البدء بإطلالة العدد، إلا أنها كانت تخبئ لي مفاجأة هذه المرة، وهي تلك الكلمة الوداعية لرئيس التحرير د. زيد الحسين التي جاءت تحمل أرقع المشاعر النبيلة، وأسمى العواطف الصادقة للزملاء والقراء. ومع أنه عبّر عنها بصدق وعفوية، إلا أنه جعل عنوانها: «كلمة مع عجزي عن التعبير»؛ فأي عجز هذا الذي عناه وقد جاء أسلوبه سلسًا معبرًا؟ إنني لأتمنى أن تواصل «الفيصل» ازدهارها، وأن تواظب على تقديم الفكر النيِّر الأصيل في ظل ما يملأ الساحة الفكرية من غث كثير، وهذا ما هو مأمول من الدكتور يحيى الساعاتي، وهو المعروف بخلقه وعلمه، وأطيب الأمنيات للدكتور زيد الذي لم يأل جهداً في تطوير هذه المجلة العزيزة على قلوبنا جميعًا.

وجاء هذا العدد ـ كعادة «الفيصل» ـ زاخراً بألوان من الفكر والثقافة والعلم، وأشد ما استرعى انتباهي، ذلك الاستطلاع المصور عن مدينة الخليل الذي تتبع تاريخ هذه المدينة التي تعاني ظلم المستعمرين، ومع ذلك، فهي صامدة في انتظار النصر المبين إن شاء الله؛ ونأمل أن تكثر «الفيصل» من الاستطلاعات المصورة التي تمزج الماضي بالحاضر، وتقدم للقارئ تاريخًا موثقًا يستند إليه في زيادة معارفه وتوسيع مداركه.

وقد لامس العدد جملة من القضايا الحيوية في مجالات الإعلام والتربية واللغة والاجتماع، وإن كان سؤال البريد الثقافي عن الحوار الحضاري، الذي أجاب عنه كل من د. محمد بن لطفي الصباغ ود. عبدالفتاح حسن، فأحسنا الإجابة، يحمل في طياته استفزازًا يدفع إلى تناول أعمق له من خلال نقاش مستفيض تديره «الفيصل» في أي صورة تراها، حتى يأتي التصور لطبيعة الحوار الحضاري بين الإسلام والغرب في شكل متكامل يلم بجميع أبعاد هذا الموضوع الحيوي.

حسين عثمان ـ صحفي

الأسعار
السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلس ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلس ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٦٠ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ١٥٠ جنيه ـ المغرب ٨ دراهم ـ تونس دينار واحد ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٣٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنك ـ لبنان مايعادل ٤ ريالات سعودية ـ الباكستان ٢٠ روبية ـ المملكة المتحدة جنيه استرليني واحد.

www.ahlaltareekh.com



الأطفال في عيون «الفيصل»

قلما يخلو عدد من أعداد الفيصل من موضوع تربوي أو نفسي أو اجتماعي يخص الأطفال، مما يجعل المقالات التي تنشر مراجع مهمة لما تتميز به من عمق.

وهذا الاهتمام الذي توليه «الفيصل» للطفل، يعني الاهتمام بالمستقبل، إذ إن من المهم تثقيف الآباء والأمهات لكي يدركوا أساليب التعامل مع الطفل، والاطلاع على خبرات الآخرين في هذا الميدان، وعلينا أن نقيم الجسور مع أبنائنا ونحقق التواصل الثقافي بين الأجيال ليسهل العبور إلى المستقبل من دون عوائق نفسية.

والساحة الصحفية في أمس الحاجة إلى مجلات تهتم بالأطفال، وتعمل على إبراز مواهبهم، أو تيسر لهم سبل التعبير عن آرائهم وأفكارهم بكل حرية، ونأمل أن تتبنى «الفيصل» مجلة متخصصة بشؤون لأطفال.

محمد رضوان الأنظامي ـ ص.ب ١٠٢٠٢ ـ دمشق ـ سورية.

اقتراحات

أحييكم في بداية رسالتي هذه على ماتبذلونه من جهود لإنجاح رسالة هذه المجلة الغالية، وأتمنى أن تستمروا كما عهدناكم.

سبق أن أرسلت، قبل هذه الرسالة، برسالة يوم ٣ربيع الأول١٤١٩هـ عن طريق البريد ولا أدري أوصلت أم لا، وهذه الرسالة ليست تكرارًا لما سبق، ولكنها تحمل، مع الإعجاب، بعض الاقتراحات الصغيرة.

وهذه الاقتراحات هي:

ـ أرى، لو أمكن، أن يتحول حجم المجلة إلى الحجم العادي الذي يشبه حجم مجلة المعرفة والمنهل، ليس في الصفحات وعددها، ولكن في المقاس الطولي والعرضي، ولا بأس عندئذ من القيام بزيادة الصفحات لتغطية النقص الحاصل،وذلك لأسباب عدة منها أولاً: أن المقاس الحالي يتطلب في بعض الأحيان عند القيام بترتيب المجلات في أدراج، يتطلب رصها أفقيًا وحينئذ يكون من الصعب استخراج بعض الأعداد.

ثانيًا: إن الحجم العادي يمكن أن يساهم في إعطاء جاذبية للمجلة حيث إن الكثيرين من الناس الذين يقبلون على المجلات الثقافية والفكرية يهتمون بالحجم الصغير إضافة إلى الفائدة.

وأمامكم الكثير من المجلات الثقافية التي تنحو ذلك المنحى مثل العربي ـ المنهل ـ الحكمة ـ البيان. وغيرها.

ـ الاقتراح الثاني وربما كان متعلقًا بالشكل وهو ضرورة إضافة دبوس أو دبوسين على ظهر المجلة ليحفظ الأوراق من التساقط، لأن المادة اللاصقة في كثير من الأحيان لا تؤدي ذلك الغرض وحدها.

ـ إضافة باب صغير في صفحة (استراحة العدد) أو (البريد) يكون عنوانه (معجم)، ويتحدث في كل عدد عن كلمة من الكلمات العربية الفصحى وأصلها واشتقاقاتها ومعانيها لعله يكون مساهمة ولو صغيرة في سبيل تعريف القارئ بثروة اللغة العربية واتساعها وشمولها وتلبيتها لمختلف مطالب الحياة، ويتمم رسالة المجلة في جهودها المخلصة للاهتمام بهذه اللغة الخالدة.

ـ أرى أن من المناسب جدًا لو قامت المجلة عند تعريف بعض كُتّابها أن تُتبع ذلك بذكر عنوان الكاتب.

ـ أن تُجعل إحدى جوائز المسابقة الشهرية بعض مجلدات المجلة للسنوات الماضية. ويكتب المسابق في ورقة مصاحبة لإجابته تاريخ السنوات أو الأعداد التي يرغب الحصول عليها، وفي حالة فوزه بهذه الجائزة يُنظر إلى هذه المعلومة التي أوردها وترسل إليه المجلدات وبذلك تزيد المجلة من تواصلها مع القارئ، ومن حماسة القارئ لاقتنائها، كما تساهم في اكتساب طلاب جُدد في مدرستها حيث إن الكثيرين الذي يقومون بالاشتراك في المسابقة حديثًا لم يتسنّ لهم الاطلاع على أعداد «قديمة». فما رأيكم؟

هذا ما أحببت أن أنبّه عليه من اقتراحات وملاحظات قد تكون هامشية أو شكلية ولكن حسبها أنها خرجت من قلب مُحبّ.

عبده بن علي حسن الفيفي
فيفا ـ جازان ـ ص.ب ٤٢

وردت رسائل كثيرة من الإخوة القراء لم تتسع لها المساحة المحددة للبريد، وسيتوالى نشرها في الأعداد القادمة

www.ahlaltareekh.com

التنمية البشرية والإعلام

إخواني الكرام المشرفين على مجلتنا الفيصل نود منكم إيلاء موضوع التنمية البشرية اهتمامًا خاصًا، وكذا تخصيص محاور خاصة لمعالجة بعض القضايا والإشكالات المرتبطة بالإعلام. وأملنا كبير في كل ما تقدمونه وتبذلونه من جهود.

المصطفى لضيم

أستاذ بالسلك الأول من التعليم الأساسي ـ ص.ب ٦٠٦

تارودانت ـ المغرب.

دلالات الجائزة

يطيب لي أن أهنئكم على ما وصلت إليه مجلة الفيصل من تقدم ورقي، وذلك بفضل الله ثم بفضل مجهوداتكم ومجهودات العاملين معكم، فلكم كل الشكر والتقدير على ما تقدمونه.

كما أنني أتقدم لكم بالشكر على هدية المجلة الغالية والتي كانت كتابًا يتحدث عن جائزة الملك فيصل يرحمه الله فتعرّفنا الجوانب المشرقة لمدلولات الجائزة وتعرّفنا أيضًا الشخصيات العلمية التي حصلت عليها، وأتمنى أن تواصل هذه الجائزة دورها في تكريم من خدموا الأمة من علمائنا الأفاضل في مجالات الحياة المختلفة.

عيسى صلاح الجهني

المدينة المنورة

ص.ب ٢٠٧٣١

كتب عن الرواد

كتب الأستاذ عبدالفتاح أبو مدين عن حمزة شحاتة في العدد ٢٥٢ وكذلك كتب الأستاذ عبدالله خياط عن هذا الأديب في العدد ٢٥٣، وبما أن مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية يقوم بعمل إصدارات قيمة، فلماذا لا يكون ضمن هذه الإصدارات مؤلفات عن أدبائنا وعلمائنا من الرواد. ويمكن في المرحلة الأولى جمع ما كُتب عن هؤلاء في مجلة الفيصل في إصدار يناسب ما قدموه من عطاء.

محمد المنصور الشقحاء

الطائف ـ ص.ب ١٥٣٨

تحية

تحية من القلب أرفعها إلى مجلتنا المتألقة «الفيصل» بداية يشرفني أن أهنئ الثقافة العربية الإسلامية على هذا الكسب المهم المتمثل في مجلتكم التي ما فتئت تمتعنا بما تنشره من مواضيع علمية وفكرية حساسة وقيّمة وتسجيل آرائها في آخر المستجدات العلمية والثقافية على الساحة العربية والعالمية. اسمحوا لي أن أعبر عن كامل إعجابي بكم وبكل ما تحتويه المجلة من أركانها المتميزة وأذكر منها: إطلالة، تاريخ اليهود، من نسمات الحضارة، والطريق إلى الله، بالإضافة إلى القصائد والقصص القصيرة. شكرًا لكم على المستوى الراقي، وأتمنى من كل قلبي للذين يشتكون من عسر مادتها أوتأخر وصولها إليهم، أن تصل إليهم في المستقبل بأيسر الطرق وأسرع وقت.

ريم بالطيب

طالبة بالتعليم الثانوي ـ تونس

ما وراء الخبر

نشرت مجلة «تايم» الأمريكية في عددها الصادر في ١٧ أغسطس ١٩٩٨م خبرًا من أنقرة مفاده أن الكاتب التركي فاهي بازار قد حكم عليه بالسجن ٢٤ سنة لكتابته مسرحية، كما حكم على ٤ من الممثلين بالسجن ١٦ سنة، وأظن أن القارئ العربي يحق له أن يعرف ما ورد في هذه المسرحية التي أتخمت بأشعار ناظم حكمت وقصص عزيز نيسين التركيين اللذين تتهافت دور النشر المشبوهة على تعريب ما كتباه ونشره.

محمد الكلّسي

٧ش الكواكبي ـ حلب ـ سورية

تباشير

أشكر لكم حسن عنايتكم بهذه المجلة الموسوعية ـ إن صح التعبير ـ التي تتحفنا بالجديد والمفيد من شتى العلوم والمعارف الإنسانية . وأشكر لكم أيضًا اهتمامكم بالمواهب الأدبية الشابة وتشجيعها لكي تبدأ في المسار الصحيح والدرب الواضح من خلال زاوية «تباشير».

حسن أحمد محمد الصلهبي

جازان

بإذن الله ـ، فمعذرة للذين تأجل نشر رسائلهم، ومرحبًا بآراء الإخوة القراء ووجهات نظرهم واقتراحاتهم.



www.ahlaltareekh.com



العدد ٢٦٥ - السنة ٢٣ - رجب ١٤١٩ هـ - أكتوبر/نوفمبر ١٩٩٨م



التاريخ غير المكتوب للإنسان!!

يجد الإنسان صعوبة كبيرة في تحديد بداية تاريخه على هذه الأرض، مع ما يعيشه من تقدم علمي.
ويرى علماء الإنسان (الأنثروبولوجيا) أن أقدم هيكل إنساني، هو ذلك الهيكل الذي عثر عليه بالقرب من العاصمة الأثيوبية أديس أبابا عام ١٩٧٤م، وهو هيكل لأنثى كانت تمشي منتصبة، وقد أعطوها اسم «لوسي».
ويقال إن الإنسان حين انتصب واقفًا تحررت يداه، فبدأنا في صنع الأدوات، فكانت بداية دخول الإنسان في مرحلة بناء الحضارة.
د. خالص جلبي تتبع تاريخ الإنسان منذ أن كان يطارد الوحوش، مركزًا على ظاهرة العنف التي شكلت جزءًا مهمًا في هذا التاريخ.

طالع ص٨

خور دبي: شريان تجاري ينبض بالحركة



إذا كانت إمارة دبي في دولة الإمارات العربية المتحدة تعكس التقاليد والأعراف التجارية الخليجية، بما اشتهرت به من تجارة واسعة عبر التاريخ، فإن خورها يعد القلب النابض لهذه التجارة.
كامل يوسف حسين أعدّ استطلاعًا مصورًا عن خور دبي مع نبذة تاريخية عن تجارته الممتدة من الصين إلى إفريقية.
وتضمن الاستطلاع آراء مجموعة من الرحالة الذين ارتبطوا بالمنطقة وخبروا أحوالها منذ سنوات بعيدة، كما أن ذكريات أبناء دبي من الكتاب والأدباء كانت مهمة لاستكمال الصورة عن الخور وتاريخه وتأثيره اقتصاديًا ووجدانيًا.

طالع ص١٢

الزجاج: صناعة لها تاريخ



مع أنه لا يعرف تاريخ محدد لاكتشاف الزجاج، إلا أن الثابت أن صناعته أخذت في التطور على مدى عدة قرون، حتى أصبح يمثل ركيزة من ركائز حضارة اليوم، إلى حد أنه يصعب حصر استخداماته، وتكفي الإشارة إلى أنه أصبح من أهم عناصر صناعة أدوات اللهو والطب والزينة والتلفاز والسيارة والأدوات الطبية والنظارات وأجهزة الاتصالات والطائرات ومركبات الفضاء وغيرها.
وقد كادت صناعة الزجاج تتضاءل وتضمحل ككل الإنتاج الحضاري للإنسان لولا ما شهدته من ازدهار في ظل الحضارة الإسلامية، إذ اقتنت ربات القصور أدوات فخمة من الأطباق والقناني والمزهريات والكؤوس وأدوات العطر والزينة المصنوعة من الزجاج الفاخر، وجمع الأمراء أدوات من الزجاج تشبه الأحجار الكريمة أغلى من الذهب والفضة، نحتت عليه الآيات القرآنية والمناظر الجميلة والنباتات وبعض الحيوانات والأسماك والأشكال الهندسية.
عن صناعة الزجاج وتطورها في الحضارة الإسلامية أعدّ د. علي جمعان الشكيل موضوعًا تعبر عنه الكلمة والصورة معًا.

طالع ص٨٤

www.ahlaltareekh.com

من كتاب العدد




د. عمار الهمادي

- من مواليد تونس.
- حاصل على دكتوراه المرحلة الثالثة في أصول الدين، المعهد الأعلى لأصول الدين بجامعة الزيتونة؛ وبعد دكتوراه الدولة حول المنهج العقلاني في تفكير ابن أبي زيد القيرواني.
- له عدة بحوث ودراسات، منها:

«ابن حزم الظاهري الأندلسي ومنهجه في الفكر الإسلامي» ، و«ملامح الحياة الكلامية في القيروان في عهد الأغالبة»، و«الإمام محمد بن سحنون: المتكلم السني»، و«الفكر المنهجي التربوي الإسلامي بالقيروان وتأثيره في مدرسة القيروان بين الفقه والحديث» و«المنهج الإصلاحي والتربوي عند ابن حزم الظاهري».

د. فردوس موسى موسى

- من مواليد محافظة المنوفية، مصر، ١٩٦٢م.
- حاصلة على الدكتوراه في الأدب، قسم اللغة الفارسية، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٩٣م.
- عملت معيدة بالقسم نفسه، ١٩٨٣م، ثم مدرسًا مساعدًا، ١٩٨٧م، ثم مدرسًا منذ ١٩٩٣م.
- لها بحوث ودراسات علمية منشورة.

عبدالله بن ناصر السدحان

- من مواليد الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٨١هـ.
- حاصل على بكالوريوس الآداب من جامعة الملك سعود، ١٤٠٣هـ، وعلى دبلوم عام التربية من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٨هـ، وعلى ماجستير علوم اجتماعية من المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب بالرياض (أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية)، ١٤١٤هـ.
- من إنتاجه: وقت الفراغ: دائرة في انحراف الشباب (دراسة ميدانية)، و«الرعاية اللاحقة للمفرج عنهم»، إضافة إلى بحوث منشورة في مجلات محكمة.



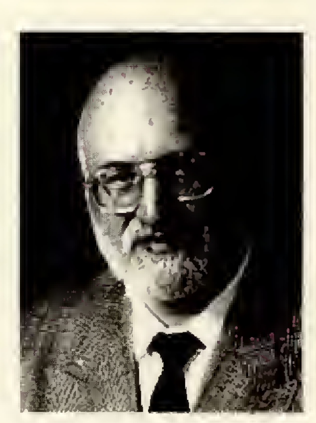
أحمد الهواري

- من مواليد تلمسان، الجزائر، ١٩٦٨م.
- حاصل على الإجازة في الحقوق من جامعة فاس بالمغرب ١٩٩٦، ويواصل حاليًا دراساته العليا.
- له مقالات منشورة في الصحافة المحلية.

www.ahlaltareekh.com

علم الإنسان (الأنثروبولوجيا): التاريخ غير المكتوب

في شهر مايو/ أيار من عام ١٩٧٨م صدرت مقالة علمية في مجلة العلم SCIENCE الأمريكية ـ وهي أهم مطبوعة علمية في الولايات المتحدة ـ أحدثت هزة في التفكير الإنساني في فهم تاريخ الإنسان على الأرض؛ فقد قدَّم عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي دونالد جوهانسون ـ بعد عمل شاق استغرق خمسة أعوام ـ الدليل من الحفريات التي جمعها من مثلث «عفار» شرقي الحبشة في منطقة «هدار» ومن الموقع «٣٣٣» على أقدم كائن بشري يمشي منتصبًا، ويعود إلى حقبة تصل إلى ثلاثة ملايين و ٧٥٠ ألف سنة، مع إمكان الخطأ بمئة ألف سنة(١).



د. خالص جلبي

قصة لوسي LUCI

عندما نقرأ كتب التاريخ فإننا نقرأ في الواقع ما (كُتب)، فالكتابة هي التي حفظت الأحداث التاريخية في جوفها (كما عُثر على مكتبة آشور بانيبال التي تحوي ٢٥ ألف لوح بالخط المسماري)(٢)؛ والكتابة كيان حديث العهد، فالإنسان نطق قبل الكتابة، وبنى الحضارة قبل الكتابة، وعندما دخل مرحلة الثورة الزراعية لم يكن هناك لوح واحد مكتوب. والسؤال الذي كان يقض مضجع المؤرخين والمفكرين عمومًا هو: كم مضى على وجود الإنسان على وجه الأرض؟ منذ متى بدأ يدب عليها؟منذ متى بدأت الحياة على وجه الأرض؟ كم عمر الأرض؟ منذ متى يعمل النظام الشمسي؟ بل ما سر هذا الوجود كله؟ وهل له بداية؟ وإذا كانت له بداية فكيف ومتى بدأ؟ وكم عمر الكون عمومًا؟

ما الطريقة المستعملة لمعرفة عمر طبقات الأرض والحفريات؟

عندما نفتح كتب التاريخ نشعر بالنقص في معرفة البدايات، والسر في هذا هو قصور الأدوات المعرفية التي استخدموها قديمًا، إلى درجة أن شُرَّاح العهد القديم حدَّدوا عام ٤٠٠٤ قبل الميلاد البداية الفعلية للكون وبداية التاريخ الإنساني؛ إلا أن الكشف الأنثروبولوجي(٣) أظهر أن حياة الإنسان تتوغل في القدم في مرحلة ما قبل التاريخ المكتوب إلى زمن سحيق. ويبقى السؤال: كيف يمكن معرفة عمر طبقة من البازلت أو الفحم، أو عمر شجرة؛ فضلاً عن مستحاثة لهيكل عظمي كالذي تم كشفه في هيكل لوسي؟

لقد طور العلماء وسيلة غير مباشرة من طريق دراسة المواد الإشعاعية في طبقة ما والتي تحوي العظام، فكلاهما عاش المرحلة الجيولوجية نفسها، مثل مادة (البوتاسيوم ٤٠) التي تتحلل في مدة معروفة إلى مادة الأرغون، فإذا استطاع العلماء حساب الكمية المتولدة من التحلل الإشعاعي، ونسبة التحلل وسرعته، أمكن تحديد عمر الطبقة الأرضية التي وجد فيها البوتاسيوم. وهكذا من طريق نظام التحلل الإشعاعي أمكن معرفة عمر طبقات الأرض، ومن ثم عمر العظام المحفوظة فيها (الحفريات FOSSILE).

في ٣ نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ١٩٧٤م عثر الأنثروبولوجي الأمريكي دونالد جوهانسون مع مساعده توم غراي على ضفة نهر أواش في منطقة هدار على بعد ٤٠ كم شمال شرقي العاصمة الأثيوبية أديس أبابا، وفي جو يغلي بحرارة ٤٣ درجة مئوية على بقايا هيكل إنساني لأنثى كانت تمشي منتصبة، وخلال ثلاثة أسابيع من العمل المتواصل أمكن جمع نحو ٤٠٪ من هيكل كائن واحد، وبفحص عمر العظام في مركز كليفلاند للأبحاث الجيولوجية، أدركوا أنهم أمام أقدم كائن بشري عُرف حتى ذلك الوقت. وإذ عمتهم الفرحة لهذا الاكتشاف التاريخي بقوا طوال الليل يكررون أغنية البيتلز «لوسي في السماء ومعها ألماس» لهذه الأنثى التي غيبتها طبقات الأرض قبل قرابة أربعة ملايين من السنين، فأعطوها اسم «لوسي» وأصبحت علمًا على هذا الاكتشاف المثير.

www.ahlaltareekh.com



الانتصاب حرر اليدين فبنى الإنسان الحضارة

ولكن هل فكرنا قليلاً بميزة امتشاق الجسد والانتصاب على قدمين عند الإنسان؟ تلك التي أشار إليها القرآن الكريم: والله خلق كلَّ دابَّة من ماءٍ فمنهُم من يمشي على بطنه ومنهُم من يمشيَ على رجلين ومنهم من يمشي على أربعٍ. النور: ٤٥.

إن الوقوف أعطى الحرية لليدين، وبتحرر اليدين بدأ الإنسان في صنع الأدوات والدخول في بناء الحضارة؛ فالحضارة هي مزيج الفكر واليد كما انتبه إلى ذلك ابن خلدون حين أشار في مقدمته الشهيرة إلى عاملي «الغذاء والدفاع عن النفس» كضرورات حيوية (بيولوجية) لوجود الإنسان في المجتمع، فلا يوجد إنسان من دون مجتمع «ولما كان العدوان طبيعيًا في الحيوان جُعل لكل واحد منها عضو يختص بمدافعته، وجُعل للإنسان عوضًا عن ذلك كله الفكر واليد، فاليد مهيئة في الصنائع بخدمة الفكر»(٤). بل إننا نجد في علم الحياة والأحياء (البيولوجيا) الشيء العجيب؛ فخارطة (قشر المخ) فيها منطقة كبيرة للفم ومناطق الكلام، أكثر من حركة الفخذ مثلاً، كما أن مناطق التحريك العصبي للإبهام أكبر من حقل بقية الأصابع بسبب أهميته، ونحن نتميز بقشرة المخ، بالدرجة الأولى، أكثر من بقية مناطق الدماغ التي نشترك فيها مع الحيوانات، والغوريلا أثقل منا بثلاث مرات، ولكن دماغنا أثقل من دماغه بثلاث مرات، فدماغه يصل إلى قرابة ٥٠٠ غرام، ووزنه يصل إلى ما يزيد على مئتي كغ، في حين يزن دماغنا نحو ١,٥ كغ (ثلاثة أرطال) أو بالمتوسط ١٥٠٠ جرام، وجسمنا في المتوسط ٧٠ كغ. وهكذا، فبتفاعل قشر المخ مع اليدين أمكن للإنسان شق الطريق للحياة الإنسانية المتطورة، في حين كُبِّلت بقية الكائنات باستخدام يدها عضويًا (فيزيولوجيًا).

بين الكوسمولوجيا والبيولوجيا والأنثروبولوجيا(٥)

إذا كان عمر الكتابة خمسة آلاف سنة، وبدايات تاريخ الإنسان غير المكتوبة بدأت منذ نحو ثلاثة ملايين سنة ونصف المليون، فكم عمر الحياة وكيف بدأت ياترى؟ يعكف علماء الحياة اليوم على تقصي التاريخ الطبيعي.

إذا كان للإنسان تاريخ (إنساني) فإن للطبيعة تاريخها الخاص، والمعلومات الأولى التي شق العلم الطريق إليها أن بدايات الحياة تمتد إلى نحو ثلاثة مليارات سنة وثمانية أعشار المليار، ولعلها بدأت بالخلايا الوحيدة التي لا تحتاج إلى الأكسجين، ثم قفزت الحياة إلى مرحلة الخلايا الوحيدة التي تستخدم الأكسجين، قبل أن تظهر عديدات الخلايا التي تنتهي عندنا؛ حيث يمثل الإنسان قمة الخليقة، ويمثل الدماغ البشري قمة القمة لتجلي الخلق العجيب. وأما عمر أمنا الأرض فيصل إلى نحو ٤,٦ مليار سنة، وإذا قابلنا بين بدء الحياة قبل ٣,٨ مليار سنة، وعمر الإنسان وهو يدب على الأرض بـ٣,٥ مليون سنة، وإذا عرفنا أن المليار هو ألف مليون، كان معنى هذا أن كتاب تاريخ الخلق يتشكل من مجلد ضخم يبلغ ألف صفحة، تنفرد فيه الصفحة الأخيرة برواية الخلق الإنساني، كما أن الملايين الثلاثة والنصف من السنوات هي تلك الحقبة غير المذكورة من الحياة الإنسانية غير المكتوبة، لأنه لا ذكر من دون كتابة، والكتابة لم تتشكل إلا منذ مدة قصيرة هي خمسة آلاف سنة فقط؛ أو على حد تعبير القرآن الكريم: لم يكُن شيئًا مذكورًا. **الإنسان**: ١، ويبقى عمر النظام الشمسي في حدود ثمانية مليارات من السنين، وأما عمر الكون كله فالأرقام حسب نظرية الانفجار العظيم تصل إلى ١٢ مليار سنة حسب أحدث نقولات التلسكوب هابل الكوني.

الإنسان قبل عشرة آلاف سنة

بقي الإنسان في معظم تاريخه (شيئًا غير مذكور)؛ فحتى قبل عشرة آلاف سنة كان يطارد الوحوش والوحوش تفترسه، وكانت أعداد البشر



أصبع يد لتمثال من البرونز اكتشفت في قرية الفاو

www.ahlaltareekh.com

قليلة، وباكتشاف (النار) حصل انعطاف حاسم في تاريخ الإنسان لأنه خرج من المنطقة الدافئة في إفريقية لينتشر في الأرض؛ فامتد جنسه إلى كل المعمورة، وبقي في هذه المرحلة يعيش على الصيد وجمع الثمار، وكان يمكن أن يبقى هكذا حتى يومنا الحالي، ولكن الذي أحدث أعظم انعطاف في تاريخ الجنس البشري هو المرأة؛ ففي الوقت الذي كان الرجل يطارد الفرائس، كانت المرأة تجلس لرعاية الصغار فاكتشفت آلية عمل النبات؛ فهذه الآلية الخفية والبطيئة والمتدفقة في كل لحظة تحتاج إلى الهدوء والنعومة والتأمل والاستقرار والحب، وكلها من صفات الأنثى، وبذلك شقت الطريق إلى أمر في غاية الخطورة هو: الثورة الزراعية. فلماذا كانت الثورة الزراعية بهذه الخطورة، وماذا تولّد منها؟

انعطاف التاريخ الإنساني في الثورة الزراعية

عندما انتبهت المرأة إلى أهمية الزراعة قفز الإنسان من مرحلة كان يعيش فيها ليومه، مهدداً بالمجاعة في كل لحظة، إلى مرحلة (التحكم) بالغذاء؛ فالزراعة أحدثت فائضاً بالغذاء، وهذا قاد بدوره إلى خلق مجتمع المدينة وتجمع البشر وزيادة السكان، وتقسيم العمل وتشكل الاختصاصات، وولادة الدولة والنظام السياسي. ومع ولادة مجتمع المدينة تشكلت المجتمعات البدائية الأولى التي كانت نقاط التخمر الأولى لولادة الحضارات؛ فالثورة الزراعية بدأت قبل قرابة تسعة آلاف سنة، في حين لم تبدأ مسيرة الحضارات إلا قبل ستة آلاف سنة، على النحو الذي كشفت عنه الحفريات التي تمت في مدى السنوات المئة المنصرمة، ولقد أحصى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي ما يزيد على ثلاثين حضارة انبثقت من أصل زهاء مئتي مجتمع بدائي. أما لماذا انبثقت الحضارة من مجتمعات بعينها، في الحين الذي عقمت مجتمعات أخرى عن إنجاب حضارة، فهذا لا يزال تحت تفسيرات متنوعة، ولكن الشيء الأكيد أن ولادة الحضارة الإنسانية تمت ومعها أمراض (كروموزومية) تماماً مثل أخطاء التشكل الولادية، ومنها بناء المجتمع على النمط الذكوري.

العنف والنمط الذكوري

مع ولادة الحضارة ولدت ظاهرة الحرب. والحرب شيء مروّع حقّاً، وهي ظاهرة إنسانية؛ فالحيوانات لا تشن الحروب المنظمة في العادة، وإن الإنسان ليدهش عندما يرى قتل الإنسان لأخيه الإنسان! والحرب أفرزت بدورها مرضاً لا يقل شقاءً هو الرق؛ فالحرب والرق كانا، منذ بزوغ الحضارات، مرضين خبيثين، استطاع الجنس البشري التخلص من الأول، وهو في طريقه للتخلص من الثاني. وإذا كان مرض الرق ولد كـ(اختلاط ومضاعفة) من مرض الحرب، فالسؤال الذي يُطرح: لماذا ولد مرض الحرب بالأصل؟ وهل يجب أن يقتل الإنسان أخاه الإنسان؟ فالحرب تقوم على الإفناء المتبادل وسفك الدماء، وكانت هذه التهمة هي التي وجهت للإنسان من قِبَل الملائكة: *أتجعلُ فيها من يُفسدُ فيها ويَسفكُ الدماءَ*. **البقرة:٣٠**، حتى إن الملائكة لم تتهم الإنسان بالكفر بقدر اشمئزازها من القتل الذي سيمارسه!! فأين يكمن جذر العدوانية والعنف في الجنس البشري؟ لقد درس علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) عبثاً هذه الظاهرة من خلال دراسة الفروق الحيوية (البيولوجية) بين الذكر والأنثى، واستطاع أن يضع بعض الفروق الجوهرية؛ فالبنات يملكن قدرة كلامية أفضل، ولذا فالهاتف جهاز أنثوي، والمرأة عندها قدرة أفضل في إثارة مواضيع البحث والنقاش، ويميل الرجال للصمت أكثر، ويتفوق الأولاد الذكور في القدرات الفراغية والرياضية والحسابية، ولكن الشيء الذي يرجحه علماء الأنثروبولوجيا هو عدوانية الذكور أكثر، ويقرنونه بهورمون الأندروجين الذي يفرزه جسم الذكور (كذا!). وأمام السيطرة الذكورية في المجتمع يطرح بيتر فارب صاحب كتاب «بنو الإنسان»(٦) هذا السؤال: «ما السر في كون الأدوار الوظيفية العليا والمراكز المرموقة في المجتمع من نصيب الذكور دوماً؟».

من المهم أن نعرف أن هذا الوضع هو عالمي قبل كل شيء، فالحضارة ترسخت منذ أن بدأت رحلتها الأولى بموجب (قالب ذكوري)؛ حيث تحولت المرأة إلى الشريحة المستضعفة، ومن الغريب أن المرأة هي التي تحمل الذكر في بطنها، وهي التي تدفع به إلى الحياة، وهي التي تغذيه وتربيه، وبإمكانها أن تقلب هذا النظام من



مشهد قتال. موقع زلح علياء، مدينة سراة عبيدة، منطقة عسير

www.ahlaltareekh.com

التاريخ غير المكتوب للإنسان



مجموعة من أدوات الحياكة ودبابيس شعر ومخارز من البرونز والنحاس (حفريات الفاو)

خلال التربية وفي مدى جيل إلى جيلين إلى صالحها، ولكن العجيب الغريب أنها لم تفعل ذلك. فلماذا؟

قام الأنثروبولوجي بيتر فارب بتحليل لطيف خلاصته أن المرأة هي التي أوجدت هذا النظام لتحمي نفسها ومجتمعها من الإبادة من المجتمعات العدوانية الأخرى، ولكن ـ وهي آلية ذاتية ـ ما دام قد وجد هذا النظام فإنه يكرر نفسه دومًا.

يقول فارب: «ولعل أكثر التفسيرات انسجامًا مع المنطق والتحليل هو الذي يرجع أصول سيادة الذكر إلى العراك الجسدي والمصارعة، فالإناث، بوصفهن المتحكمات في تربية الصغار، بوسعهن تحويل الجيل القادم... ولكن هذا يعني أن ذلك المجتمع سيجد نفسه عرضة للإبادة من مجتمعات مجاورة تعتمد على الذكور في القتال، ويبدو أن هذه الحقيقة كانت واضحة في أذهان الإناث منذ أن خلق الله الإنسان... ومن المؤكد أن الإناث قد وصلن إلى هذا الوضع دون أن يعين ذلك... وبمجرد أن أعطي الذكور المركز المرموق كمحاربين، أصبح ذلك النظام بالضرورة يكرر نفسه تلقائيًا، وصار لزامًا على المجتمع أن يشجع العدوان في الأطفال الذكور، كما كان عليه أن يكافئ المحاربين الناجحين، ولعل أبسط طرق المكافأة هي إضفاء هيبة كبيرة عليهم، وإعطاؤهم ميزات متعددة، منها ميزات جنسية، وحتى يكون ذلك ممكنًا لا بد أن تُربّى الإناث على الخضوع والسلبية»(٧).

إذن فالنتيجة التي وصلنا إليها أن عنصر (الثقافة) هو الذي يشكل العدوانية، فلا زيادة هورمون الأندروجين يرسخ العنف، ولا انتشار هورمون الأستروجين الأنثوي ينشر نعومة «تانثسر»!! وهذ ما وصلت إليه باحثة أنثروبولوجية هي مارجريت ميد(٨)، عندما درست ثلاثة مجتمعات متقاربة في غينيا الجديدة في مدى مئة ميل من الأرض، ومن الغريب أن المجتمع الأول مسالم بذكوره وإناثه، والثاني من أكلة لحوم البشر، وهو النقيض للمجتمع الأول، في حين أن المجتمع الثالث من صيادي الرؤوس، يقوم ذكوره طوال النهار بممارسة الغزل والزينة والتعطر واختيار الملابس والعزف على المزمار، على عكس الإناث اللواتي يحملن معظم أعباء المجتمع. فالثقافة ونظام الفكر السائد هو الذي غيّر مجتمعًا عن آخر يسكن الأرض نفسها، فالمرأة هي التي تحمل المسؤولية التاريخية الآن في تغيير نظام الفكر عند الطفل، حتى نتحرر من ثقافة الحرب والبطولة وتكديس السلاح. ومن خلال ترسيخ ثقافة العنف واختلال المجتمع في اتجاه (قوة العضلات)؛ فإن المجتمع تلوّن بكامله بهذا اللون الذكوري، والمؤسسة العسكرية في العالم هي النموذج المثالي للروح الذكورية «التي تعدّ نموذجًا لجميع المؤسسات الأخرى، وتقوم على الطاعة غير المشروطة، وتنتزع من الإنسان بعده الخاص؛ أي ذلك البعد المتسم بالاستقلال الواعي والمبادرة والمسؤولية، والذي لا يكون التجمع الإنساني الخاص من دونه... إن هذا الاختراع الذكوري المحض يقوض ـ بمقتضى المبدأ نفسه الذي يقوم عليه ـ كل إمكانية حقيقية للدفاع؛ أي الدفاع عن استقلال الشخص ضد أي اقتحام خارجي وأي اضطهاد داخلي... ومركزية العنف العسكرية هي نموذج لجميع أشكال المركزية الأخرى الأبوية والبيروقراطية والإدارية والبوليسية، وحتى التربوية والثقافية»(٩). فلا غرابة من النتائج المأساوية لسيطرة الروح العدوانية التي تبدو في اندلاع الحروب التي لا تتوقف والتي قد تنهي الجنس البشري في حماقة كبرى.

يبدو إذًا من خلال هذا الطرح أن العالم قد رُكِّب على تشوه جنيني حضاري مروِّع، أسهمت المرأة من غير وعي منها في ترسيخه، لأن مفتاح تغييره ما زال بيدها، فهي ما زالت لحسن الحظ تحمله في رحمها، فهي خزان الرحمة واللطف، والمشرفة على تربيته وتكوينه النفسي والأخلاقي، وما زال إنجاب المرأة للأنثى مصدر عيب وضعف في كل العالم، لذا فإن العالم ما زال ينتظر تعديل هذا الميزان الكوني مرة أخرى لتخرج المرأة من أشياء الرجل وملكيته، لتصبح النفس الإنسانية التي بشر بها القرآن الكريم: *خَلَقَكُم من نفس واحدة*. **النساء**:١. ودخول المرأة هذا الميدان باستقلال، ليس في تقليد الرجل، ولا كوسيلة بيده، أو كإفراز من خلال مؤسساته، بل النصف الثاني الشريك الكامل، والنوعي المستقل، عند ذلك ستسود ثقافة الرحمة وستزول ثقافة البطولة، ستكف طبول الحرب عن القرع، وسيكف الإنسان عن سفك الدماء فيحقق عن جدارة علم الله فيه: *قَالُوا أَتَجعلُ فيها مَن يُفسدُ فيها ويَسفكُ الدِّماءَ ونحنُ نُسَبِّحُ بحمدكَ ونُقَدِّسُ لكَ قال إنّي أعلمُ ما لا تعلمونَ*. **البقرة**: ٣٠.

الهوامش:

١- يتم الوصول إلى تحديد مثل هذا العمر بشكل غير مباشر وبوساطة دراسة المواد المشعة مثل البوتاسيوم ٤٠ الذي يتحول إلى مادة الأرغون أو تحلل مادة اليورانيوم. تراجع القصة الشائقة بأكملها في عدد المختار (ريدرز دايجست) ديسمبر/ كانون الأول ١٩٨١م ـ صفر ١٤٠٢هـ، ص١١٤-١٤٤ بقلم دونالد جوهانسون وميتلاند ايدي.

٢- حضارات مفقودة، محمد العزب موسى، الدار المصرية اللبنانية، ص٦٦.

٣- الأنثروبولوجيا: علم دراسة الإنسان وبيئته ومصيره.

٤- المقدمة ص٤٢.

٥- الكوسمولوجيا: علم بنية الكون وتطوره والقوانين التي تحكمه، والبيولوجيا: علم الحياة، والأنثروبولوجيا: علم الإنسان.

٦- بيتر فارب ـ زهير الكرمي، عالم المعرفة ٦٧- ص٢٢٠.

٧- المصدر السابق ص٢٢٤.

٨- المصدر السابق ص١٩٨.

٩- روجيه غارودي، في سبيل ارتقاء المرأة، ترجمة جلال الطرجي، دارالآداب، ص٣١.

www.ahlaltareekh.com



استطلاع

خور دبي:
تجارة تمتد من الص

خور دبي ... عشرة أميال من مياه البحر تضج بالحياة والحركة والنشاط

ين إلى إفريقية

كامل يوسف حسين

الخور في اللغة العربية، كلمة فصيحة، يراد بها اللسان المائي الممتد بين برين. وقد جاء في «معجم البلدان» فيما يتعلق بالخور: «هو عند عرب السواحل، كالخليج، وأصله هور، فعرب فقيل خور، ثم جمع على أخوار». وإذا كانت هذه المادة تحيل الخور إلى الخليج، فإن «مختار الصحاح» يقول، في إيجاز واضح: «الخليج من البحر شرم منه، وهو أيضا النهر، وقيل جانباه خليجاه، والجمع خُلُج بضمتين». وليس هذا هو المعنى الوحيد للخور، فهو أيضا محل رسو السفن، وهو كذلك المرفأ والميناء.

خور دبي: تجارة تمتد من الصين إلى إفريقية



خور دبي بعدسة ويلفرد ثيجر في عام ١٩٥٠



خور دبي كما صوره ويلفرد ثيجر في عام ١٩٤٨

وإذا ذكر لفظ الخور، على إطلاقه، في عالمنا العربي، فإن الذهن سينصرف على الفور إلى الخورالعربي الأكثر شهرة، خور دبيّ، وهو ممر مائي فريد، يقسم المدينة، التي تعرف بلؤلؤة الخليج، ومدينة التجار، وإمارة الذهب، إلى قسمين، هما بَرّ ديرة، وبرّ دُبيّ.

وليس هذا الخور هو الوحيد من نوعه في دولة الإمارات العربية المتحدة، فهناك خور الخوير، الذي يقع في الفجيرة، وخور الأبيض، الذي تقع عليه مدينة أم القيوين، وهناك أيضًا خورفكّان، وهي مدينة رائعة، تقع في المنطقة الشرقية من إمارة الشارقة، وتطل على خليج عمان وبحر العرب. وقد زارها الرحالة ابن بطوطة قبل ما يزيد على ٦٠٠ عام، وقال عنها إنها «فكان بينهما خور» فجرت تسميتها بخور فكان؟

ولكن لماذا يظل خور دبي الأكثر شهرة في عالمنا العربي؟ لماذا تطير شهرته محلقة ما بين الصين إلى غربي إفريقية؟

هذا السؤال ستبادر للإجابة عنه باحثة ألمانية شهيرة هي د. فراوكه هيرد - بي، التي تبادر إلى لفت أنظارنا إلى الحقيقة الواضحة، وهي أن دبيّ تعكس التقاليد والأعراف التجارية الخليجية في أبرز صورها، حيث اشتهرت بتجارتها العريقة مع شبه القارة الهندية وإفريقية. والخور، الذي كان - ولا يزال جزئيًا - القلب النابض لهذه التجارة، يقسم دبي إلى البرين الرئيسين: ديرة ودبيّ، ويتحول خلال مهرجان دبيّ للتسوق إلى أكبر مركز للتسوق في الشرق الأوسط.

وتشير الباحثة الألمانية إلى نقطة بالغة الأهمية من الناحية البيئية، فعلى الرغم من أن الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم - يرحمه الله - قد قام في الخمسينيات بتطهير قاع الخور وتعميق مجرى قناته الملاحية، إلا أن الخور، شأن نظيريه في الشارقة وأم القيوين، يتعرض لتأثير تيار الخليج السائد، وهو تيار جنوبي شمالي ينطلق على امتداد الساحل، ويدفع إلى تراكم الجبهات الرملية عند فم الخور، وإذا كانت هذه الجبهات، المعروفة تقليديًا باسم «البر» تشكل خطرًا على ملاحة السفن التقليدية في الماضي، فإنه ليس مقبولاً أن يسمح لها بمجرد التراكم، وهو ما تحرص عليه بلدية دبيّ.

ولكن كيف بدا الخور للرحالة الأجانب الذين زاروا دبي وصوروا ملامح من نشاطها التجاري الذي لا يهدأ وكتبوا عنها طويلاً؟

كان هذا السؤال هو، على وجه التحديد، علامة الاستفهام التي حرصت على حملها معي، وأنا أنطلق للقاء الرحالة البريطاني ويلفرد ثيسجر، الذي زار الإمارات، منذ مدة، في الذكرى الخمسين لوصوله إلى واحة ليوا، بعد عبوره صحراء الربع الخالي، انطلاقًا من سلطنة عُمَان، على ظهور الرواحل، بصحبة عدد من أبناء القبائل العربية.

ابتسم الرجل التسعيني، الذي يحمل لقب «آخر المستكشفين البريطانيين العظام» حينما

www.ahlaltareekh.com



الغروب يلون بريشته الساحرة خور دبي

تمكنت أخيراً من إبلاغه فحوى سؤالي، متجاوزًا الصعوبات التي يعانيها في السمع، والتي حملته على إجراء جراحة، مؤخراً، على الرغم من سنوات عمره المتقدمة، وبادر إلى إيضاح أنه عندما رأى خور دبيّ لأول مرة، لم يستطع إلا أن ينظر إليه بعيني بدوي آت من رحاب الصحراء، ليملأ عينيه بهذه الزرقة الرحبة، وأن لا يشك للحظة في أن الخور يبدو للبدو ـ تمامًا كما بدا له ـ كيانًا مائيًا مدهشًا، حافلاً بالأعاجيب، وأن الانتقال من ركوب الإبل في الصحراء إلى ركوب السفن التقليدية في الخور، ومن ثم عبور الخليج، فالبحار، كان تحديًا هائلاً استطاع البدو خوضه باقتدار وتحولوا، في غمار ذلك، إلى سادة البحار الممتدة من سواحل إفريقية إلى شواطئ شبه القارة الهندية.

وأشار ويلفرد ثيسجر أخيرًا إلى أنه عندما يتأمل الفارق بين خط الأفق عند خور دبيّ كما التقط صوره في العام ١٩٤٨م على سبيل المثال، أو في العام ١٩٥٠م، وخط الأفق نفسه كما يبدو للعين اليوم، فإنه يحس بأن هذا الفارق هو تجسيد حيّ للشوط الكبير الذي قطعته دبيّ في مسار التطور والتحديث.

أما الرحالة رونالد كودري، الذي زار دبيّ، وأقام فيها حوالى منتصف القرن العشرين، فيقول إنه زار المنطقة لأول مرة في آذار/مارس١٩٤٨ ، ووصل إلى دبيّ بحرًا للمرة الأولى على متن جالبوت، يحمل اسم «فتح الخير» واستغرق قطع المسافة من مسقط إلى

النوارس تصافح أفق خور دبي

www.ahlaltareekh.com


غرفة تجارة وصناعة دبي... حضور متميز

مدخل الخور ثمانية أيام.
ويتذكر كودري أنه عندما وصل الجالبوت إلى قبالة دبيّ، تبددت آمال الركاب بالوصول إلى شاطئ الخور، حيث هبت رياح الشمال، فمضت الأمواج تلطم الشاطئ، وتعذر تحقيق العبور الآمن خلال القناة الملاحية الممتدة بين الضفاف الرملية عند مدخل الخور، وهكذا حالت ١٠٠ قدم من الماء المزبد الأشهب الذي يغطي القناة الملاحية، دون وصول الجالبوت إلى المياه الوادعة، الآمنة، الواقعة وراءها. وهكذا أمضى الركاب الليلة في مياه الخليج العاصفة، ولم يتم العبور إلا في اليوم التالي مع المد المسائي.

ويشير كودري إلى أن عبور المياه العميقة التي تصل حتى نهاية الخور لأول مرة، على امتداد عشرة أميال، هي تجربة فريدة، فالدور تبدو للعيان، وأكثرها كان للشيوخ ولعدد من التجار البارزين بما في ذلك المقر الشتوي للحاكم، في ذلك الوقت، وتبدو المسافة من القرب، بحيث إنك تستطيع تبادل التحية مع الأصدقاء والمعارف الواقفين على الشاطئ.

ولكن كيف يرى أبناء دبي أنفسهم هذا الخور؟ كيف انعكس على حياتهم؟ كيف انطبع في وجدانهم؟ على أيّ نحو أثر في أدبهم وفي رؤيتهم للحياة من حولهم؟

الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن إلا أن تبدأ انطلاقًا من القاص الأديب محمد المر، رئيس مجلس إدارة ندوة الثقافة والعلوم بدبيّ، الذي يبدو الخور كيانًا كليّ الحضور في مجموعاته القصصية الاثنتي عشرة.

يتذكر محمد المر الحضور الباهر للخور، في صدر سنوات طفولته وصدر عمره، بقوله: كانت السباحة مع رفاق صباي في مياه الخور، وهو اللسان المائي الذي يفصل مدينة دبي إلى قسمين، هما ديرة ودبيّ، من المتع التي لا يمكن أن أنساها، على الرغم من مرور الأيام، وتعاقب السنوات، كنا خليطًا من أسماك ونوارس، في أيام الصيف، لم نكن أبناء أهلنا، بل كنا أبناء البحر، نمكث فيه الساعات الطوال نسبح ونلهو ونضحك ونصطاد السمك، ونمارس كل طقوس شقاوة الطفولة. الصخور والقواقع تجرح أرجلنا فلا نهتم، الشمس الحارقة تكوي جلودنا فلا نبالي، والقوارب والأبوام تكاد تصدمنا فنتجنبها ونحن نصرخ ساخرين من ملاحيها ونواخذتها، قناديل البحر تلسع ظهورنا وأجسادنا النحيلة بضرباتها القارصة فنمسحها برمال البحر، ونواصل لهونا.

www.ahlaltareekh.com

أعطني تلك الأيام الحبيبة وخذ عمري كله.
القاص الأديب عبد الحميد أحمد، رئيس مجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، والأمين العام لمؤسسة العويس الثقافية، يؤكد بدوره أهمية الخور في حياة أبناء دبي، وبصمته القوية على ذاكرتهم، ويقول إنه هو شخصيًا لم يكن مهتمًا، في مجموعاته القصصية الثلاث، بالخور وتصوير ملامح الحياة على ضفافه، بقدر ما كان مهتمًا بقرية الصيادين، الجميرا، ومحاولة الإمساك بها، وتجسيد تفاصيل الحياة والوجود في كل منعطف من منعطفاتها، بل قد يمكن النظر إلى مجمل إنجازه الأدبي، في أحد أبعاده، بوصفه محاولة للإمساك بذاكرة الجميرا ونقلها للأجيال الشابة، قبل أن تنداح إلى رحال النسيان بشكل نهائي.

الأديب ظاعن شاهين، عضو مجلس إدارة اتحاد كتاب وأدباء الإمارات، بدوره، يبدو أن لديه منظورًا محددًا في النظر إلى الخور وتأمله، وهو يقول إنه يعتقد أن الخور ماثل في وجدان كل أبناء الإمارات، سواء تمكنوا من التعبير الفني والأدبي عن هذه الحقيقة، أم لم يتح لهم ذلك. وهو يروي في هذا الصدد تجربة محددة عاشها، ولها دلالتها التي لا تغيب عن الذهن، ففي أحد أنهار وادي توسكانيا الإيطالي، الشهير بجماله الأخاذ، وجد نفسه ذات غروب، وهو يغمض عينيه من دون أن يرتسم أمام عيني خياله، إلا مشهد الغروب الساحر على خور دبيّ، وهو شعور كثيرًا ما راوده في سفره، في الولايات المتحدة، وأوربا، وعلى امتداد دول آسيا.

ولكن كيف تبدو الحياة بالفعل اليوم على ضفتي خور دبي؟ إن جولة سريعة بالسيارة، أو على الأقدام، أو رحلة بين الضفتين على متن الزورق الصغير المعروف باسم «العَبْرَة» كفيلة بأن تنقل إليك كل هذه الحيوية المتدفقة بالحركة والنشاط، التي تشكل نسيج الحياة اليومية في الخور.

وليست المراكب والسفن التي تحمل البضائع وعروض التجارة هي وحدها التي تنطلق من خور دبيّ، فهناك مراكب الصيد، التي تنطلق خارجة من الخور للصيد في عرض الخليج، في أماكن معينة، يسميها الصيادون «هيرات السمك» في استحضار بارع لـ: «هيرات اللؤلؤ» حيث يمتد أفضل موسم لصيد الأسماك بين شهري تموز- تشرين الثاني/يوليو - نوفمبر. ويعمد الصيادون، إلى جوار الصيد بالشباك، إلى استخدام ما يعرف بـ «القراقير» ويحمل المركب الواحد ٤٠٠ قرقور، يتم حفظ حصيلتها من الأسماك باستخدام ألواح كبيرة من الثلج، يحمل المركب الواحد ما يزيد على ٢٥٠ لوحًا منها. وهي كفيلة بحفظ السمك قرابة ١٥ يومًا في حالة جيدة.

سلع من كل الأنواع وحركة البضائع لا تعرف التوقف على امتداد شواطىء خور دبي

ولكن هل كل ما يتعلق بالخور إيجابي بالضرورة؟
ليس تمامًا، فما أشارت إليه الباحثة الألمانية د. فراوكه هير - بي من المخاطر البيئية التي يتعرض لها الخور، ليست إلا جانبًا واحدًا من مشكلة معقدة، ومن المهم حقًا أن تبذل بلدية دبيّ جهدًا أكبر في هذا المجال.

المصادر والمراجع

١- جولات ميدانية للكاتب على امتداد خور دبي.
٢ - سلسلة من اللقاءات مع الرحالة والأدباء والكتاب.
٣ - حنظل، فالح - معجم الألفاظ العامية في دولة الإمارات العربية المتحدة - أبو ظبي - وزارة الإعلام والثقافة - د. ت.
٤ - كودري ، رونالد - الألبوم العربي: دبي - دبي - دار موتيف إيت للنشر - ١٩٩٣م.
٥- HEARD - BEY, FRAUKE - FROM TRUCIAL STATES TO U.A.E - LONDON - LONGMAN,1982.



www.ahlaltareekh.com

الآن في الأسواق

في هذا العدد

- افتتاحية بقلم:
  سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز
- اليوم الوطني..من خلال إنجازات النقل والمواصلات في عهد خادم الحرمين الشريفين
- تجربة "السعودية" في إعادة الهيكلة والتجديد
- مصمم سيارات سعودي عمره 23 عاما
- الدول العربية لم تستفد بعد من السكك الحديدية
- مونديال القرن والـ 40 مليار مشاهد
- كمبيوتر 2000.. العرب والمشكلة
- مضيق جبل طارق.. ملتقى الحضارات
- أحمد زيدان.. شيخ الاتصالات يروي ذكرياته
- رياضة البراشوت.. رحلة من السماء إلى الأرض
- الجسور البرية.. نشأتها.. تطورها.. ومستقبلها وعلاقتها بالنقل البحري
- أطول طرق ماليزيا من إنشاء القطاع الخاص
- ندوة هامة عن معوقات النقل العام وآفاقه

ومواضيع أخرى عديدة ومتنوعة

مجلة "النقل والمواصلات"

تغطية علمية وشاملة لأهم قطاعات التنمية في العالم



من كتاب العدد الأول

د. ناصر السلوم
د. إبراهيم العواجي
عبدالله عبدالرحمن الجفري
د. أحمد عمر الزيلعي
د. سامي سعيد حبيب
د. عبدالرحمن العمري
د. بندر حمزة حجار

رئيس التحرير

محمد عمر العامودي

للإعلان والاشتراك: وكالة مكة للإعلان
هاتف: 6514148 / 6517570 فاكس: 6530693
الإنترنت: http://www.arab.net/sdc

قصيدة

لكِ القلب يا ليلى

شعر: محمد منذر لطفي

هو الحبُّ.. عاد اليومَ يشدو بمهجتي ... ويمضي بأحزان الفؤاد العصيّة
فلم أر غير الحبِّ يمحو كآبتي ... ولم أر غير الحبِّ يأتي بفرحتي
ولولا الهوى ما كانت الأرض جنّةً ... ولا كانتِ الدنيا مواسم بهجة
ولي في مغانيها عروسٌ مُحبّبةٌ ... زرعتُ هواها في فؤادي ومقلتي
وما وجدُها.. آن العشيات والضحى ... إذا ما رنَتْ.. إلا كوجدي وصبوتي
وما هي إلا الشعر والعطر والسّنى ... تألّق عن خمس وعشرين حجة
وإني محبٌّ أغزل الشعر عاشقًا ... وأُهدي اللآلي دُرّةً إثر درة
فرائد لم تخطر ببالٍ وخافقٍ ... لتُرضي غرور الحسن عند أميرتي
أحبُّك.. هل قالت لك الغيد إنني ... أحبُّك؟ هل قلّبنَ في الحب صفحتي؟
وهل رحن يملأن الجرار من الهوى ... مساءً؟ وهل أشعلن في الليل شمعتي؟
ويا طلعة حسناء راح يلفها ... نسيم الهوى «من حيث لم تك ظنّت»
تمنّت حبيبًا شاعرًا وقصيدةً ... فكان لها عند اللقا ما تمنّتِ
و«ليلى».. كما شاء الهوى.. عامريةٌ ... ببالي منها ألف روضٍ وروضة
إذا أقبلت فالزهر بعض جمالها ... يُعطّره ورد الصَّبا والمحبة
وإن أدبرت فالشهب بعض رفاقها ... تقرّى خطاها نجمة بعد نجمة
و«ليلى» بعينيها من السِّحر جنة ... أطير إليها في رقادي وصحوتي
أفيء إليها في نهاري وفي الدجى ... أقبّلها حُبًّا فتندى بقبلتي
أيا جارتا إني أذوب صبابةً ... أذوب وفي مغناك ألقى تعلّتي
فأنت لي البدر المُضيء وإنني ... أهيم بشمسٍ منك تغتال عتمتي
أحبُّك حُبَّ الزهر للفجر والنّدى ... وحُبَّ العذارى للنجوم المضيئة
و«ليلى» يغار الحسن منها وإن بدت ... تُضوّئ - حبًّا - ألف ليل وليلة
ويا حادي الأشواق يا ساقي الهوى ... ظمئتُ وإني قد أموت بغُلّتي
ويا أنت يا حسناء يا أجمل الرؤى ... ويا موسمًا للحبّ ثرّ المودّة
أفيضي علينا من طيوبك نفحة ... فأنت رياضي العاطرات وجنّتي
وأنتِ لي الأعراس في الصبح والمسا ... وأنت نعيمي في الحياة وبهجتي
لك الحبُّ والشِّعرُ الموشح بالسّنى ... لك القلب يا «ليلى» فأنتِ حبيبتي

www.ahlaltareekh.com

أقوال الماضي للحاضر

نظرة ونظرة



د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر

يختار إنسان قولاً أو فعلاً، فكّر فيه قليلاً أو كثيراً، أو لم يفكر فيه بعمق، فيحكم الناس على بعض هذه الأقوال أو الأعمال أحكاماً متباينة؛ فمن مستحسن، ومن مستهجن، وكل واحد عند التطلع للسبب، من آخرين، يعطي مسوغاً مقبولاً، ولا يسع المراقب إلا أن يُعجب بالرأيين، إذا كانا متماثلين في القوة، بعيدَين من التكلف، صادقَين فيها قصدا إليه، لا تحيز فيهما، ولا محاباة، ولا عناد.

وبعض الناس يغلب عليه، في نظرته إلى أقوال غيره وأفعاله، الخير، فيعلل بعض الأعمال، التي قد تبدو مُنتَقَدة، بما يقنع بأنها خلاف ذلك، وأنها غير منتقدة، بل ممتدحة، وصاحبها موفق، وعلى الطريق السليم، لأن مصدر الحكم ينظر إليها من زاوية مضيئة، في حين أن غيره ينظر إليها من جانب مظلم، فيغلب ذلك على ما يأتي من حكم. ولعل النية تؤدي دوراً فعالاً في نجاح الرأي، وقبوله، إذا كان الخير يكمن فيه، فإضمار الخير محفة تحمل صاحبها إلى هدف منير، من طريق مضمار منبسط سهل.

والمواقف التي مثل هذه تكون قيمتها، في المجتمع الذي تأخذ الحادثة مكانها فيه، متناسقة معه؛ فالحديث العابر في دكان صراف غيره في مجلس زعيم كبير، خاصة إذا كان له سلطة قد يأتي منها النفع أو الضرر، وقد يكون بإمكانها التقريب أو الإبعاد؛ والخلفاء لمجالسهم أهميتها، وما يقال فيها له نتائجه؛ ولهذا كان من الشرف أن يحضر هذه المجالس من يظن أنه يليق بها.

ومجالس الخلفاء لها روح خاصة، يحتاج من يكون فيها إلى أن يمشي على الشوك حتى يتقن حسن الاستماع، وحسن الحديث، لما يأتي من كلمة تقال، قد تجلب فائدة، أو تنزل عقابا. والخلفاء، ومن في حكمهم، لهم نظرة ثاقبة سلّحهم الله بها، وهم يستخدمونها منذ نعومة أظفارهم؛ فتنمو معهم، وتساعدهم على إدارة مجالسهم بما يعود بالنفع والصالح؛ وقد دُوِّن، عن هذا، في الأدب العربي، أخبار كثيرة، بعضها يُري حسن التصرف من الجلساء، وبعضها يُري بعض الزلات التي يخجل منها حتى قارئ اليوم.

وهذه الأخبار تكفلت بها كتب الأدب، وملأت بها أبوابا وفصولاً، وهي من أهم ما حرصوا على

www.ahlaltareekh.com

تسجيله؛ فمعاوية، مثلاً، روي عنه، وعن مجالسه كثير، ومثله كذلك عبدالملك بن مروان، وأبو جعفر المنصور، والمهدي، والهادي، وهارون الرشيد، والمأمون، والمعتصم، وسيف الدولة فيما بعد؛ وقبل هؤلاء جميعًا الخلفاء الراشدون، ويأتي في القمة، قولاً، وتدوينا، ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وما يهمنا، في هذا المقام، ما بدأنا به الحديث، وهو التعليل الموفق لما قد يبدو معيبًا، والقصة الآتية خير مثل على ذلك:

«حضر أبو الهذيل على مائدة المعتصم، فقال:

يا أمير المؤمنين، إن الله لا يستحيي من الحق.

غلامي، وحماري بالباب.

فقال المعتصم لإيتاخ، الحاجب:

مُر لحمار أبي الهذيل بعلف، ولغلامه بطعام.

فقال أحمد بن أبي دواد:

ألا ترى، يا أمير المؤمنين، إلى متانة دين هذا الشيخ، وتفقده لما يلزمه؟ لم يمنعه جلالة مجلسك عما يجب لله عليه في حماره وغلامه؛ فجعل أحمد ما قدّره الناس محوجًا إلى الاعتذار منه شهادة له بالفضل».

(التذكرة الحمدونية: ٩/٨٨).





شعر: **د. عبده بدوي**

ولما قضينا العام بين مواجعٍ ... وجهد.. ووجّهنا خطانا إلى المدنْ
ولاح لنا شيءٌ من الشّدو مقبلا ... بحثنا لهذا الشّدوِ في الليل عن فن
وكان بقربي صاحبٌ أستميله ... وأبصر في عينيه كلَّ الذي حسُن
يُحدِّث أطفالي عن العالم الذي ... يُضيء بعيدًا عن شرورٍ وعن محن
له عالم السُّياح فهو بزورقٍ ... يسير ولا يرسي، ويمشي ولا يَهِن
لقد كان مسراه إلى القول عالمٌ ... جميلٌ من الشّعر الذي فيه قد سكن
يحدِّث عنه في الحضارة مُشرقًا ... فتُقلع أرواحٌ بأشرعة السُّفن
وآنا مع اللّوحات يرسم عالمًا ... فتزدهر الألوان في السر والعلن
وفي مرّة يعطي «البيان» أصابعًا ... فيصبح هذا الكون في حافَة الأذن
لكننا كُنا نرى أن لمسةً ... من الحزن تعروه، وترجُّ في البدن
فنسكت عن جرح يُطلّ بقلبه ... ونأخذ في شيء من القول مؤتمن!

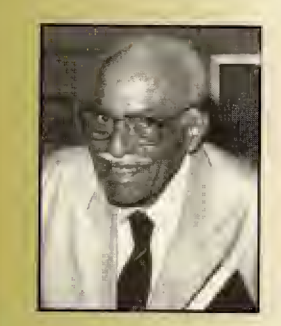
* * *

وفي مرّة.. لاغاه طفلي ضاحكًا: ... «تُرى أين تقضي الصيف فالصيف قد أذن؟»
فأظلم منه الوجه من فوق آهةٍ ... وأجهش في الهدبين شيء من الحَزَن
وضاع مساء كان يندى بصوته ... وظلّلنا طيرٌ غريبٌ من الشجن
تعجّب طفلي، ثم قال بحسرة: ... تُراني قد أخطأت؟».. قلتُ: «بل الزمن؟
فعمُّك هذا ليس يرسو بشاطئ» ... فقال: «لماذا؟» قلت: «ليس له وطن!»

www.ahlaltareekh.com

الشخصية الإسرائيلية (٣)

مقوّمات ثلاث للشخصية الإسرائيلية



د. حسن ظاظا

لقد رأينا حتى الآن من مقوّمات الشخصية الإسرائيلية:

أ ـ التعصب العنصري حول أسطورة خاصة بالأعراق والأنساب.

ب ـ التعصب الديني حول شريعة عدّها اليهود خاصة بهم لأنهم شعب الله المختار.

اج ـ حتمية الصراع، وفناء أمم العالم أمام إسرائيل.

ولما كانت هذه المقوّمات الثلاثة تدور حول فكرة واحدة هي فكرة الامتياز والاستعلاء والانفصال عن البشر؛ فقد اقتضى ذلك في الفكر الإسرائيلي بعض التفصيلات المهمة التي دعمت تلك المقومات.

إيمان اليهود العميق بحقارة الأمم

فمن ذلك الإيمان العميق بحقارة أمم العالم. واللغة العبرية تميزهم بلفظ خاص بهم هو «الجوييم».

واشتقاق لفظة الجوييم هذه ما يزال إلى الآن غامضًا، يثير نقاشًا طويلاً بين العلماء. فبعضهم يؤثر التوقف ويقول: لا أدري؛ بينما يحاول آخرون أن يلتمسوا للمفرد «جوي» وجمعه «جوييم» أصلاً في اللفظة العبرية «جوية» التي معناها «جثة» أو «جسد» أو حتى «رمّة». ووجدوا أن لفظة «جوي» كثيراً ما استعملت بمعنى «شخص» أو «نفس». فقد جاء في التوراة قوله: «أتقتل نفسًا (جوي) بريئة؟» (التكوين ٢٠:٤). وفي نص آخر: «في بطنك اثنان من النفوس (جوييم)» (التكوين ٢٥:٢٣). وواضح أن المقصود هنا (ولدان) أو (جنينان)، وإن كان المفسرون اليهود قد فسروا ذلك هنا بأنه سيخرج من بطن رفقة ـ زوجة إسحق ـ شعبان: الأدومي والإسرائيلي. ومن العلماء من لا يستبعد أن تكون الكلمة من أصول غير سامية قديمة جداً، جاءت إلى العبريين من حيث لا يعلمون. ويثير اهتمامنا استعمال لفظة «جوي» للدلالة على الحيوانات المتجمعة في قطيع، أو الطيور والحشرات والهوام التي تتحرك في أسراب. ويعبر النبي صفنيا عن ذلك بقوله: «حيوانات الشراذم (جوي)» (صفنيا ٢:١٤). ويحوم النبي يوئيل حول الفكرة نفسها إذ يقول في موعظة له: «بقية الهوام أكلها الجراد، وبقية الجراد أكلها الجندب، وبقية الجندب أكلها الدبيب. استيقظوا أيها السكارى، وابكوا وولولوا على الرحيق الذي انقطع عن أفواهكم، يا جميع شاربي الخمر. فإن أمة (جوي) قد زحفت على أرضي، وهي عظيمة لا تحصى، أسنانها أسنان أسد، ولها أنياب السباع» (يوئيل ١:٤-٦). ولا نستبعد أن يكون قدماء الساميين قد استعملوها بمعنى الهوام والحشرات التي تزحف في جموع كبيرة، مكرّرة مرتين للتهويل؛ فكانوا يقولون مثلاً: «جوي ـ جوي»، ومن هذا التركيب الازدواجي بقي في لغتنا العربية «غوغاء» ومعناه أيضًا جموع الجراد ونحوه من الحشرات، ثم انتقل إلى معنى الكثير المختلط من الناس، ثم أصبح يدل على السوقة والأشرار خصوصاً.

وقد سلكت «جوي» في العبرية الطريق نفسه في تطورها، من إفادة معنى الهوام والحشرات، إلى اختلاط الناس، ثم إلى سفلتهم وأشرارهم. ومن هنا خصصتها العنصرية الإسرائيلية منذ القدم للدلالة على الناس جميعًا من غير بني إسرائيل، وأمثلة ذلك في الكتاب المقدس كثيرة منها: في اللاويين ٢٦:٣٣، نحميا ٥:٨، المزامير ٩:٢١، أشعيا ٤٢:٦.

ثم توسّع أحبار اليهود في مدلول الجوييم، فأضافوا إلى الكلمة معنى القذارة المادية والروحية، والكفر. وأصبحت كلمة «جوي» عندهم سبة، لدرجة أن اليهودي الذي يتعدى حدود الدين كان يُشتم بها. واقتران معنى هذه الكلمة على ألسنة متعصبي اليهود بالسب والتعيير جعلهم إذا أرادوا الإشارة إلى شعب من غير اليهود، يريدون مع ذلك ألا يشتموه أو يحقروه، استعملوا كلمة «أمة» بنطقها العربي نفسه، أو كلمة «لأوم» بدلاً من «جوي».

ولم يقف اليهود في شغفهم باحتقار الأمم الأخرى عند تسميتها «جوي»؛ بل ظهر إلى جانبها عدد من ألفاظ السباب أشهرها «عاريل» ومعناها «الأقلف»، أي الذي لم تجر له عملية الختان أو الطهارة، بل بقي بدائيًا، وهو بهذه الحالة قذر كافر في آن واحد.

وهناك أيضًا من ألفاظ السباب «ممزير» ومعناها «ابن الزنا». وقد وردت لفظة عاريل وصفًا لأبناء الشعب الفلسطيني الأصلي (١ صمويل ١٧:٢٦). كما جاءت للدلالة على أشرار الناس وأوباشهم عمومًا، من غير بني إسرائيل طبعًا(!) (القضاة ١٥:١٨). واستعملت لفظة ممزير كذلك نعتًا للفلسطينيين من أهل أشدود (زكريا ٩:٦)، كما دلت على كل شعب حقير مختلط الأنساب في مواضع كثيرة من النصوص المقدسة.

وأخيرًا اتجهت العقلية الإسرائيلية، من خلال تعصبها العنصري، إلى تخصيص مدلول الشتم والمسبة في هاتين اللفظتين، فأصبحت لفظة عاريل من نصيب النصراني لأن الختان غير شائع عنده. أما لفظة ممزير، أي ابن الحرام، فقد آلت إلى المسلم، لأنه في تفكير أصحابها مولود من سيدنا إبراهيم ولكن من طريق هاجر، التي يعدونها أجنبية وجارية. فكل من ينتمي إليها، منتسبًا بالأصل أو بالدين إلى سيدنا محمد صلى

www.ahlaltareekh.com

الله عليه وسلم - وهو من سلالة سيدنا إسماعيل - يُعدّ في هذا الفكر اليهودي العنصري المتحجر الفاجر من أبناء الحرام: «ممزير».

مديح اليهود لأنفسهم

وفي مقابل هذه الشتائم التي وصم بها العبريون الأمم الأخرى، كثرت صفات المدح والتعظيم التي خلعوها على أنفسهم. وقد رأينا منها عبارات: شعب الله المختار، الشعب الأزلي، الشعب الأبدي. وتقابلنا صفات أخرى ظهرت في فترات متفاوتة من التاريخ. فهم «شعب مقدس»، لايقف أمر قداسته عند طاعة الله وعبادته، بل يتعدى ذلك إلى إهدار دم الأمم الأخرى واستباحة أموالها وأعراضها وأوطانها: «لا تقطع لهم عهداً، ولا تشفق عليهم ولا تصاهرهم، لا تعط بنتك لابنه، ولا تأخذ بنته لابنك، لأنه يرد ابنك عني، فيعبد آلهة أخرى، فيحمي غضب الرب عليكم، ويهلككم سريعًا. ولكن هكذا تفعلون بهم: تهدمون مذابحهم، وتحطمون أنصابهم، وتقطعون سواريهم، وتحرقون أصنامهم بالنار، لأنك أنت شعب مقدس للرب إلهك، إياك اصطفى الرب إلهك لتكون له شعبًا أخص من جميع الشعوب التي على وجه الأرض. ليس من كونكم أكثر عدداً من سائر الشعوب التحم الرب بكم، بل هو اختاركم لأنكم أقل من سائر الشعوب، من محبة الرب لكم، وحفظه القسم الذي أقسم لآبائكم» (التثنية ٧: ٢-٨). وتكرر هذا الدرس في العنصرية البغيضة في قوله: «لأنك شعب مقدس للرب إلهك، وقد اختارك الرب لتكون له شعبًا خاصًا، فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض» (التثنية ١٤:٢). فهم كما قلنا «شعب الله» وبالعبرية «عام ألوهيم» وهي تسمية وردت في كتابهم (٢ صمويل ١٤:١٣).

العنصرية في التنظيم الاجتماعي الإسرائيلي

كان موقف العداوة الذي وقفه اليهود من جميع أمم العالم - على ضعفهم وقلة عددهم - سببًا في شعورهم الدائم بالخوف. كانوا يخافون من العزلة التي فرضوها على أنفسهم، كما كانوا يخافون من الاندماج، ويرون فيه تهديداً بضياع كل تراثهم، وهي عقدة مرضية في شخصية الإسرائيلي، أساسها الشعور بالبناء الهش المتهافت الذي لا يستطيع الثبات أمام الحضارات الشامخة التي تبنيها الأمم الأخرى، وكأن الإسرائيلي قد آثر أن يظل بدويًا جاهلاً متخلفًا يشمئز من التقدم، ويخاف من المدنية.

فلما أصيب المجتمع الإسرائيلي بالتشريد على أيدي الرومان سنة ٧٠ ميلادية، فكّر أقطابه في أن يؤلفوا نوعًا من الحكومة السرية التي تسهر على بقاء التكتل العنصري، وتضمن عزلة شبه كاملة لتلك الطائفة وسط أمم العالم.

وكان أول شكل من أشكال هذا التنظيم العنصري هو «السنهدرين»، وهو المجلس الأعلى الذي يحكم الطائفة، ويملك وحده حق الحل والعقد في شؤونها.

والسنهدرين كلمة دخيلة على اللغة العبرية بعد عصر الكتاب المقدس بأجيال، وأصلها يوناني «سوندريون» بمعنى: المجلس، أو الجمعية، أو الهيئة الاستشارية، من فعل في اللغة اليونانية هو «سوندريو» معناه: اجتمع. واستعمل اليونان لفظة «سوندريون» في لغتهم للمؤتمر السياسي الذي ينعقد على أثر الحروب، ولهيئة أركان الحرب، كما عبروا بها عن المحكمة العليا، وكذلك مجلس الشيوخ.

واستعملها المؤرخ اليهودي يوسيفوس في القرن الأول الميلادي، في حديثه عن التنظيمات الجديدة التي أدخلها «جوبينوس» الحاكم الروماني على الشام سنة ٥٧ قبل الميلاد، عندما قسم فلسطين خمس محافظات، وجعل لكل محافظة هيئة حاكمة تسمى «السنهدرين»، وكانت أورشليم إحدى هذه المحافظات الخمس.

وأوضح كثير من محققي التاريخ اليهودي أن استعمال هذه الكلمة اليونانية بين اليهود أقدم من ذلك، يرجع إلى القرن الثاني قبل الميلاد. وقد ترجموا بها اللفظة العبرية الفصحى «زقينيم»؛ أي شيوخ الجماعة؛ اقتداء بموسى عليه السلام الذي اختار من قومه سبعين رجلاً، هم أعضاء المجلس الذي يحكم بني إسرائيل. ولا ندري كيف كانوا يحكمون على أيام موسى، ولكننا نعلم أنهم في عصور ما بعد السبي البابلي كانوا يقومون بالمشورة والإفتاء وتنظيم الهيكل والقضاء بين الناس، كما كانوا هم الذين يصدرون أحكام الإعدام. وكانت هذه المهمة الأخيرة دقيقة جداً بالنسبة إليهم، فكانوا يعنون بالبحث عن الشبهات والظروف المخففة حتى لا تكثر أحكام القتل، احتراساً من قول التلمود: «إن السنهدرين الذي يقتل واحداً كل أسبوع لجدير بأن يسمى مخرباً».

وقد نظم أحبار التلمود السنهدرين فجعلوه على درجتين:

- السنهدرين الأعظم: وهو المجلس الأعلى المركزي لجميع اليهود، ويتألف من سبعين رجلاً على رأسهم واحد ينوب عن موسى، هو الملك إن وجد، أو الحاخام الأكبر. وكانوا إذا اجتمعوا جلسوا في نصف دائرة.

- السنهدرين الأصغر: وهو مجلس محلي لكل تجمع يهودي، يتألف من ثلاثة وعشرين عضواً. وقد ورد في التلمود أن مدينة أورشليم كانت تمتاز بمجلسين من السنهدرين الأصغر، ينعقد كل منهما عند باب من أبوابها، إلى جانب السنهدرين الأعظم الموجود بها أيضًا. وكان السنهدرين الأصغر محكمة تقف في القضاء عند درجة معينة لا تتعداها، إذ تذهب القضايا الكبرى إلى السنهدرين الأعظم.

ألفاظ السباب التي وصم بها العبريون الأمم الأخرى كثرت في مقابلها صفات المدح والتعظيم التي خلعوها على أنفسهم!

ورئيس السنهدرين الأعظم كان يحمل لقب «أمير» - بالعبرية «ناسي» - ويتخذ مكانه في وسط الأعضاء، بصفته خليفة موسى. وكان اختياره يتم بالانتخاب بين الأعضاء، ولم يكن يشترط فيه أن يكون أكبرهم سنًا، ويكتفى بأن يكون أوسعهم علمًا وأشدهم غيرة على الدين وأعمقهم وعياً بمصالح اليهود.

وفي التلمود جزء خاص بهذا التنظيم عنوانه «السنهدرين»، نشعر من قراءته بأنه كان، كما قلنا، حكومة سرية لليهود، واجبة الطاعة، نافذة الأحكام. ومن هذه الأحكام: الإعدام، وكان ينفذ بالسيف وبالشنق بالحبال وبالصلب، ولا يستثنى من ذلك كبار المسؤولين كالملوك الفسقة والكهنة المنحرفين والأنبياء الكذبة. ونحن نعلم أن سنهدرين أورشليم هو الذي أصدر حكم الصلب على سيدنا عيسى المسيح عليه السلام. ويستفاد من أقوال التلمود أن أحكام الإعدام في الجنايات العادية كانت تصدر على أبناء العوام والسوقة من السنهدرين الأصغر، وكان ذلك كافيًا.

وقد أشرنا إلى نظام جلوسهم عند الاجتماع. وكان لترتيبهم جنبًا إلى جنب وصفًا وراء صف أحكام دقيقة يراعونها، ولهم أوقات محدّدة يجلسون فيها - كلهم أو بعضهم - للفصل في أمور الناس، ولهم جراية مرتبة تغنيهم من العمل، بحيث ينقطعون لخدمة المجتمع اليهودي.

وتقول المأثورات التلمودية إن السنهدرين الأعظم قد استمر في القيام بمهمته في أورشليم حتى في عهد الحكومة الرومانية بفلسطين. وذكروا أن مكان اجتماعه كان عند باب «جزيت» من أبواب المدينة، وهو سوق الصوف الذي يباع بعد جزّ الغنم. ويبدو أنه في الجهة الشمالية من الهيكل.

وعندما ساءت العلاقات بين اليهود والرومان، تقرر طرد السنهدرين وإلغاؤه من أورشليم، كما ورد ذلك في التلمود (باب السبت ١٥). وقالت الرواة: إن الأربعين سنة الأخيرة قبل تدمير الهيكل اليهودي سنة ٧٠ ميلادية شهدت جلاء

www.ahlaltareekh.com

السنهدرين من أورشليم، فكان ينعقد سراً في بعض الأماكن المجهولة من الرومان؛ كبعض الحوانيت التي يملكها تجار من اليهود، أو بعض الساحات القريبة من الهيكل. وطارده الرومان بلا هوادة، فكان الأعضاء يجتمعون في مخابئ حول أورشليم، ثم هربوا إلى بلدة «يبنة» غربي القدس، ثم إلى قرية بمنطقة الجليل في شمالي فلسطين اسمها «أوشا»، ثم إلى يبنة من جديد، وعادوا إلى أوشا، ومنها إلى بلدة يسميها التلمود «شفر عام» وهي «شفا عمرو»، ثم إلى «بيت شعاريم» بالقرب من صفورية، ثم إلى «صفورية» بالجليل الأعلى «قضاء الناصرة»، ثم انتهى بهم المطاف إلى «طبرية».

ويزعم مؤرخو اليهود أن السنهدرين استمر في ممارسة سلطاته خارج فلسطين قرونًا طويلة، جعلها بعضهم تسعمئة سنة. وفي بعض النصوص الدينية اليهودية نشعر بأن السنهدرين الأعظم في أورشليم على عهد الرومان لم يكن واحداً بل اثنين، أحدهما سياسي والآخر ديني وقضائي. وربما كانت الحقيقة أنهما وظيفتان لجماعة واحدة.

وعند اختفاء السنهدرين في العصور الوسطى، حل محله «القهل» أو «القهيلة»، التي سنعطي عنها فكرة في هذا البحث أيضاً. أما اسم السنهدرين فلم يعد إلى الحياة عند اليهود إلاّ في فرنسا في عهد نابليون بونابرت(١). ففي ٦ أكتوبر/ تشرين الأول سنة ١٨٠٦م جمع نابليون الحاخامين اليهود في مؤتمر بباريس، وقدم لهم ورقة أسئلة يريد بها أن يعرف درجة ولاء اليهودي الفرنسي للوطن، وهل يتعارض هذا الولاء مع الشريعة الإسرائيلية.

وكانت الأسئلة هي:

- هل تعدّد الزوجات مباح في الشريعة اليهودية؟
- هل يملك اليهودي حق الطلاق دون الرجوع إلى القضاء الفرنسي؟
- هل يجوز زواج اليهودية من نصراني، وكذلك العكس؟
- هل يعتقد اليهودي الفرنسي أن النصراني الفرنسي غريب من «الجوييم»؟
- ما الروابط التي تربط اليهودي الفرنسي بالوطن حسب الشريعة الإسرائيلية؟
- هل يلتزم اليهودي الفرنسي كل واجبات المواطن حتى الخدمة العسكرية؟
- من الذي ينتخب الحاخامين؟
- هل يملك الحاخام سلطة محاكمة اليهودي ومعاقبته خارج قوانين الدولة؟
- هل اختيار الحاخام وسلطاته نابعة من الدين، أم هي مجرد تقاليد؟
- هل هناك حرف وأعمال يحرمها الدين اليهودي على أتباعه؟
- هل تحرم الشريعة الربا بين اليهود؟
- هل تبيح هذه الشريعة لليهودي الربا من غير اليهود؟

وجعل نابليون الاجتماع على شكل «سنهدرين» من مئة وأحد عشر عضواً من الحاخامين ورؤساء العائلات اليهودية الكبيرة. وكان على هذا المجلس أن يختار من بينه لجنة من تسعة أعضاء لتنسيق الإجابة عن هذه الأسئلة. ولما كانت إيطاليا في ذلك الوقت تحت حكم نابليون فقد شملها القرار، كما حضر مئة وأربعة من رجال الدين وأعيان اليهود من بلدان أخرى بصفة مراقبين ومستمعين. وتولى رئاسة الجلسات الحاخام دافيد زينتسهايم، حاخام استراسبورج الأكبر، يعاونه نائبان هما: يوشع بنزايون سجري حاخام فرساي، وأبراهام دي كولونيا حاخام مانتوا.

وعُقد أول اجتماع لهذا السنهدرين في إحدى قاعات البرلمان الفرنسي بباريس، في ٩ فبراير/ شباط سنة ١٨٠٧م. فألقى الرئيس خطبة بالعبرية والفرنسية ضمنها تحية لفرنسا وباريس ونابليون. وأعقبه أحد وجهاء اليهود الفرنسيين وهو النائب البرلماني «فورتادو» فألقى كلمة باسم الحكومة. وكانت الجلسة الثانية لهذا السنهدرين يوم ١٢ فبراير/ شباط، وفيها قام ثلاثة من الحاضرين من مجلس القهل الهولندي في أمستردام، وهم: آشر، وليمون، وليتفاك فاشتركوا في المناقشات، الاثنان الأولان بالفرنسية والأخير بالعبرية. لكن الحاخام رئيس الجلسة رد عليهم بالعبرية طالبًا منهم عدم الاشتراك في المناقشات، تنفيذًا لأمر الإمبراطور الذي جعل هذا المؤتمر خاصاً بيهود فرنسا فقط. كما أبلغهم ذلك المندوب البرلماني.

واستمرت الجلسات أيام ١٦، ١٩، ٢٣، ٢٦ فبراير/ شباط، ويوم ٢ مارس/ آذار أيضًا، حتى تمت الإجابة عن أسئلة نابليون. وفي الجلسة الثامنة للسنهدرين، يوم ٩ مارس/ آذار، سُمح بالكلام لبعض المراقبين اليهود غير الفرنسيين، ورد عليهم الحاخام الأكبر زينتسهايم بأن مقررات هذا المؤتمر يرجى منها أن تكون لصالح الأمة الإسرائيلية جمعاء.

ورفع السنهدرين مقرراته إلى لجنة برلمانية اجتمعت يوم ٢٥ مارس/ آذار، ثم عادت إلى الاجتماع يوم ٦ أبريل/ نيسان، فأقرت الإجابات التي صدرت عن هذا السنهدرين الحديث، وأدخلتها ضمن قوانين الأحوال الشخصية للدولة. وتتلخص الإجابات المذكورة فيما يلي:

- تعدد الزوجات محرم على اليهود بفتوى من الربي «جرشوم».
- لا مانع من أن تكون أحكام الطلاق لليهود صادرة من محاكم الدولة.
- الزواج اليهودي رباط قانوني بين الزوجين مطابق لقوانين البلاد.
- الزواج المختلط بين اليهود وغيرهم صحيح مدنيًا باطل دينيًا.
- مفروض على اليهودي عدّ مواطنه غير اليهودي أخًا له كابن دينه.
- يعدّ اليهود أوطانهم التي ولدوا فيها أو هاجروا إليها كأرض آبائهم تمامًا.
- لا تحرم الشريعة اليهودية أي نوع من الحرف أو الفنون أو الأعمال.
- توصي الديانة اليهودية بممارسة الزراعة والصناعة والحرف كما صنع الآباء في فلسطين.
- الربا محرم على اليهود فيما بينهم، وكذلك مع أبناء الأمم الأخرى النصارى.

إجابات أعضاء السنهدرين عن أسئلة إمبراطور فرنسا كان الغرض منها اكتساب حقوق مدنية في الدستور الفرنسي، لكن أملهم خاب!

ونلاحظ من خلال هذه الإجابات، ومن تحريم المناقشة على اليهود غير الفرنسيين، أن هذا السنهدرين كان دبلوماسيًا أكثر منه شرعيًا. وبصراحة كان ينافق الإمبراطور، بقصد اكتساب حقوق مدنية في الدستور الفرنسي، ولو كان ثمن ذلك إجابات تتضمن كثيراً من الغش والانحراف عن منطوق الشريعة ومفهومها في العقل اليهودي. ومنذ نحو سبعين عامًا وصفت دائرة المعارف اليهودية الأمريكية هذه القرارات بأنها تفوح منها روائح التطوير، والبرامج الإصلاحية «الريفورم» التي كانت أعراضها قد بدأت في الظهور في ذلك الوقت نفسه في ألمانيا وهولندا. وأضافت هذه الموسوعة العبرية أن المجتمعين في هذا السنهدرين كانوا - كما قلنا - يريدون الحصول لليهود على المساواة في الحقوق بأي ثمن، ولكن أملهم قد خاب عندما صدرت قوانين نابليون في ١٧ مارس/ آذار سنة ١٨٠٨م، وفيها تحديد حقوق اليهود.

وبمقابلة سنهدرين نابليون بما ورد في التلمود نجد أنه لم يحتفظ من سلفه القديم إلاّ بالاسم فقط، أما المسمّى فقد تغير تمامًا، إذ أصبحت سلطاته استشارية بحتة

www.ahlaltareekh.com

ليست لها قوة النفاذ، وهي في الوقت نفسه محلية لا تخرج عن حدود فرنسا، وحتى في فرنسا نفسها لا تعترف بها الحكومة إلا إذا اعترف السنهدرين بسيادة هذه الحكومة غير اليهودية عليه، وأولوية قوانينها على شرائعه. ومن هنا يتبين أن صفة الدبلوماسية والنفاق التي وردت في حكمنا عليه لم تأت عفواً. وليس الانحناء للعاصفة ومداهنة ذوي القوة والبأس بالشيء الجديد في الشخصية الإسرائيلية.

وإذا كنا قد رأينا السنهدرين يمارس سلطاته على اليهود علناً عندما كان لهم في فلسطين - على أيام اليونان والرومان - حكم ذاتي هناك، ورأينا نزول السنهدرين إلى سراديب النشاط السري بعد الصدام بين اليهود والرومان، فإن الشتات الإسرائيلي في أرجاء الأرض قد جعل من بقاء «سنهدرين أعلى» يبسط سلطانه على جميع يهود العالم أمراً مستحيلاً. والذين قالوا من اليهود إن هذا المجمع المركزي لمدينة أورشليم قد ظل على قيد الحياة، يعمل في الخفاء، في قرون الشتات، إنما تعلقوا بتقليد ذي قدسية عندهم أرادوا أن يصونوه بأي ثمن. فالسنهدرين - أي المجلس الحاكم - بدا من خلال التلمود كأنه رمز للتماسك القوي، العنصري والديني، لليهود، وكان من الصعب على عقول يهودية كثيرة أن تتأقلم في حياة ليس فيها سنهدرين. أما التنظيم الاجتماعي الذي حل عملياً محل السنهدرين بين يهود الشتات فهو «القهل»، الذي أشرنا إليه، أو «القهيلة».

وقبل أن تصبح هذه الكلمة ذات مدلول اجتماعي خاص في حياة اليهود المشتتين في الأرض، كانت تُستعمل في البداية بمعنى «الاجتماع» أو «الجماعة». وهي ترتبط في اشتقاقها اللغوي القديم بلفظة «قول» بمعنى النطق، وهي في العبرية تدل على الصوت والصياح والنداء. فالقهل هو مجموع الناس الذين تبلغهم الدعوة فيأتون للاجتماع. وفي التوراة «بيوم ها قهل»؛ أي «في يوم الاجتماع» (التثنية ١٦:١٨). ومن ثم أصبح القهل هو الهيئة التي تدعى عند المهمات، كقول النبي يوئيل «قدشو قهل» أي «قدسوا الجماعة» في خطبة له قد تزيدنا فهماً لهذا المعنى إذ يقول: «اضربوا بالبوق في صهيون، كرسوا صوماً، نادوا باعتكاف، اجمعوا الشعب، قدسوا الجماعة، احشدوا الشيوخ، اجمعوا الأطفال وراضعي الثدي، ليخرج العريس من مخدعه، والعروس من خدرها. ليبك الكهنة خدام الرب، بين الرواق والمذبح، ويقولوا: ارحم شعبك يا رب، ولا تسلّم ميراثك للعار حتى تجعلهم الأمم عبرة» (يوئيل ٢:١٥-١٧). فنحن نرى أن القهل هنا هو جمهور المجتمع اليهودي كله عندما يدعون من أجل مهمة تجتاحهم جميعاً، من الكهنة إلى العامة والرجال والنساء والأطفال، يأتون على صوت الأبواق وصيحات النداء. وتأتي لفظة «قهيلة» بالمعنى نفسه تقريباً، وقد ورد في التوراة «قهيلة يعقوب» بمعنى «جماعة يعقوب» (التثنية ٣٣:٤).

وقارئ التلمود والمدراش - وهي من الأدب اليهودي بعد الشتات الروماني - يجد أن القهل أو القهيلة تمثل جمهور اليهود المتجمعين في منطقة واحدة. وكان لهم مجلس إدارة يسمى بالعبرية «عدة» أي مؤتمر الجماعة، ويوصف أحياناً بأنه المجلس الملي المقدّس، بالعبرية «عدة قدوشه». وظهرت بجانب هذا لفظة «صبور». وكان معناها مختلفاً عن القهل، فهي جماعة من المشتركين في طقوس دينية جماعية على التخصيص. ونقرأ في نصوص الشريعة الإسرائيلية مثلاً أنه لا يمكن حسبان صلاة الجماعة في المعبد جائزة إلا بحضور عشرة على الأقل، وأغلب فقهاء اليهود ينصّون على أن يكونوا عشرة رجال، ولا تدخل النساء في هذا العدد. ويطلقون على الحاضرين لصلاة الجماعة لفظة «صبور»، وهي لفظة لم ترد في الكتاب المقدس، بل هي من المستحدثات الكهنوتية بعد عصور الأنبياء.

مقوّمات ثلاث للشخصية الإسرائيلية

كانت الجالية اليهودية بعد الشتات تتكتل وتعيش في عزلة عن البشر الذين يحيطون بها. وكانت دائماً تُكوِّن لها تنظيماً اجتماعياً لا تعلم عنه الدولة شيئاً، تسمّيه بتحريف آرامي تلمودي «قهلا قديشا» أي «الجالية المقدسة». وغرضها من ذلك - كما أسلفنا - هو أن تحمي نفسها من الاندماج والذوبان في «الجوييم».

وكان لكل جالية مجلس إدارة يتكون من سبعة من وجهاء اليهود في البلد، يتصدرهم «العائل»، بالعبرية «برناس»، أو المدبر، بالعبرية «جزبار»، الذي تطور مع الزمن فأصبح «المدير المالي» أو «أمين الصندوق». وكان زعيم الطائفة يسمّى أحياناً «رئيس الهيئة»، بالعبرية «روش عده»، ويسمونه أيضاً «عضو المدينة»، بالعبرية «حبير ها عير»، لأن القهل كانوا يسمون أنفسهم أيضاً «أبناء المدينة»، بالعبرية «بني ها عير».

ومع ذلك فهناك بعض أسماء مختلفة بحسب البلدان:

ففي مصر وبعض بلدان شمال إفريقية والمغرب والأندلس كان رئيس الطائفة يحمل لقب «نجيد» أي «عظيم». وكان شيخ يهود العراق على وجه التخصيص يحمل لقب «رأس الجالوت» أو «رأس المثيبة»، وبالعبرية «ريش جالوثا»، منذ إجلاء اليهود إلى العراق في السبي البابلي، أو بتعبير أدق إحياء لذكرى هذا الجلاء القديم، وإشارة إلى قدم يهود العراق في الاستيطان في وادي الرافدين.

> آثار تعسف «القهل»، وتدخله العنيف في حرية الفكر وحرية العقيدة سخط كثير من اليهود، ولاسيما بعد انتشار الحريات في أوربا!

والظاهر أن مجلس القهل كان في الأصل يتكون من سبعة أعضاء. كما يبدو من بعض نصوص الشريعة اليهودية - المشنا - أن هذا المجلس البلدي قد عُرف قبيل الشتات عندما تزعزع شأن اليهود في فلسطين في الأجيال المحيطة بميلاد المسيح، تحت ضغط الرومان والسوريين والأردنيين والعرب. فكان اليهود يختارون لهم مجلساً بلدياً مكوناً من سبعة من وجهائهم (المشنا/ مجلة ٨٤:١).

وتحول القهل في الشتات إلى مجتمع مغلق، كما قلنا، يمثل مجلسه الخاص حكومة سرية واجبة الطاعة، تفرض الضرائب على اليهود من غير علم الدولة، وتتصرف في ميزانيتها، مقررة إعانات معينة للفقراء وللمنشآت والأعمال الخيرية الجماعية. وواضح أن هذا هو أصل السلطة التي منحتها الصهيونية في العصر الحديث لشُعبها وفروعها، لفرض مثل تلك الإتاوات على يهود العالم حتى تستعملها في تحقيق استعمارها لفلسطين. كما كان لمجلس القهل حق توقيع العقوبات، واستدعاء الأفراد للمهمات العلنية والسرية.

وكانت الضرائب التي يفرضونها متنوعة، بعضها على الأفراد وبعضها على الممتلكات والأرباح. ويُعفى من كل هذه الضرائب أعضاء المجلس؛ لأنهم يقومون بخدمة دينية في الجهات من أجل اليهود لا تقل عن خدمة الكهنة للهيكل، والكهنة لا يدفعون شيئاً ولهم جراية من الأمة. وفي كل قهل سجل بأسماء الأفراد ومحل إقامتهم وما يجب على كل منهم من الضرائب. كما كانت هناك دفاتر لإثبات جميع الإنجازات والمصروفات التي يقررها مجلس القهل. وكل هذا مودع عند أمين محفوظات القهل. وكانت الضريبة، بالعبرية «مس»، تثبت في السجل بدقة. وهذا السجل يسمى «بنقاس».

والذي يدلنا على أن مجلس القهل كان البديل للسنهدرين، ما يتمتع به من حق إصدار التشريعات والفتاوى؛ بشرط ألا تكون مخالفة أو مبطلة أو مناقضة أو ناسخة لحكم أفتى به الأقدمون.

www.ahlaltareekh.com

وتتأكد الصفة المحلية لمجلس القـهل في أنه كان لا يستطيع أن يتدخل في شؤون مـجلس آخر إلا بعـد اتفاق مـشتـرك. وتأتي في هذا الصـدد تفاصـيل تتصل بمقـدار مسؤولية كل قهل من التجمعـات اليهودية المتقاربة، عندما تتعرض لمشكلات وأخطار من قبل غير اليـهود. وكلها ترمي إلى الدفاع عن مجموع الطـائفة، وتقليل الضحايا ـ إن كانت هناك ضرورة للتـضحية ـ إلى أدنى ما يمكن. وعند مـجلس كل قهل لائحة داخلية خاصة بتدرج السلطات الدينية والسياسية والاجـتماعية على اختلافها، وبيان حقوق كل من قادة القـهل بحسب درجته في الزعامة. وفي كـثير من البلدان كانت الحكومات تلجأ إلـى مجلس القهل وتستعين به في جـباية الضرائب الرسمـية، وكان ذلك يمثل اعترافًا بوجود الطائفة ومجلسها.

وانتهز الكثير من مجالس القهل هذه الـفرصة فوسعوا من نشاطهم، وجعلوا لهم سياسة علنية تعرفها الحكومات، وأخـرى سرية مقصورة على اليهود، تسعى إلى تقوية العنصـرية، وتشديد العـزلة الدينية والحـضارية، وهذا التخـطيط السري كان يـسمى «دعم الجاليـة»، بالعبرية «حـزقة هايشوب»، وقد ذاع بين اليـهود حتى أصبـح يسمى باختصار «حزقة» أي الدعم.

وفي أخـريات العصـور الوسطى وصل أمـر القهل إلى صـورة خطيرة من صـور التضامن السـري، انتهت باتحاد كثيـر من مراكز الاستيطان اليـهودي ممثلة في مجلس قـمة للشـؤون اليهـودية كـان يسمى «مـؤتمر الأقاليم الأربـعة»، بالعـبرية «وعـد أربع أرصـوت». وفي بعض الأحيـان كان القـهل يستطيـع توقيع العـقوبات الجنائيـة على المخالفين للشريعـة. وفي أيام الحكم العربي في الأندلس حصل القهل على حق معـاقبة اليهود على الجرائم الدينية، حتى تنفيذ عـقوبة الإعدام في من تقضي عليه شـريعتهم بذلك.

وفي كـثير من بـلدان أوربا الشرقـية، وخصـوصًا بولونـيا ولتوانـيا، كان القـهل يستطيع القـبض على المارقين من الدين، والمتـهمين بفضح أسـرار الطائفـة عند الأمم الأخرى «الجـوييم»، وكان المتـهم يُحبس في سـجن خاص ملحق بالمعـبد اليـهودي، ويبقى محبوسًا يومًا أو يومين، يمرّ به جميع المـصلّين والزائرين فيشتمونه ويبصقون في وجهه.

وقد أثار تعسّف القـهل، وتدخله العنيف في حرية الفكر وحرية العقيـدة سخط كثـير من اليـهود، ولاسـيما بعـد انتشـار الحريات في أوربا في القـرنين الثامن عـشر والتاسع عشـر. وتبعًا لذلك كثـرت حوادث التنكيل والتعذيب والإهانة الـتي يمارسها القهل على اليـهود. وكانت التهم الموجـهة إلى المتمردين تتلخص في الكفـر والزندقة والانحلال الـديني والخلقي، أو «الأبيقـورية» كمـا كانوا يسـمونها اقتـداء بالتـلمود. كذلـك كثر، مع سـهولة الاندمـاج في الأمم الأخرى فـي عصر الحـرية، اتهام القـهل لبعض رعاياه بالخيانة وإفشاء الأسـرار بقصد تعريض الطائفـة للخطر. وهناك حالات كثيـرة عُوقب فيها اليهـود لتلاعبهم باقتـصاد القهل بإخفاء موارد ثروتهم، أو كـتمان الأرقام الصحيحة لأرباحهم تهربًا من الضرائب والإتاوات المفروضة.

وكان اختيار العائل، أو المدير الاقتصادي للقهل، يتم بالانتخاب لمدى الحياة، أو لعدد معين من السـنين، وفي بعض مراكز الاستيطان كـانوا ينتخبون عـائلاً لكل شهر من شهـور السنة، وكان مجلس القـهل يتولى تعيين القـضاة، ورؤساء المحـاكم المليّة، ورجال الدين، ومعلمي المدارس، وكلّ من يحمل مسؤولية في الخدمة العامة.

وكانت خزانة القهل في كـثير من الأحيان تستثمـر ما عندها من أموال الطائفة، وكانت أكثر طرق الاستثمار شيوعًا هي الإقراض بالربا وبضمانة ممتلكات مرهونة.

وفي القرنين الثامن عشر والتاسع عشر تفننوا في فرض الضرائب على نحو يفوق ثقل الضرائب الرسمية نفسهـا؛ فكانوا يحصّلون ضرائب على الملح والتبغ والأسماك المملّحة والزفـت، وأخرى على المتاجـر والفنادق ومحـالّ الجزارة والعقـارات المؤجرة وبعض الحرف الأخـرى. هذا بالإضافة إلى ضريبـة الإعالة، لتـمويل القوّة العـسكرية الحكومية الموجـودة في منطقة اليهود، ولدفع مرتبات الموظفين الرسـميين النصارى في المنطقة.

ولم تشعر أوربا بخطر القـهل، وبأنه حكومة يهودية حقيـقية في داخل الدولة إلا في غضـون القرن التـاسع عشـر. فأصـدرت روسيـا وبولونيا قـانونًا بإلغاء القـهل سنة ١٨٤٤م، وكـانت النتيجـة المبـاشرة لهـذا القـانون أن بدأ اليـهود يتـحـركون نحـو الصهـيونية. ومع ذلك ظلّت هذه الحكـومة اليهوديـة السرية تمارس سلطتهـا في شرق أوربا سـرًا حتى سنة ١٨٩٣م، أي إلى مـا قبل المؤتمـر الصهـيوني العـالمي الأول بأربع سنوات فقط.

ولم تكن نقمة الحكومـات المختلفة على القهل بلا مسـوّغ، أو من دون معلومات كافية. بل كانت صدًى لتمرد كثير من المتحررين اليهود على هذا النظام المستبد. ففي سنة ١٨٦٩م نشر اليهودي يعقوب برافمان كتـابًا يفضح فيه الحكومة اليهودية السرية في القهل. وأثار الكتاب ضجة كبيرة في وقته، وراح القهل يصدر المنشورات لتكذيب برافمان.

وفي سنة ١٨٠٦م حـدث في فـرنسا ـ الـتي كان يحكمـهـا نابليـون بونابرت ـ حدث مـهم سبق السنهدرين الجديد الذي تحدّثنا عنه، وذلك هو تجميع المسـتوطنات اليهـودية الفرنسية «القهـلوت» كلها في مجـالس مليّة رسـمية تحت إشراف الدولة، تتجمع ـ بدورها ـ في المجلس الملّي العام ليهود فرنسا«الكونسستوار».

ومنذ ذلك الوقت حذت بلاد أوربا الغربية وأمريكا حذو فرنسا؛ فقام في بريطانيا اتحاد المعابد اليهودية، برئاسة الحاخام الدكتور ناتان أدلر سنة ١٨٧٠م.

ونسأل الآن: هل انزاح ظل القهل، سرًا وجهرًا، عن العالم؟

الجواب: لا. فالمؤتمرات الصهـيونية بفروعها وشُعبها وهيئاتها العلنيـة وعصاباتها السـرية التي تمارس الإرهاب علي اليـهود المتـحـررين الإنسانـيين، والتي تخطط لبث التفرّق والشـقاق بين الإخوة والأقرباء في المجـتمعات الدوليـة، وفي المجتمعـات العربية والإسلاميـة، وفي البلاد الحديثة الاستـقلال، والبلاد النامية، كلّ هذا ليس إلا توسـيعًا لظل القهل الأسود الذي يريد أن يتّسع وينتشر بمقدار مـا اتّسعت الصهيونية وانتشرت في غفلة من شعوب العالم، أو بالتواطؤ مع بعض الانتهازيين من تلك الشعوب.

هوامش الحلقة الثانية:

١ـ يشير كثير من مؤلفي المعاجم من الأوربيين إلى اليهودي التائه وقصته، نذكر منهم على سبيل المثال:
Litrè; Dictionnqire De lq Lqngue Frqnçqise; To,e III; Pqris 1889.
Pqul Guèrin' Dictionnqire des Dictionnqires Tome; Pqris.

٢ـ أوجين بيتار: الأجناس البشرية في التاريخ، بالفرنسية:
Eugène; Pittqrd; Les Rqces Et L' Histoire; Pqris 1924; P.31355.

٣ـ Eschqtologie من كلمتين يونانيتين هما Eschqtos أي النهاية؛ Logos أي كلام أو وصف.

٤ محمود العابدي، مخطوطات البحر الميت، عمّان ١٩٦٧م، ص٨١، ١٩٥/١٩٤، من أجل فكرة عامة: أما النصوص وترجمتها ومناقشتها فقد ظهرت فيها مئات الكتب والأبحاث بمختلف اللغات.

هوامش الحلقة الثالثة:

١ـ كان السبب في تفكير نابليون في المشكلة اليهودية كثرة الشكاوى المرفوعة إليه من الفرنسيين في حق اليهود. ومن ذلك ما تقدّم به وفد من المواطنين بالألزاس إلى الإمبراطور عند مروره بمدينة استراسبورج عائدًا من حربه في أوسترليتز، يومي ٢٢، ٢٣ يناير/ كانون الثاني سنة ١٨٠٦م، وكان على رأسهم محافظ إقليم «كيلرمان» وجميع وجهاء المحافظة، وقد ورد في شكواهم من اليهود: «أنهم يغزون كل ميادين الوساطة التجارية والتجارة، ويخربون بيوت الفلاحين بالربا ونزع الأملاك، ويخشى عما قريب أن يكونوا وحدهم المالكين للألزاس».

وعلى أثر ذلك كتب نابليون إلى وزيره للشؤون الدينية بورتاليس أمرًا بالدعوة إلى مؤتمر يهودي للبحث في هذه المشكلات وأمثالها، جاء فيه: «وأشير من جديد إلى أنه لا أحد يشكو من البروتستانت ولا من الكاثوليك كالشكوى من اليهود، مما يبين لنا أن الأذى الذي يرتكبه اليهود لا يأتي منهم كأفراد بل من وضع هذه الأمة نفسه. فهم حشرات وجراد يدمرون فرنسا». ومن أجمل ما ورد على قلم نابليون في هذه الرسالة قوله: «إن في طرد اليهود من فرنسا علامة ضعف، بينما القوة في القدرة على تأديبهم» (نقلاً عن: جيجس، اليهود في المجتمع الفرنسي).
Gygès; Les Juifs dqns lq Société Frqnçqise; Pqris 1956, P28-29.

www.ahlaltareekh.com

تعريب التعليم الجامعي

معوّقاته وعوامل نجاحه

د. فريد عوض حيدر

تعريب التعليم الجامعي قضية مهمة، شغلت عقول الأفراد والجماعات في العصر الحديث، فعُقدت من أجلها المؤتمرات، كما خيضت من أجلها التجارب على المستوى الفردي، والدولي. والحق أنها جديرة بهذا الاهتمام لأنها «مشروع ضخم من مشاريع الحضارة العربية الجديدة»(١). وتعريب التعليم الجامعي، وثيق الصلة بالجهود المبذولة في مجال تعريب المصطلحات العلمية، إذ يُعدّ تعريبها الخطوة الأولى في طريق تعريب هذا التعليم.

وكانت لائحة الجامعات قد نصّت على «أن تكون اللغة العربية هي لغة التعليم الجامعي»؛ ولكن هذا النص لم يسلم، آنذاك، من تحفظ، لوجود قصور - ليس في اللغة العربية - ولكن في الإمكانات، فجاء استثناء نصه: «إلا إذا استلزم الأمر غير ذلك». وقد أدى هذا الاستثناء إلى التدريس بلغة أجنبية، ولم يؤقّت هذا الاستثناء بحدود زمنية بل أطلق، ومن جراء هذا، حدث توسع في التدريس باللغات الأجنبية في الجامعات، خاصة في الكليات العملية(٢) كالطب والهندسة والعلوم، وكان يجب أن يكون هذا الاستثناء مؤقتًا، حتى إذا توافرت الإمكانات استُغني عنه.

وتتضح أبعاد هذه القضية بالإشارة إلى ما يأتي:

١- مؤتمرات عقدت من أجل تعريب التعليم الجامعي.

٢- معوقات تعريب التعليم الجامعي وعوامل نجاحه.

١- مؤتمرات عقدت من أجل تعريب التعليم الجامعي

سأذكر هنا بعض المؤتمرات على سبيل المثال لا الحصر، ومنها:

- مجلس الجامعة العربية في دور انعقاده الثالث والخمسين في آذار/ مارس ١٩٧٠م، وقد اهتم في هذا الدور بترجمة الإنتاج الفكري والتقني والإنساني، واتخذ القرار الآتي: «إيمانًا من اللجنة بقيمة الترجمة العلمية، باعتبارها حجر الأساس في النهضة العلمية العربية الشاملة، وتقديرًا منها لضرورة التنسيق بين الدول الأعضاء في هذا المجال الخطير في حياة أمتنا، ومنعًا للازدواج أو التكرار، وحتى تكون الترجمة على هدى من المعرفة والتجربة والخبرة بموضوع الترجمة فإنها توصي بما يلي:

١- أن تواصل الإدارة الثقافية اتصالاتها مع الدول الأعضاء، من أجل استكشاف حال الترجمة العلمية في الوطن العربي.

٢- وبعد ذلك تدعو الإدارة الثقافية، المكتب الدائم للَّجنة للنظر فيما انتهت إليه اتصالات الإدارة الثقافية، من مسح عام للترجمة العلمية في البلاد العربية، يستخلص المكتب منها عددًا من أمهات كتب العلوم يوصي بترجمتها.

٣- أن تعمل الإدارة الثقافية، بالاتفاق مع الدول الأعضاء، على تكوين لجنة تمثل فيها جميع الدول العربية (ما أمكن) بعلماء متخصصين ممتازين، تكون مهمتها:

(أ) الإشراف على وضع خطة للترجمة، واختيار الكتب والمترجمين من البلاد العربية.

(ب) المساعدة في إصدار المعجم العلمي العربي الموحد.

(ج) وضع الميزانية المناسبة للإنفاق على هذا المشروع الضخم لشراء الكتب والمراجع والدوريات في اللغات المختلفة من البلاد المختلفة.

٤- تعمل على ترجمة عدد من الكتب كل عام في مجالات العلوم التطبيقية، في الكيمياء والطبيعة والرياضيات والنبات والحيوان والحشرات والجيولوجيا

www.ahlaltareekh.com

والفلك والأرصاد والإحصاء، بالإضافة إلى العلوم الطبية والفسيولوجية، والهندسة والزراعة والصيدلة إلخ.

د- متابعة كل ماينشر من الكتب والمطبوعات والدوريات في(٣) اللغات المختلفة، إنجليزية وفرنسية وألمانية، واختيار ما ترى نقله إلى العربية».

والحق أن هذه التوصيات كفيلة بتحقيق الهدف منها إذ تتضمن من الأهداف:

- توحيد المصطلح العلمي العربي، وذلك من طريق توحيد جهة الترجمة ممثلة في لجنة عربية، والتنسيق بين الدول العربية في هذا الشأن.

- ملاحقة الإنتاج العلمي وتطوراته في مختلف البلاد المتقدمة في العالم كله بترجمته إلى العربية ووضعه بين يدي الطالب العربي بلغته العربية.

ولكن يبدو أن هذه التوصيات ظلت حبيسة الأوراق ولم يجر عليها التطبيق، ولو أنها طُبِّقت بالفعل لكان للتعليم والحضارة العربية شأن جدير بأن يضع الدول العربية في مكانة أعلى مما هي عليه الآن، ولكانت قطعت شوطًا نحو اللحاق بركب الحضارة والتقدم العلمي في الدول المتقدمة، فإن هذه التوصيات اتُّخذت منذ ما يقرب من ربع قرن من الزمان، وهذا زمن يعد طويلاً في عمر الحضارات في العصر الحديث؛ بمعنى أنه يحتاج الآن إلى زمن أطول منه، كي تستطيع الدول العربية أن تدرك ما تم فيه من تقدم علمي وحضاري، لأن المسؤولية تتراكم على هذه الدول بتراكم نتائج الحضارات المتقدمة وعلومها.

- مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي: عقد في بغداد في ٤-٧ من آذار/ مارس ١٩٧٨م(٤).

- المؤتمر العام الذي عقده اتحاد الجامعات في شباط/ فبراير ١٩٧٣م، وقد «شهدت المجامع والهيئات العلمية في مصر خلال ربع القرن الأخير، وقبله منذ الثلاثينيات، عشرات الأحاديث والمحاضرات والدراسات والمؤتمرات والندوات، حول هذه القضية، كان منها ندوة أقامها الاتحاد العلمي المصري، عن تعريب لغة العلم في التعليم الجامعي»(٥).

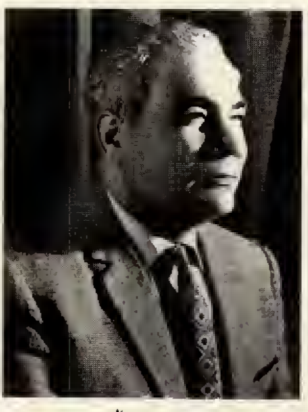
هذا، ولا يخلو مؤتمر من مؤتمرات المجمع القاهري من إقرار للمصطلحات العلمية تعريبًا وترجمة، وهذا (أي تعريب المصطلحات) هو أول خطوة في طريق تعريب التعليم الجامعي كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

٢- معوقات تعريب التعليم الجامعي وعوامل نجاحه

يحدد الدكتور محمود مختار، عضو المجمع القاهري، ثلاثة معوقات رئيسية تقف حجر عثرة في طريق تعريب التعليم الجامعي، هذه المعوقات هي:

١- الاستثناء الذي وُضع في لائحة الجامعات - وقد سبقت الإشارة إليه - فهو أول معوق في هذه السبيل.

٢- عدم وجود الأستاذ الجامعي القادر على خطاب طلابه بلغته الأم بدلاً من اللغة الأعجمية المتفشية اليوم في التعليم الجامعي، خاصة في الكليات العملية؛ فكثير من أساتذة الجامعات، ممن تلقوا علومهم بلغات أجنبية، يفضلون التعليم بهذه اللغات، وحجتهم في ذلك أن هذه اللغات لغات حضارة وعلم «ليس بها عجز ولا تعقيد، ولو أنهم لجؤوا إلى العربية، لاحتاج ذلك إلى جهد كبير منهم لتطويعها، للتعبير عن حقائق العلم ونظرياته ومصطلحاته. ويمكن الرد عليهم بأن بعدهم من العربية هو الذي جعلهم يعتقدون ذلك، فليست العربية بأصعب تعلمًا ولا قواعد من الصينية، لكثرة حروفها وتعقد مقاطعها وصعوبة الكتابة بها، ومع ذلك لا تستخدم الصين في التعليم لغة غيرها، وكذلك اليابانية وهي لغة التعليم الوحيدة في اليابان، رغم أن تلميذ المدرسة الابتدائية، يجب عليه أن يتقن ٨٨١ حرفًا، فإذا التحق بالمدرسة المتوسطة كان عليه أن يتقن ٤٠٠ حرف أخرى»(٦)، وهذا أمر من المشقة بمكان.


د. يوسف عز الدين

٣- الكتب الدراسية المترجمة عن لغات الشرق أوالغرب، لأنها قد كتبت لطالب جامعي يعيش في مجتمع متقدم علميًا وحضاريًا، يختلف عن طالب يعيش في مجتمع عربي نام. ومما يسيء إلى العربية، أن المترجم قد يستسهل كتابة المعادلات الكيماوية أو الرياضية بلغتها، ولأن هذا يوحي بعجز العربية وقصورها، وهو اتهام باطل(٧) لا يستند إلى أساس علمي.

ولكن هذا المعوق الأخير يمكن تلاشيه، إذا أُحسن النقل وأُتقنت الترجمة، وروعيت الفروق بين الطالب الذي أَلِف له الكتاب أصلاً، والطالب الذي تُرجم له.

ويضاف إلى هذه المعوقات معوقان آخران:

٤- فقدان الثقة بالنفس التي اكتنفت أبناء العالم العربي نتيجة انبهارهم بنتائج العلوم والحضارة الغربية، والتقدم السريع، مع بعد الشقة بيننا وبين هذه الحضارة في مجال التقدم العلمي والتقني.

٥- اختلاف الشعوب العربية وتباينها في وضع المصطلحات العلمية والترجمة في مجال لغة العلوم(٨)؛ مما يحدث بلبلة في فهم هذه المصطلحات، ومن ثم غموضها وعدم فهمها.

ويمكن التغلب على المعوق الرابع بدراسة تاريخ اللغة العربية خاصة في مرحلتين تاريخيتين هما:

١- العصر العباسي، وخاصة عصر الخليفة المأمون (١٧٠-٢١٨هـ/ ٧٨٦-٨٣٣م)؛ حيث استطاعت العربية أن تحمل حضارة العالم، بالنقل والترجمة عن الإغريقية والفارسية والسريانية، ولم يكتف العلماء العرب بمجرد النقل، بل قاموا بأروع الإنجازات العلمية، وأضافوا إلى ما ترجموا الكثير من مبتكراتهم في جميع المجالات العلمية والحضارية.

٢- عهد محمد علي؛ حيث ازدهرت الترجمة على يد شيخ المترجمين رفاعة الطهطاوي (١٢١٦-١٢٩٠هـ/ ١٨٠١-١٨٧٣م)، الذي قام - بتشجيع من محمد علي بعد عودته من بعثته إلى فرنسا - فنقل هو ومعاونوه عشرات الكتب في مختلف العلوم والفنون، وكان لذلك أكبر الأثر في النهضة العلمية والثقافية الحديثة في مصر، في ذلك العهد وما بعده(٩).

فإذا عرفت الأجيال العربية هذا وغيره استعادوا الثقة بأنفسهم ولغتهم، ونهضوا من كبوتهم حريصين على تعريب تعليمهم.

ويمكن التغلب على المعوق الخامس بالتنسيق بين جميع الهيئات القائمة على التعريب والترجمة في أنحاء العالم العربي، حيث يتمكنون من وضع مصطلحات موحدة تُستخدم في البلاد العربية جميعها.

ولعل هذا ما يجب أن يقوم به مكتب تنسيق التعريب بالرباط واتحاد المجامع.

عوامل نجاح التعريب

يحدد الدكتور يوسف عزالدين ثلاثة عوامل لنجاح عملية تعريب التعليم الجامعي، وهي تمثل اتجاهًا مضادًا للمعوقات السابقة. فالقضاء على هذه المعوقات، هو الطريق لنجاح التعريب، هذه العوامل هي:

١- توفير الكتب العلمية ومصادر البحث ومراجعه باللغة العربية لطلاب العلوم.

٢- إعداد الأساتذة إعدادًا نفسيًا، ليكون الأستاذ قادرًا على تدريس العلوم الصِّرفة، ولاسيما الطب والهندسة والصيدلة، باللغة العربية، لأن الهوة قد اتسعت بين كثير من الأساتذة ولغتهم العربية، نظرًا لتلقيهم هذه العلوم بلغات أجنبية، استخدموها في محاضراتهم وتآليفهم ووثقوا بها، وفقدوا الثقة بالعربية لبعدهم عنها،

www.ahlaltareekh.com

تعريب التعليم الجامعي

معوقاته وعوامل نجاحه

وعدم قدرتهم على التعليم بها نتيجة ذلك.

٣- خلق الاستعداد النفسي والاجتماعي لتقبل الدراسة باللغة العربية، فهي قادرة على أن تستوعب العلوم الحديثة كما استطاعت أن تستوعبها من قبل(١٠).

إن عوامل النجاح هذه ترتكز على ثلاثة أسس هي: الأستاذ، والكتاب، والطالب؛ فإذا اقتنع الأستاذ نفسيًا بضرورة التعريب، وإذا وُجد الكتاب العلمي باللغة العربية، فإن ذلك يعد أول أسس القواعد النفسية، التي تغذي الطالب بالثقة بالنفس وبقدراته، لأن ذلك سوف يمكنه من فهم الجزئيات العلمية ويؤدي به إلى الإبداع(١١).

٤- ويضاف إلى عوامل النجاح أن يكون هناك قرار سياسي ملزم بتعريب التعليم الجامعي(١٢).

وإن من وسائل الإقناع لإنجاح عملية تعريب التعليم الجامعي ما يأتي:

أ- أن المؤتمرات والندوات العلمية أكدت أن الفكر الأصيل لا يُخلق في الأمة إلا إذا كانت لغة تعليمها هي لغتها الأم(١٣).

ب- أن هناك شبه إجماع على نقاط ثلاث هي:

١- قدرة اللغة العربية على استيعاب العلوم، ولا يمكن لمجتمع أن ينهض ويتحضر، إلا من خلال لغته.

٢- أن معرفة أكثر المشتغلين بالعلوم للغة الإنجليزية لا ترقى إلى مستوى معرفة أهلها أنفسهم، فهم يستخدمون لغة لا يحسنونها، ويهملون لغتهم؛ وبذا يزدادون ضعفًا على ضعف.

٣- أن مستوى استيعاب الطلاب في الكليات العلمية لما يتلقونه بالإنجليزية ضعيف، وهو أضعف قطعًا مما لو تلقوا موادهم بالعربية على أيدي أساتذة يحسنونها(١٤). أضف إلى ذلك أن المختصين في مجال الدراسات اللغوية، يؤكدون أن «العربية قطعت شوطًا كبيرًا في تطوير نفسها، وأصبحت مرشحة لأن تكون لغة عالمية»(١٥) نظرًا لتوافر سمات اللغة العالمية فيها، ومن هذه السمات سعة انتشارها واقتراضها من اللغات الأخرى(١٦).

علاوة على أن التعليم بلغة أجنبية يوزع جهد المتعلم فيأخذ منه قسطًا كبيرًا لفهم هذه اللغة أولاً، ثم يأتي بعد ذلك فهمه للمادة العلمية، فاللغة الأجنبية في التعليم تمثل حاجزًا بين الطالب وفهم المادة العلمية يجب على الطالب أن يتخطاه أولاً كي يفهم هذه المادة.

ج- أن هناك تجارب عملية رائدة تشهد بإيجابية تعريب التعليم الجامعي، من هذه التجارب:

١- تعريب التعليم الجامعي في سورية، بما في ذلك التعليم في كليات الطب والصيدلة، منذ أكثر من سبعين عامًا، وقد ابتدأت هذه التجربة في «أثناء الحرب العالمية الأولى بتشجيع من الخبراء الفرنسيين الذين كانوا يضعون التقارير تلو التقارير يؤكدون أن العربية صالحة في جميع مراحل التعليم، وكان حافزهم إلى ذلك الرغبة في وقف انتشار اللغة الإنجليزية في المشرق العربي»(١٧).

٢- تعريب التعليم الجامعي في العراق.

٣- تدريس العلوم الطبيعية وعلوم الأحياء بالسنة الإعدادية بطب القاهرة باللغة العربية عدة سنوات في أوائل الستينيات، وكانت النتائج مذهلة من حيث استيعاب الطلاب للمادة العلمية وفهمها بيسر.

٤- تجربة الدكتور عبدالملك أبو عوف الأستاذ بكلية الصيدلة بجامعة القاهرة، في أثناء انتدابه لتدريس مادة الكيمياء العضوية بجامعة دمشق بسورية، فدرَّسها بالعربية طبقًا لنظام الجامعة هناك، وكانت نتائج الطلاب هناك أعلى مستوى وأكبر تحصيلاً واستيعابًا للمادة العلمية من أقرانهم الذين يدرسونها بالإنجليزية في جامعة القاهرة.

رفاعة الطهطاوي

٥- تجربة الدكتور محمد ولي بكلية العلوم بجامعة القاهرة، وقد قام بتدريس علم الحيوان باللغة العربية ربع قرن من الزمان.

٦- تجربة الدكتور محمد كامل رئيس قسم هندسة الطاقة بكلية الهندسة بجامعة عين شمس حين قام بالتدريس باللغة العربية، وهو يذكر أنه لم يجد العقبات التي كان بعض الناس يتصورونها.

كل هذه التجارب الحية وغيرها تعدّ معلمًا مقنعًا على طريق تعريب التعليم الجامعي الذي يعدّ ضرورة حضارية يجب أن تتضافر من أجلها الجهود، وأن تُسَخَّر في خدمتها إمكانات التقانة (التكنولوجيا) الحديثة، ووسائل الإعلام على اختلاف أنواعها.

إن تعريب التعليم الجامعي لن يتحقق حتى نعبر - بسلام - مرحلة الانبهار بالتقدم العلمي والحضاري في البلاد الغربية، ولن نستطيع تخطيها حتى نستعيد ثقتنا بأنفسنا، وبتراثنا العربي وبلغتنا وبتاريخها العريق، ولنكرر تجربة القدماء في العصر العباسي في مجال الترجمة والتعريب، وتجربة المحدثين في عهد محمد علي، وهذا يتطلب منا إخلاص العزيمة أولاً، ثم يأتي بعد ذلك دور العمل الذي يجب أن يقوم على عاتق المتخصصين في كل علم من العلوم؛ ممن يجب أن يتوافر فيهم إتقان العربية أولاً، وإتقان اللغة الأجنبية ثانيًا، فإذا توافر إتقان اللغتين سهل أمر التعريب.

وليكن هناك من ينقل عن الإنجليزية، وآخرون ينقلون عن الفرنسية، وآخرون عن الألمانية، وليكن هذا العمل تحت مظلة مؤسسة عربية يطلق عليها: المؤسسة العربية للترجمة العلمية، وليكن نشاطها الوحيد هو الترجمة في مجال العلوم التطبيقية في جميع مجالاتها، ولتستعن وتسترشد بالتجربة السورية الرائدة، وتفيد من الجهود المجمعية في مجال تعريب المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة، ثم تكمل المسيرة في النقل عن هذه اللغات؛ فتصب ترجمتها في اللغة العربية، فيتسنى الوقوف على أحدث ما توصلت إليه هذه البلاد المتقدمة في جميع فروع العلم، فإذا جاء الطالب الجامعي لدراستها، قدمت له العلوم في ثوب عربي ومضمون عربي، فيستطيع أن يستسيغها ويستوعبها بأسرع مما لو درسها بلغتها الأعجمية، ثم يضيف إليها إبداعه. وبهذا يمكننا اللحاق بركب التقدم العلمي والإسهام فيه، ولن يحدث الإسهام منا في هذا التقدم إلا إذا بدأنا من حيث انتهت الدول المتقدمة، كما أنهم لم يسهموا فيه، إلا بعد أن بدؤوا من حيث انتهى العرب إبان حضارتهم الغابرة، وإلا ظللنا عالة على التقدم الغربي وظللنا نحبو، وهم يقفزون قفزات واسعة، وأنّى يلحق الأول بالثاني؟

الهوامش:

١- د. يوسف عزالدين: الأثر النفسي والاجتماعي من تعريب التعليم، مجلة المجمع، ج٥٦، ص١٤٥.
٢- السابق ص١٥٨، معجم الفيزيقا الحديثة ١/ج.
٣- اللسان العربي مج٨، ج١، ص١٤٤-١٤٥.
٤- انظر: الأثر النفسي والاجتماعي من تعريب التعليم، مجلة المجمع، ص١٤٦.
٥- د. محمود حافظ: قضية تعريب التعليم العالي والجامعي في مصر، مجلة المجمع: ١٩٨٥م، ج٥٦، ص١٧٣.
٦- د. أحمد عبدالستار الجواري: في تعريب التعليم، مجلة المجمع، ج٥٦، ص٣٨.
٧- معوقات تعريب التعليم الجامعي: مجلة المجمع، ج٥٦، ص١٥٨ وما بعدها.
٨- الأثر النفسي والاجتماعي، مجلة المجمع، ج٥٦، ص١٤٥.
٩- قضية تعريب التعليم العالي والجامعي، مجلة المجمع، ج٥٦، ص١٦١.
١٠- الأثر النفسي والاجتماعي، مجلة المجمع، ج٥٦، ص١٤٦-١٤٩.
١١- السابق ص٥٠. وانظر: قضية تعريب التعليم الجامعي، ج٥٦، ص١٦٢-١٦٥.
١٢- قضية تعريب التعليم العالي، مجلة المجمع، ج٥٦، ص١٦٥.
١٣- السابق ص١٦١.
١٤- العربية لغة العلوم، ص٣٦٥ وما بعدها.
١٥- عبدالحميد المهيري: تعريب التعليم في الجزائر ومشاكله، اللسان العربي، مج٨ ج١٤٨/١.
١٦- اللغة بين القومية والعالمية ص٢٨٠.
١٧- اللسان العربي، مج٨، ج١٤٨/١.

www.ahlaltareekh.com

مصادر دراسة السيرة النبوية

د. عبدالرزاق علي العمران

إذا كانت عظمة الشخصية التاريخية في الحضارة الإنسانية تقاس بالتأثيرات التي تحدثها في مسار الحياة، حياة الناس وأفكارهم، وفي النتائج التي تتركها في تطور المجتمع البشري. إذا كانت عظمة الشخصية تقاس بهذه المؤثرات والنتائج، فشخصية النبي محمد صلى الله عليه وسلم أعظم شخصية في تاريخ البشرية.

إنه لم يوحد الجزيرة العربية، حسب، بل كوّن من قبائلها، بفضل الله، أمة متماسكة، حملت نور الإسلام إلى أمم المشرق والمغرب، إلى العالم الوسيط برمته، فأعاد بذلك رسم خارطة العالم من جديد، في ضوء نور أفكاره «أفكار الإسلام».

لقد اصطفته الإرادة الربانية ليختم الرسالات السماوية، ولحكمة ربانية لا زال العالم المعاصر، وسيبقى، يدعو ويصلي عليه في الليل والنهار.

فلا عجب إذا كانت سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم موضع عناية ودراسة أبناء أمته منذ السنين الأولى للهجرة، حتى اليوم. وهذه الأوراق محاولة جادة، تتلمس البدايات الأولى لدراسة السيرة النبوية.

مصادر دراسة السيرة النبوية

مما لا شك فيه أن لفظة «السِّيرة»(١) قد استُعملت بمعنى سيرة النبي صلى الله عليه وسلم قبل ورودها عند ابن هشام في رواية عن ابن إسحاق، ويتضح مما جاء في كتاب الأغاني أن استعمال الكلمة بهذا المعنى الخاص كان معروفًا في زمن محمد بن شهاب الزهري، فقد طلب منه خالد بن عبدالله القسري أن «اكتب لي النسب... واكتب لي السيرة»(٢).

ومع ذلك فإن اللفظتين - سيرة ومغاز - مستعملتان بمعنى واحد لا يفرق بينهما، فقد ذكر ابن كثير سيرة ابن إسحاق وقال: «قال ابن إسحاق في المغازي»(٣).

ومن المعروف أن أشهر ما أُلف في السيرة هو كتابا ابن إسحاق والواقدي، ولكنهما مع ذلك ليسا أول ما جمع الأخبار والروايات في هذا الميدان العلمي. فموضوع السيرة ومنهج التأليف فيه ثابت ومقدر قبل أن يكتب ابن إسحاق سيرته المعروفة، وقبل أن يدون الواقدي مغازيه.

ولقد اهتم الأول بالدراسات التاريخية اهتمامًا ملحوظًا، وكانت المدينة المنورة هي أول مدينة عرفت هذا النوع من الدراسة، ففيها شعر العرب بأنهم أصحاب رسالة جليلة، وأنهم يمرون بمرحلة مهمة، كما أن الفتوحات الكبرى جعلتهم يحسون بأن لهم دورًا تاريخيًا خطيرًا، وهذا كان له أثر قوي في الدراسات التاريخية بشكل عام، وفي تاريخ السيرة بشكل خاص.

ثم إن القرآن نَصَّ على أن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم موحى بها، وأن سيرته مثل للمسلمين يقتدون به: *لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ*. **الأحزاب**:٢١.

وقد سُمِّيت الدراسات الأولى لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم باسم «المغازي» وتعني لغويًا: غزوات الرسول وحروبه، ولكنها تناولت في الحقيقة مرحلة الرسالة بكاملها، وقد قام بها بعض أبناء الصحابة البارزين، إذ دَوَّنَ هؤلاء، وكلهم من التابعين، ما ورثوه عن أسلافهم من الصحابة. فالدراسة التاريخية للسيرة النبوية ظهرت، أول ما ظهرت، في بيئة عربية، وكان روادها الأول من العرب، بل من أشراف العرب.

الجيل الأول من الرواة

ولم يكن للتأليف في السيرة عندهم منهج كامل، وربما كان بعضهم يُسأل عن غزوة معينة، أو خبر خاص، فيكتب فيه رسالة لمن سأله، وكان بعضهم يقتصر على تدوين أخبار المغازي، وتوسع بعضهم بذكر المبعث والوحي، وبعضهم ذكر تاريخ الهجرة وكيف كانت. والجيل الأول من رواة السيرة أربعة:

١- أبان بن عثمان بن عفان:

وينبغي أن نبدأ بذكر أبان بن الخليفة عثمان رضي الله عنهما، وكانت أمه أم عمرو بنت جندب بن عمرو الدوسي. ولد نحو سنة ٢٠ هـ، في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، في خلافة عمر بن الخطاب، أمير المؤمنين (١٣-٢٣هـ). وكانت زوجته أم كلثوم بنت عبدالله بن جعفر(٤). وعقبه كثير منهم: عبدالرحمن بن أبان كان مجتهدًا يُحمل عنه الحديث(٥).

شب أبان في المدينة، في عصر الاهتمام بأقوال الرسول وأفعاله للاهتداء بها أو للاعتماد عليها في التشريع وفي التنظيم الإداري وفي شؤون الحياة. وسرعان ما شمل هذا الاهتمام تاريخ الصحابة أنفسهم، فهم قدوة لمن بعدهم في أقوالهم وأعمالهم، فصارت هذه مشمولة بالحديث(٦).

بدأت دراسة مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم ضمن دراسة الحديث. ومع أن المحدِّثين استمروا على اهتمامهم بالمغازي؛ إلا أن بعضهم

www.ahlaltareekh.com

أخذ يُعنى بدراسة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم بشكل يتعدى الاقتصار على نواحي التشريع. فرواد دراسة المغازي في هذه المرحلة كانوا مُحَدِّثين، وهذا يفسر أهمية الإسناد أو سلسلة الرواة في تقدير قيمة المغازي. وخير من يمثل هذا الاتجاه في الدراسات المبكرة للمغازي والسيرة النبوية أبان بن عثمان بن عفان. فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي، يمثل «مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي»(٧).

ويُذكر أبان بين فقهاء المدينة، ويروى أنه كان يحفظ فتاوى أبيه، وكانت له شهرة حسنة بين المحدثين. ومع أن اسمه يتردد كثيرًا في أسانيد الأحاديث، فإنه لا يوجد في كتب السيرة، فلا نجد ذكره أبداً عند ابن إسحاق أو الواقدي أو ابن سعد (في الجزء المخصص لسيرة النبي من كتابه).

ذكر ابنُ سعد المغيرةَ بن عبدالرحمن فقال: كان ثقة قليل الأحاديث إلا مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من أبان بن عثمان، فكان كثيرًا ما تُقرأ عليه، ويأمرنا بتعليمها(٨). ومع أن تلميذه المغيرة بن عبدالرحمن هو الذي كتب مغازيه، فإن المصادر تصف أبان بأنه «أول من دون مجموعة خاصة تتناول المغازي»(٩).

عُيِّن أبان واليًا على المدينة عام ٧٥ هجرية من قبل عبدالملك بن مروان، وفي أثناء ولايته عليها كان الخليفة يعهد إليه في بعض السنوات بإمارة الحج. وكانت صلاته بفقهاء المدينة ومحدثيها جيدة، ورُوي عنه حبه للشعر والدعابة، وقد أصيب بالفالج قبل وفاته سنة ١٠٥هـ(١٠).

٢- عروة بن الزبير بن العوام:

لم يمض غير قليل من الزمن على مولد أبان، حتى ولد عروة بن الزبير، الذي كان مثله في المعرفة بالمغازي. وقد وصل إلينا من مجموعته عدد كبير من الأحاديث بخلاف الحال عند أبان.

وينتسب عروة، كأبان، إلى طبقة الأشراف السابقين إلى الإسلام، وقد افتخر عروة بانتسابه إلى أشرف نساء الصدر الأول من الإسلام: «أنا ابن عجائز الجنة: أمي أسماء بنت أبي بكر الصديق، وجدتي صفية بنت عبدالمطلب، وخالتي عائشة، وعمتي خديجة بنت خويلد»(١١).

ولد عروة سنة ٢٣هـ في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وبها شب وترعرع، وأخذ الحديث عن كثير من الصحابة منهم: أبوه، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وأبو هريرة ، وعبدالله بن عمر، وعبدالله بن عباس. وكان عروة يجتمع كل يوم في انتظام ببعض أصدقائه في مسجد المدينة في الأعوام الأخيرة من خلافة معاوية (٤١-٦٠هـ)، ومنهم : عبدالملك بن مروان، يتحادثون في أمور الدين والدنيا(١٢).

كان عروة أحد الفقهاء العشرة الذين استعان بهم عمر بن عبدالعزيز في إدارة شؤون المدينة أيام إمارته عليها. وعُدّ أحد الفقهاء السبعة الذين انتهى إليه العلم بالمدينة، وقد مكنته إقامته بها من الإلمام بكثير من الأخبار والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحياة صدر الإسلام، عرفها من والده، ومن أمه، ومن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وكان لا ينقطع عن زيارتها وسؤالها باستمرار(١٣).

وكان أكبر الرواة عنه ابنه هشام، وابن شهاب الزهري. ولم يقتصر عروة على تلقين تلاميذه الأخبار والمعلومات التي تلقاها عن الثقات الذين أخذ عنهم؛ بل دوَّن معلوماته عن حوادث الصدر الأول من الإسلام. وقد روى لنا ابنه هشام أن أباه عروة أحرق كتبه وصحفه في الفتنة عام ٦٣هـ، ثم ما لبث حتى حزن على فقدها كثيرًا فيما بعد، فكان يقول: لأن تكون عندي أحبُّ إليّ من أن يكون مثل أهلي ومالي(١٤).

ويبدو أن عروة، وهو فقيه ومحدث مشهور، كان مؤسس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألف كتابًا في المغازي(١٥)، وقد وصل إلينا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرخين كالطبري وابن إسحاق والواقدي وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل إلينا من تاريخ المغازي، وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول صلى الله عليه وسلم، كبدء الوحي أو بعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول. وقد كتب عروة بعض رواياته، في حين أن بعض كتاباته التاريخية هي أجوبة مكتوبة عن أسئلة وُجّهت إليه من الخليفة عبدالملك بن مروان.

ويحفظ لنا الطبري(١٦) فقرات ثلاثًا مأخوذة من رسالة أرسل بها إلى عبدالملك بن مروان تجري كما يلي:

حدثنا هشام بن عروة عن عروة، أنه كتب إلى عبدالملك بن مروان: أما بعد، فإنك كتبت إليّ في أبي سفيان ومخرجه تسألني كيف كان شأنه... ثم يلي ذلك وصف مفصل لموقعة بدر، ويستمر في حديثه. ويشير عروة هنا أيضًا إلى الآيات كثيرًا. وقد حفظ الطبري أيضًا جوابًا قصيرًا عن سؤال من عبدالملك بن مروان عن تاريخ وفاة خديجة(١٧)، وآخر عن سؤال من الوليد بن عبدالملك: هل تزوج النبي أخت الأشعث بن قيس(١٨).

وتمثل كتابات عروة المذكورة هنا أقدم المدوّنات التي حُفظت لنا عن حوادث خاصة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخي العربي. وعلى أننا لا نجد في أي مصدر قديم أن عروة ألف كتابًا حقيقيًا في المغازي، فإننا واثقون أنه جمع وأخرج مجموعة أحاديث عن أهم الحوادث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم. بل يتضح من الفقرات التي وصلت إلينا أن عروة بنى أجوبته على الأحاديث التي جمعها بنفسه، وهو، وإن كان لا يصرح باسم رواته في تلك الأجوبة عامة، فإنه يخرج عن تلك القاعدة في روايته عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حين يذكر أنها تستند إلى ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، ولذلك يعد من الخطأ القول بأن عروة كان خصمًا للأسانيد. لقد استعمل عروة الإسناد بشكل يعكس نظرة عصره. ويبدو أنه اعتمد على الأحاديث في أجوبته المكتوبة، ولكنه قدَّم رواية متسلسلة دون ذكر الإسناد. وهو في رواياته عن الحوادث المهمة، مثل بدء الوحي والهجرة، يعطي إسناده. وقد كانت النظرة إلى الإسناد في زمنه لا تزال مرنة، ولم تكن القواعد الدقيقة للإسناد قد ظهرت بعد.

أضف إلى ذلك أن عروة رجع أيضًا إلى وثائق مكتوبة، فيذكر مثلاً نص الرسالة التي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم لأهل هجر(١٩).

وامتد اهتمام عروة بالسيرة النبوية إلى زمن الخلفاء الراشدين، فتناول مثلاً معركتي القادسية واليرموك. وهكذا نجد الاهتمام مبكرًا بأحداث الأمة، ولكن الروايات التي وصلت إلينا عن عروة قليلة مبعثرة ولا تمكننا من الحصول على فكرة واضحة عن مغازيه أو عن الهيكل الذي انتظمت فيه رواياته(٢٠).

وقد رحل عروة إلى مصر، وأقام فيها مدة (٥٨-٦٥هـ)، وبعد مقتل أخيه عبدالله سنة ٧٣هـ ارتحل عروة مباشرة إلى عبدالملك الذي اعتاد عروة أن يلقاه لقاءً مستمرًا في مسجد المدينة في الأعوام الأخيرة من خلافة معاوية، كما أسلفنا. وكان عبدالملك يعامله - في دمشق - بإجلال

www.ahlaltareekh.com

واحترام. ولا نعلم شيئًا عن أية زيارة أخرى من عروة لعبدالملك، غير أنهما كانا يتبادلان الرسائل الأدبية بعد عودة عروة إلى المدينة حيث قضى بقية حياته محبًا للعلم مهتمًا به. توفي عروة في قرية له بقرب المدينة يقال لها «فرع» سنة ٩٣هـ، وكان يتمنى «منيتي الزهد في الدنيا والفوز بالجنة في الآخرة وأن أكون ممن يُروى عنه العلم»(٢١).

٣- شُرحبيل بن سعد:

المؤرخ الثالث الذي يُذكر في تاريخ المغازي والسيرة مع أبان وعروة هو شرحبيل بن سعد، وكان معاصرًا لهما، وقد عُمّر أكثر من مئة سنة، وتوفي عام ١٢٣هـ(٢٢). أخذ الأحاديث عن بعض الصحابة منهم: زيد ابن ثابت، وأبو هريرة، وأبو سعيد الخدري. وروى سفيان بن عيينة أنه لم يكن أحد أعلم بالمغازي والبدريّين منه(٢٣).

وأكد موسى بن عقبة بأن شرحبيل دَوّن كتبًا بأسماء المهاجرين إلى المدينة، وأسماء من اشتركوا في غزوة بدر، وغزوة أحد، لكن ابن إسحاق والواقدي لم يرويا عنه شيئًا. أما ابن سعد(٢٤) فيأخذ عنه رواية عن هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من قباء إلى المدينة، ولا يذكر شرحبيل في هذه الفقرة أي إسناد، ولكننا لا نستطيع أن نستنتج منها أن تلك طريقته في كل ما روى.

ومن المؤكد أن شرحبيل كان لديه مصادر ممتازة لاستقاء المعلومات لم يأل جهدًا في الاستفادة منها في كتابه عن السيرة؛ إلا أن كتابه هذا فُقد أيضًا في زمن مبكر جدًا مثل كتاب سلفه ذي النسب الشريف عروة بن الزبير. وإنا لنطمح في أن تؤدي الأبحاث المستقبلية إلى بيان مدى العلاقة بين الرجلين، وهل كان عروة يروي عن طبقة الأشراف الذين ينتمي إليهم في حين كان شرحبيل يروي عن عامة الشعب؟ فقد كان من عتقاء قبيلة خطمة الأنصارية الأوسية وكانو يقطنون المدينة.

٤- وَهْب بن مُنَبِّه:

كان علماء المغازي الثلاثة الذين ذكرناهم حتى الآن - أبان وعروة وشرحبيل - من المدينة، وقد قضوا حياتهم فيها. أما الرابع: وهو وهب بن منبه، الذي يُعدّ في التابعين ومن الجيل نفسه، فكان من جنوبي بلاد العرب. وقد توفي بصنعاء سنة عشر ومئة في أول خلافة هشام بن عبدالملك، على أن بعضهم ذكر أن وفاته كانت عام ١١٤هـ أو ١٢٠هـ.

ألف وهب في المغازي، فقد ذكر حاجي خليفة من جمع أخبار الرسول ومغازيه، فأشار إلى أن أول من صنف فيها عروة بن الزبير وجمعها أيضًا وهب بن منبه(٢٥). وقد أورد صاحب «حلية الأولياء» قطعتين في السيرة عن وهب، جاءا دون إسناد. ولكنّ وهبًا لا يُذكر في كتب السيرة القديمة مع رواة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقول حاجي خليفة صحيح، فقد وجد بيكر بين مجموعة بروي شت رينهاردت المحفوظة في هيدلبرج، مجلدًا يرجح أنه يحوي قطعة من كتاب «المغازي» هذا، وهي تحتوي على تاريخ العقبة الكبرى، وحديث قريش في دار الندوة، والاستعداد للهجرة، والهجرة نفسها، ووصول النبي إلى المدينة(٢٦).

لقد جاء وهب باتجاه جديد في أدب السيرة عارض فيه وجهة المحدثين في المدينة، وتأكيدهم قوة الإسناد. ويرى السخاوي أخباره غير جديرة بالمؤرخين الجديين(٢٧)، فهي تعتمد على قصص العهد القديم وأساطيره، وقد حاول أن يجعل منها مادة لتاريخ ما قبل الإسلام.

مما مر نلاحظ أن الدراسات التاريخية للسيرة النبوية بدأت متصلة بدراسة الحديث، بل إنها فرع منها، وأن أسلوب الرواية هو أسلوب الحديث شكلاً ومبنى. ويمكننا القول إن عروة قدم لنا صورة حية واقعية ودون مبالغة عن الأحداث التاريخية المهمة في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين الأولين، وفيها تأكيد أهمية السيرة في تجارب الأمة. وما بدأه عروة أتمه الزهري بجدارة.

> تمثل كتابات عروة بن الزبير أقدم المدوّنات التي حُفظت لنا عن حوادث خاصة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كما تمثل أقدم نصوص النثر التاريخي العربي

المدرسة الأولى لدراسة السيرة

نشطت الدراسات التاريخية المهتمة بالسيرة النبوية في الجيل التالي للتابعين، نشطت في إطار الحلقات العلمية والفكرية ودراساتها المتبعة للفقه والحديث، ونتيجة لذلك، وبمرور الزمن، تكونت في المدينة أول مدرسة لدراسة السيرة النبوية.

كان من روادها الأول: عبدالله بن أبي بكر ابن محمد، وعاصم بن عمر بن قتادة، ومحمد بن مسلم الزهري، وهم جميعًا من شيوخ ابن إسحاق، ظهروا من بين علماء الحديث، لكنهم وجهوا عنايتهم الخاصة إلى المغازي، فهم يستحقون أن نذكرهم وننوه بمكانتهم في هذا الموضع.

عبدالله بن أبي بكر (ت: ١٢٠هـ):

ولنبدأ بعبدالله، ولد في المدينة، من أسرة كريمة، خدم أجدادها الإسلام خدمات كبيرة، منهم عمرو بن حزم، بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، وعهد إليه مهمة تعليم أهلها وتبصيرهم بالدين، وبقي هناك واليًا للنبي على نجران. وعمرو بن حزم هذا، هو الجد الأعلى لصاحبنا. وتوفي جده، محمد بن عمرو، عام ٦٣هـ، ورثاه مروان بن الحكم «رحمك الله فرب سارية قد رأيتك تطيل القيام في الصلاة إلى جنبها». ثم كان أبوه أبو بكر قاضيًا في المدينة عام ٨٦هـ، وأميرًا عام ٩٦هـ. واشتهر بتبحره في الفقه(٢٨)، وهو الذي كتب إليه عمر بن عبدالعزيز يطلب إليه أن يجمع الحديث النبوي الشريف(٢٩). وقد خلف أبو بكر ولدين: محمدًا، وعبدالله. أما محمد فكان قاضيًا على المدينة، وكان يخرج في قضائه أحيانًا عن الحديث: «فكان إذا قضى بالقضاء مخالفًا للحديث يقول له أخوه عبدالله، وكان رجلاً صالحًا: أي أخي أين أنت عن الحديث أن تقضي به؟ فيقول: أيهات فأين العمل؟ يعني ما اجتمع عليه بالمدينة»(٣٠).

نشط عبدالله بن أبي بكر في حلقات المحدثين في مدينة الرسول حتى وصفه الزهري بـ«أنه ليس له مثيل في المدينة كلها»؛ إلا أن المكانة التي وصل إليها أبوه حالت دون أن يرتفع ذكره، وغطت عليه. وقد لاحظ الأب حب ابنه وشغفه بدراسة الحديث فنصحه بمقارنة عجز كل حديث بصدره(٣١). ونستطيع من مقتبسات ابن اسحق والواقدي وابن سعد

www.ahlaltareekh.com

السيرة النبوية

والطبري أن نتصور نشاط عبدالله بين رواة الحديث إلى حد ما، فيما يختص بروايات السيرة، ومغازي الرسول. ولم تقتصر أقوال عبدالله على المغازي بالمعنى الخاص للكلمة، فقد عُني أيضًا بشباب النبي وأعوامه الأولى، ولكن اسمه يُذكر في غالب الأحيان في أخبار الغزوات، ووجه عنايته أيضًا إلى وفود القبائل العربية على النبي، وروى أخبارًا عن أحوال القبائل العربية بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم(٣٢).

ويذكر عبدالله كثيرًا من أخباره دون ذكر للرواة، وفي أحوال أخرى يذكر أسماءهم: فلم يكن يرى الإسناد واجبًا بعد. وتنتهي بعض رواياته عن السيرة إلى خالته الكبرى عمرة، أخذها عنها مشافهة، وعن طريق زوجته فاطمة التي أخذتها مباشرة عن عمرة.

وعمرة بنت عبدالرحمن بن أسعد بن زرارة من بني النجار (ت:٩٨هـ) فقيهة عصرها. وقد روى الزهري عنها، كما روى صاحبنا هذا، كما روى عنها يحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم. وروت عمرة عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأم سلمة رضي الله عنها. وكانت عمرة - كما وصفها ابن سعد - عالمة، وكانت هي وأخواتها في حجر أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وفي رعايتها(٣٣).

ولم يقنع عبدالله بجمع الأخبار التي وصل إليها، فحاول أيضًا، في هذا الزمن المبكر، أن يبتكر الترتيب السنوي للحوادث، فجمع قائمة بغزوات النبي صلى الله عليه وسلم مرتبة ترتيبًا سنويًا، استعاره ابن إسحاق في تدوينه سيرته(٣٤). وعني إلى جانب أخبار روايته بالمدوّنات، مثل الرسالة التي كتبها النبي محمد صلى الله عليه وسلم إلى ملوك حمير(٣٥)؛ ومثل الوثيقة التي أعطاها النبي إلى جده الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه، حين بعثه إلى أهالي نجران ليفقههم في الدين، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام، ويأخذ منهم صدقاتهم(٣٦). ويُدخل عبدالله في الحوادث الأشعار على أفواه أولئكَ الذين كان لهم أثر ظاهر فيها، كما فعل سابقوه الرواد الأول لدراسات السيرة النبوية.

عاصم بن عمر بن قتادة (ت: ١٢٠هـ):

مدني، من أسرة كانت من السابقين إلى الإسلام، فجده قتادة من الصحابة، ومن الأنصار. شهد مع النبي غزوة بدر، وكان من الرماة المذكورين، كما كان حامل لواء قبيلته بني ظفر في حنين، وابنه عمر بن قتادة روى الأخبار عن أبيه وبلّغها ابنه عاصمًا، الذي وصف بأنه: هو صاحب السير والمغازي(٣٧) شيخ محمد بن إسحاق، علامة بالمغازي(٣٨) كان راوية للعلم، وله علم بالمغازي والسير(٣٩). ويروي ابن سعد أن عاصمًا وفد على الخليفة عمر بن عبدالعزيز، فأكرمه وأمره أن يجلس في مسجد دمشق، يحدث الناس بالمغازي ومناقب الصحابة، ففعل، ثم رجع بعد مدة إلى المدينة سنة ١٠١هـ، وهناك التف حوله طلبة العلم، فكان يشرح لهم معارفه ومعلوماته عن السيرة النبوية، استمر على ذلك مدة تقرب من العشرين عامًا، وقد اتصفت أحاديثه عن بيعة العقبة ومناقشاتها بالدقة والتحقيق. وعاصم - بعد هذا - أحد رواة ابن إسحاق والواقدي، وهما منفردان بالمغازي والسيرة بالمعنى الخاص، ولكنه عني أيضًا بتفاصيل قصة شباب النبي والفترة المكية عامة كما توضح مقتبسات ابن سعد خاصة. وهو يصرح أحيانًا بأسانيده ولكنه في أكثر الأحيان يحذفها (الأسانيد).

ويتضح من الفقرة التي ذكرها ابن إسحاق أنه لم يكن يجمع الأخبار فحسب، بل كان يعبر - من حين لآخر - عن رأيه الخاص في الدوافع التي تدفع لارتكاب الحوادث، ففي رواية ابن إسحاق عن موقف العباس لتوثيق حلف الأنصار على طاعة النبي، يقول ابن إسحاق:

«وأما عاصم بن عمر فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في أعناقهم. وأما عبدالله بن أبي بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبدالله بن أُبيّ، فيكون أقوى لأمر القوم»(٤٠).

ابن شهاب الزهري (ت:١٢٤هـ):

محمد بن مسلم بن عبيدالله بن عبدالله ابن شهاب الزهري، من الرواة العرب، من قبيلة مكية هي بنو زهرة(٤١)، وهم بطن من بني مرة ابن كلاب، من قريش. درس على أعلام المحدثين، وهو يضع أربعة منهم في منزلة خاصة من الاحترام والتقدير، ويكثر الأخذ عنهم وهم: سعيد بن المسيب، وأبان بن عثمان، وعبيدالله ابن عبدالله بن عتبة، وعروة بن الزبير. فهو يذكر: «أدركت من قريش أربعة بحور»، ويروى أنه وعى علمهم وأضاف دراساته إلى ذلك(٤٢).

نال الزهري منزلة كبيرة في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم كمحدث وفقيه «حفظ علم الفقهاء السبعة» حتى «لم يبق أحد أعلم بسنة ماضية منه» كما قال عمر بن عبدالعزيز(٤٣). ويمكن القول إنه قضى أعوام دراسته كلها في المدينة، وإنه قام ببحث واسع فيها عن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وساعده في ذلك مكانته الاجتماعية وذاكرته القوية واستعانته بالكتابة لحفظ ما يسمع. ولم يقصر دراسته وسؤاله على المحدثين، بل سأل كل من يمكن أن يكون عنده حديث أو خبر ويصح الوثوق به «كان يأتي المجالس من صدورها ولا يأتيها من خلفها، ولا يُبقي في المجلس شابًا إلا ساءله ولا كهلاً إلا ساءله، ثم يأتي الدار من دور الأنصار فلا يبقي شابًا ولا كهلاً ولا عجوزًا إلا ساءلهم»(٤٤). ولم يكن من المألوف، حتى بين التابعين، أن يدون جامعو الحديث الأخبار التي جمعوها لأنفسهم، لكن الزهري اهتم بتدوينها «كان يكتب كل ما سمع» بـ«ألواح وصحف»، كتب السنن، وما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء عن الصحابة. وكان شيوخ الزهري يلوذون بالصمت لا يستطيع أحد أن يحملهم على الكلام إلا بمشقة، أما الزهري فكان يخالفهم في ذلك لا يضن بعلمه أبدًا على الناس. يروي الزهري: «ما نشر أحد من الناس هذا العلم مثلي»(٤٥). وأضاف الزهري علمه إلى علم شيوخه، ومن

> كان الزهري عارفًا بالتاريخ بصيرًا به. وهو من أئمة رواة السيرة، ويدين له ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري بكثير من علمهم في تاريخ الإسلام والسيرة

www.ahlaltareekh.com

مصادر دراسة السيرة النبوية

ثم عدته الأجيال التالية أعلم أهل الحديث «حفظ الإسلام نحواً من سبعين سنة» كما يروي ابن تيمية(٤٦).

ولم تقتصر مواهب الزهري على رواية الحديث، فقد كان إلى ذلك عارفًا بالتاريخ بصيراً به. وهو أيضاً من أئمة رواة السيرة، وقد لخص الطبري دوره في هذا النشاط بقوله: «كان الزهري مقدمًا في العلم بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار قريش والأنصار، راوية لأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه»(٤٧). ويبدو أن دراسات الزهري عن حياة الرسول، تناولت حياته في مكة وبعدها في المدينة. وقد استعمل الزهري مصطلح «السيرة» و«المغازي»، وقد أكد حاجي خليفة أن الزهري وضع كتابًا في المغازي(٤٨).

ويدين له ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري بكثير من علمهم في تاريخ الإسلام والسيرة(٤٩). ونعرف من رواية لمعمر، تلميذ الزهري، أنه وجدت في مكتبة الأمويين بدمشق أكوام من المجلدات التي احتوت على المادة العلمية التي جمعها الزهري. يقول معمر: «كنا نرى أنّا قد أكثرنا عن الزهري، حتى قُتل الوليد، فإذا الدفاتر قد حُملت على الدواب من خزائنه، من علم الزهري»(٥٠).

ويروي الزهري أحاديثه بالإسناد عادة، ولكنه يحذفه في كثير من الأحيان. وحينما يجمع عدة روايات، تختص جميعها بحادثة واحدة، ينشئ من هذه الروايات المختلفة خبراً جماعيًا يصدره بأسماء الرواة مجتمعين(٥١).

تلاميذ الزهري

ونعرف من تلاميذ الزهري ثلاثة ألفوا في المغازي، هم: موسى بن عقبة (١٤١هـ) ويعد من المتبحرين المتخصصين في المغازي. ونستنتج من المقتبسات الكثيرة لابن سعد، أن كتاب موسى بن عقبة كان يحتوي على قوائم المهاجرين إلى الحبشة، والمشتركين في بيعتي العقبة، وأهم من ذلك كله المحاربين في بدر. وكانت تحت يده مدونات لعبدالله بن عباس، وبعض الوثائق الأصلية، مثل الرسالة التي وجهها النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن ساوى بالنص(٥٢). ويحتوي كتاب موسى أيضًا على حقائق مؤرخة تأريخًا سنويًا(٥٣). أما معمر بن راشد المولود في البصرة (٩٦-١٥٤هـ) فقد ذكر ابن النديم أنه صنف كتاب المغازي(٥٤) الذي لم يصل إلينا منه غير فقرات، أكثرها عند الواقدي وابن سعد، وبعضها عند البلاذري والطبري(٥٥).

أما التلميذ الثالث للزهري فهو محمد بن إسحق، وقد غطت شهرته على جميع من سبقه وعاصره بكتابه، وهو أول كتاب وصل إلينا كاملاً.

نشأ ابن إسحق ودرس في المدينة، وكان أبوه محدثًا، ويبدو أنه بدأ مثل كثيرين من جيله بدراسة الحديث، وجمع كثيراً من الأحاديث، ولكنه أهتم، بصورة خاصة، بمغازي النبي صلى الله عليه وسلم. ويظهر أنه بدأ دراسته في وقت مبكر، وعندما ناهز الثلاثين سافر إلى الإسكندرية سنة ١١٥هـ، وأخذ عن محدثين مصريين، ثم رحل إلى العراق بعد الثورة العباسية سنة ١٣٢هـ، وذهب إلى الجزيرة سنة ١٤٢هـ، وفيها يرد أول ذكر لسماع المغازي عنه في العراق. ثم قصد المنصور في الحيرة في المدة بين ١٤٢-١٤٦هـ فكتب له المغازي. والمصادر تؤكد أنه كتب في المبتدأ وفي السيرة والمغازي. فسيرته هي أول تاريخ للسيرة وصل إلينا بإطاره الكامل، وقد وصلت إلينا بعد أن هذبها ابن هشام، لكن علينا أن نلاحظ أن ابن إسحاق لم يكن واضع هيكل المغازي، بل إن أستاذه الزهري سبقه إلى ذلك في دراساته الواسعة وفي الإطار الذي رسمه للسيرة، وفي التسلسل الزمني الذي اتبعه(٥٦)، وهذا ما سوف نتناوله في دراسة الطبقة الثالثة من أصحاب السيرة.

الهوامش:

١- السِّرة: الضرب من السَّير، والسِّيرة: السنة والطريقة والهيئة: قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى. طه: ٢١. لسان العرب: سير، مارسدن جونس: مقدمة كتاب المغازي للواقدي، لندن ١٩٦٦م، ص١٩.
٢- الأغاني ٥٩/١٩.
٣- البداية والنهاية ٢٤٣/٣.
٤- ابن قتيبة، المعارف ٢٠١.
٥- شذرات الذهب ١٣١/١، أنساب الأشراف ١١٩/٥.
٦- هورفتس: المغازي الأولى ومؤلفوها، ص١. تسترشتين: أبان بن عثمان، دائرة المعارف الإسلامية ١٧/١.
٧- د. الدوري، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب، ص٢١.
٨- ابن سعد، الطبقات ١٥٦/٥.
٩- هورفتس، ص٦. جب: علم التاريخ، دائرة المعارف الإسلامية ٤٨٧/٤، تسترشتين: أبان بن عثمان، ١٧/١. وهو يذكر أن كتابه «المغازي» يعد أقدم الآراء الأدبية في هذا الموضوع.
١٠- البلاذري، أنساب الأشراف ١١٨/٥.
١١- أنساب الأشراف ٣٧٣/٥، المعارف ٢٢٣.
١٢- شذرات الذهب ١٠٤/١.
١٣- ابن خلكان، وفيات الأعيان ٤١٨/٢.
١٤- ابن سعد، الطبقات ١٧٩/٥.
١٥- كشف الظنون ١٧٤٧/٢.
١٦- تاريخ الطبري ٣٢٨/٢.
١٧-١٨- تاريخ الطبري ١٤٠/٦ وما بعدها.
١٩- البلاذري، فتوح البلدان ٩٦/١.
٢٠- هورفتس ٢٣، الدوري ٢٥.
٢١- ابن خلكان ٤٢١/٢، أنساب الأشراف ٣٧٢/٥، المعارف ٢٢٣.
٢٢- ليفي دلافيدا: السيرة، دائرة المعارف الإسلامية ٤٥٥/٢.
٢٣- ابن حجر، التهذيب ٣٢١/٤.
٢٤- الطبقات الكبرى ١٦/١، وهو يذكر: أخبرنا يحيى بن محمد الجاري، قال: حدثني مجمع بن يعقوب أنه سمع شرحبيل بن سعد يقول: لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينتقل من قباء اعترضت له بنو سالم فقالوا: يا رسول الله - وأخذوا بخطام راحلته - هلم إلى العدد والعدة والسلاح...
٢٥- كشف الظنون ١٧٤٦/٢-٤٧.
٢٦- هورفتس ٣٥.
٢٧- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ٨٨، ليفي دلافيدا: السيرة، دائرة المعارف الإسلامية ٤٥٢/٢. وقارن ذلك بما كتبه مارسدن جونس في مقدمته لكتاب المغازي للواقدي.
٢٨- عن حياة أبي بكر في المدينة وثقافته: ووظائفه الرسمية فيها راجع. أخبار القضاة ١٤٥/١، وهو من الأنصار، كنيته اسمه، وتوفي بالمدينة سنة ١٢٠هـ (المعارف ٤٦٦).
٢٩- ابن سعد ٣٥٣/٨، وهو يذكر رسالة عمر بن عبدالعزيز إلى أبي بكر بن محمد بن حزم: أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أو سنة ماضية أو حديث عمر فاكتبه فإني خشيت دروس العلم وذهاب أهله.
٣٠- أخبار القضاة ١٤٥/١.
٣١- الذهبي، تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق ٩١.
٣٢- هورفتس ٤٢.
٣٣- الطبقات ٣٣٥/٨.
٣٤- ورد في الطبري: عن محمد بن إسحاق، عن عبدالله بن أبي بكر قال: كان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة.
٣٥- الطبري ١٥٣/٣: حدثني محمد ابن إسحاق عن عبدالله بن أبي بكر قال: قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم...
٣٦- مصادر هذه الوثيقة تجدها في: أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب ٦٤/١، ولهذا السبب يُعدّ عبدالله بن أبي بكر من أوائل من دعم الرواية الشفهية بالنصوص المدونة والوثائق الرسمية التي احتفظت بها أسرته.
٣٧- المعارف ٤٦٦.
٣٨- شذرات الذهب ١٥٧/١.
٣٩- هورفتس ٤٧.
٤٠- ابن هشام ١٧٦/٢.
٤١- جمهرة أنساب العرب ١٣٠ (بنو زهرة).
٤٢- ابن سعد ١٣١/٢.
٤٣- شذرات الذهب ١٦٢/١.
٤٤- الذهبي، تراجم ٦٩.
٤٥- ابن سعد، الطبقات ١٣٥/٢.
٤٦- شذرات الذهب ١٦٢/١.
٤٧-٤٨- كشف الظنون ١٧٤٧/٢، الدوري ٨١. هورفتس: الزهري، دائرة المعارف الإسلامية ٤٥٧/١٠.
٤٩- الدوري، دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن إسحاق، ص١٠.
٥٠- ابن سعد ١٣٦/٢: تردد الزهري على دمشق وأقام فيها فترة في عهد الخلفاء: عبدالملك والوليد وهشام، وأجروا عليه رزقًا.
٥١- هورفتس ٦٨ وما بعدها.
٥٢- البلاذري، فتوح البلدان ١٢٠/١.
٥٣- الديار بكري، تاريخ الخميس ٥٣٩/١.
٥٤- الفهرست ٢٢٠.
٥٥- هورفتس ٧٥.
٥٦- الدوري، دراسة في سيرة النبي ومؤلفها ابن إسحق ١١، الخطيب البغدادي ٢١٥/١.

www.ahlaltareekh.com



الخيال العلمي واستشراف آفاق المستقبل

صفات أمين سلامة

يُعَدّ الخيال العلمي Science Fiction أحد المنافذ المهمة لدراسة المستقبل؛ فما من اختراع أو اكتشاف علمي إلا كان قائمًا على الخيال، فمن دون الخيال يفتقد الإنسان أهم عناصر الابتكار والإبداع.
وأدب الخيال العلمي هو نوع من الأدب يعالج الاكتشافات والتطورات العلمية التي يمكن أن تحدث في المستقبل القريب أو البعيد، أو هو نوع من العلاقة القائمة على التأثير والتأثر بين العلم والأدب.

ويُعدّ الروائي الفرنسي جول فيرن Jules Verne (١٨٢٨ - ١٩٠٥م) والروائي الإنجليزي هـ. ج ويلز H. G Wells (١٨٦٦ - ١٩٤٦م) من أبرز رواد أدب الخيال العلمي، حيث يرجع إليهما الفضل في إرساء دعائم الرواية العلمية، بالمعنى الصحيح لها؛ فقد قاما بدمج العلم في الأدب من خلال كتابة الرواية العلمية التي تصور لنا أحداث الإنجازات العلمية التي يمكن أن تحدث في المستقبل. ويذكر لنا النقاد الإنجليز أن ما جاء في رواية «أول رجال على سطح القمر» لويلز عام ١٩٠١م، قد نفذه نيل آرمسترونج الأمريكي أول إنسان يهبط على سطح القمر في ٢١ تموز/ يوليو عام ١٩٦٩م. كما ذكر جول فيرن في روايته «من الأرض إلى القمر» عام ١٨٦٥م أن الأمريكيين هم أول من يقومون بغزو القمر، بل حدد الموقع الذي سوف يطلقون منه سفينتهم.

يقول الكاتب الإنجليزي بريان ستبلفورد Brian Stableford أحد مؤلفي قصص الخيال العلمي: إن الكتب الجادة من هذا الأدب تدور قصصها حول نظريات علمية واقعية، وتحاول التكهن بتأثيرها في المجتمع في المستقبل بإبراز هذه الآراء بشكل واقعي مقبول من الناحية النفسية على الأقل، وإن لم يكن من الناحية المنطقية؛ وإلا فمن كان يتوقع في أوائل الخمسينيات أن يهبط الإنسان فوق القمر، وأن يصبح السفر إلى الفضاء أمرًا مألوفًا؟ ومن كان يتوقع عندما يقرأ رواية «آلة الزمن» لويلز عام ١٨٩٥م، أن يصبح موضوع السفر في الزمن قضية يبحثها الفيزيائيون ويجدون لها النظريات والمعادلات الرياضية(١).

وهناك إجماع بين مؤرخي علم المستقبل على أن الكاتب الإنجليزي هـ ج. ويلز قد قدّم إضافات بارزة في تأصيل الاهتمام العلمي بالدراسات المستقبلية وذلك من خلال العديد من دراساته ذات الطابع المستقبلي مثل: «التوقعات» Anticipation عام ١٩٠١م، و«اليوتوبيا الجديدة» A Modern Utopia عام ١٩٠٥م، و«شكل الأشياء المستقبلية» The shape of things to come عام ١٩٣٣م، وجميعها تدور حول استكشاف حياة الأجيال المقبلة وهمومها؛ فقد توقع ويلز فيها أشكال وسائل النقل التي ستتوافر في القرن العشرين، كما توقع اتساع رقعة المدن الكبرى واتساع ضواحيها، كما صوّر نظم الطرق الفسيحة التي سوف تكتظ بالسيارات الخاصة والحافلات والشاحنات، وتوقع أيضًا إقامة المساكن الضخمة التي سوف تكون التدفئة فيها مركزية، وستحفل بالمطابخ الآلية، وبالمنظفات المنزلية، وبكثير من المنتجات الأخرى التي يُعلن عنها اليوم على شاشات التلفاز.

ولم يقف ويلز عند هذا الحد، بل عرض للتغيرات التي سوف تقع في البنية الطبقية بالمجتمع الإنساني بالأقطار المختلفة، كما عرض لمستقبل الديمقراطية والوصول إلى حالة من الاستعداد الدائم للحرب، مما سيجعل من المحتوم في نهاية المطاف قيام نظام حكم عالمي تحت إشراف صفوة مدربة علميًا(٢).

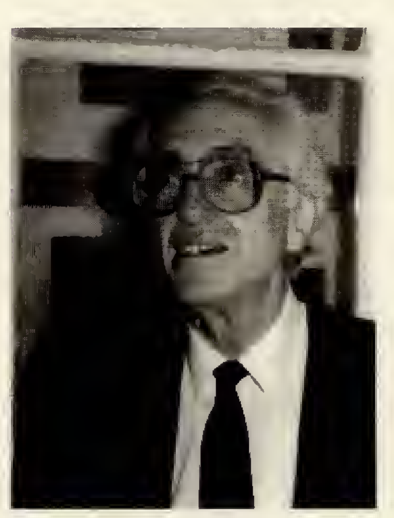
كما أن الروائي الفرنسي جول فيرن قد



www.ahlaltareekh.com

استطاع - في كثير من أعماله الروائية - أن ينفذ ببصيرة حادة إلى مجاهل المستقبل، ويطرح العديد من التوقعات المثيرة للعقل والوجدان التي تضمنتها مؤلفاته وأشهرها «من الأرض إلى القمر» عام ١٨٦٤م، و«حول العالم في ثمانين يومًا» عام ١٨٧٣م، و«عشرون ألف فرسخ تحت سطح البحر» عام ١٨٧٠م(٣).

ومن روايات الخيال العلمي الأخرى الرائدة في استشراف المستقبل رواية «عالم جديد شجاع» للروائي الإنجليزي الدوس هكسلي Aldous Huxley (١٨٩٤-



نهاد شريف

١٩٦٣م) التي نشرها عام ١٩٣٢م، وفيها قدَّم تصورًا لعالم المستقبل الذي انتصرت فيه الآلة والتقنيات والعلوم من ناحية، والتنظيم السياسي من ناحية أخرى؛ ففي ذلك العالم لا يولد الأطفال بالطرائق الطبيعية؛ بل يُصنعون في أنابيب الاختبار، ويُشكَّلون تبعًا لاحتياجات المجتمع الذي يحدد سياسته(٤).

فهكسلي في روايته يمزج العلوم الحيوية (البيولوجية) بالخيال العلمي، والغريب أن الأحداث التي توقعها هكسلي عندما كتب روايته عام ١٩٣٢م، وقعت بالفعل في عام ١٩٧٤م عندما تم تكوين جنين آدمي خارج رحم الأم(٥).

وقصة «الموعد النهائي» للكاتب الأمريكي كليف كارتميل Cleve Cartmill (١٩٠٨-١٩٦٤م) التي نشرها عام ١٩٤٤م مثال آخر للتوقع العلمي للمستقبل؛ ففيها تصوَّر المؤلف أنه يمكن اختراع قنبلة ذرية تنفجر بقوة شديدة يمكنها أن تنهي الحرب العالمية الثانية، وقد بلغت من الدقة في تفصيلاتها العلمية ما جعل مكتب المخابرات الأمريكية يشك في أن الكاتب قد تسلل إلى المعلومات السرية الخاصة بهذه القنبلة، ومرد هذا الشك وهذه الحيرة إلى أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت تجدّ في ذلك الوقت في صناعة



جول فيرن

القنبلة الذرية في جو من السرية التامة، وثبت من التحقيقات التي أجرتها المخابرات الأمريكية أن الكاتب لم يطلع على هذا السر، وإنما كان ذلك من بنات أفكاره وإعمال خياله(٦)، وانحصر جهد الكاتب في نفاذ الخيال الذي استطاع به أن يتوقع ما حدث في عالم الواقع.

وقصة «خارج الأرض» للكاتب الروسي كونستانتين تسيولكوفسكي Konstantin Tsiolkovsky (١٨٥٧-١٩٣٥م) التي نشرها عام ١٨٩٢م، قدم فيها بعض الأفكار عن الطاقة الشمسية والأقمار الصناعية، ووصف فيها صاروخًا متعدد المراحل يعمل بالوقود السائل ويستطيع أن يتغلب على جاذبية الأرض، واقترح في هذه القصة استخدام النباتات في الحصول على الأكسجين اللازم لركاب هذا الصاروخ(٧).

أما قصته بعنوان «على القمر» عام ١٨٩٣م فهي مخطط لرحلة فضائية لم تطبق إلا في أيامنا هذه من طريق رواد أبولو، حيث يصور تسيولكوفسكي في هذه القصة ارتياد القمر من قبَل شخصين، أحدهما مغرم بشؤون الفضاء، والثاني عالم في الطبيعيات. وهذه القصة التي كتبت في القرن الماضي لم تزل تشد القارئ المعاصر الذي شاهد عملية النزول على سطح القمر في ٢١ تموز/ يوليو عام ١٩٦٩م(٨).

وقصة الأديب الأمريكي هوجو جرنسباك Hugo Gernsback (١٨٨٤-١٩٦٧م) بعنوان Ralph 124 C 41: A Romance of the year 2660 التي نشرها عام ١٩٢٥م، تدور أحداثها سنة ٢٦٦٠م، وبطلها العالم رالف ابن عام ٢٦٦٠ الذي ينقذ فتاة سويسرية من الثلوج التي أوشكت أن تواري منزلها؛ إذ أرسل من أجل نجدتها إشعاعًا كهربائيًا من نيويورك حتى سويسرا، وهذه القصة صورة لعالم تقاني متقدم، وقد توقع في قصته هذه طريقة عمل جهاز التلفاز(٩).

كما أن روايات الكاتب الإنجليزي المعاصر آرثر كلارك Arthur C. Clarke تعد تأملاً علميًا سليمًا لما يمكن أن يحدث في المستقبل؛ فقد قاده اهتمامه بالفيزياء والتقانة إلى توقع بعض التطورات العلمية بدقة مدهشة، إذ نُسب إليه اكتشاف فكرة الاتصالات عبر الأقمار الفضائية في زمن يعود إلى عام ١٩٤٥م، أي قبل أن تصبح واقعًا بعشرين سنة. ومن أهم رواياته «٢٠٠١ أوديسا الفضاء» التي نشرها عام ١٩٦٨م، ورواية «٢٠١٠ أوديسا الفضاء» ونشرها عام ١٩٨٢م.

أما الكاتب الأمريكي إسحق أسيموف Isaac Asimov (١٩٢٠-١٩٩٢م) فقد وصل خياله في مجموعته القصصية «أنا روبوت» عام ١٩٥٠م إلى درجة تصور إنسان آلي يتطور في إمكاناته من أداء

www.ahlaltareekh.com

حركات ميكانيكية محدودة، إلى أن يصبح، مع الزمن، قادرًا على تنفيذ أعمال معقدة من بينها الدراسة والبحث واستخلاص القرارات وإبداء الآراء السديدة(١٠).

كما أن أسيموف يُذكر دائمًا على أنه أول مشرّع ومؤلف للقوانين الثلاثة لعلم الإنسان الآلي التي تأخذها صناعة الروبوت مأخذ الجد(١١). كما أن روايات «المؤسسة» Foundation لأسيموف التي نُشرت بين عامي ١٩٥١م، ١٩٨٨م (وهي «مقدمة المؤسسة»، و«المؤسسة»، و«المؤسسة والإمبراطورية»، و«المؤسسة الثانية»، و«حافة المؤسسة»، و«المؤسسة والأرض») تمثل مكانة فريدة في كل قصص الخيال العلمي، إذ تُعدّ من أفضل ما كتب أسيموف، وتحكي أحداث انهيار الإمبراطورية المجرّية الأولى(١٢)، وهذا يدل على أن الخيال العلمي، في محاولته استشراف ملامح المستقبل، قد أدى دورًا مهمًا في تطور العلوم واكتشاف القوانين الطبيعية من خلال القدرة على التخيل والاستنباط، مستخدمًا منهجًا منطقيًا وعلميًا إلى حد كبير(١٣).

والاعتراف بدور الخيال العلمي في رسم صورة المستقبل مرجعه إلى أن تحرك عناصر الواقع نحو المستقبل لا تحكمه معايير محددة يمكن رصدها على نحو دقيق أشبه بما يجري في عالم الطبيعة وعلومها، إذ يبقى السلوك الإنساني دائمًا ثغرة واسعة في جدار المنطق الصارم الذي يحكم الظواهر الطبيعية والقوانين التي تضبط حركتها وعلاقاتها، ولذلك يحتاج الباحث إلى تصورات ورؤى يجري بها تقدير حركة الظواهر الاجتماعية في امتدادها عبر الزمن نحو المستقبل القريب والبعيد(١٤).

والخيال الواعي لا يبعد من الواقع، وإنما يعمد إلى وضع صورة لما سيكون عليه هذا الواقع من خلال التعمق في استقراء معطياته، والتفكير المتأني في الإمكانات التي سيتيحها المستقبل في حالة إقامة علاقات وروابط غير معهودة بين الأشياء والموجودات والمثيرات المختلفة(١٥).

وجدير بالذكر أن الدراسات المستقبلية بدأت تحظى بالاهتمام والانتشار في العصر الحالي، وأصبح استشراف المستقبل همًّا يشغل بال المنظمات والحكومات المختلفة، متمثلاً في عقد العديد من المؤتمرات الدولية، وإقامة العديد من المراكز والهيئات العلمية المتخصصة في الدراسات المستقبلية. كذلك بدأت الدراسات المستقبلية ـ وبصفة خاصة دراسة أدب الخيال العلمي ـ تقتحم المناهج الدراسية في المدارس والجامعات، إذ أصبحت تُدرس في العديد من المدارس والجامعات في دول العالم المتقدم، بغية تشجيع الطلاب على التفكير فيما سيكون عليه المستقبل، وعلى الاستعداد لمواجهته. وجدير بنا ـ نحن العرب ـ أن نستقبل هذا الاهتمام المتزايد بدراسات المستقبل، وبصفة خاصة أدب الخيال العلمي، استقبال المرحِّب لا استقبال المتوجس المرتاب؛ فنحن أمة طال انكفاؤها على الماضي وانحصارها في تجاربه واستغراقها في أجوائه، حتى حال بنا ذلك كله ـ في أحيان كثيرة ـ دون التجاوب مع متطلبات الحاضر أو الاستعداد لمواجهة تحديات المستقبل القريب(١٦).

ولهذا فإن الخيال المزود بفهم علمي هو وسيلتنا الوحيدة للنظر في المستقبل والتكهن به، لأنه يسد الفجوة بين ما هو معلوم لدينا بالفعل، وما لا يزال مجهولاً، وذلك بالانطلاق الذهني نحو بدايات وأفكار جديدة لم تطرق قبلاً، ومن هنا، من طريق الخيال في المبدأ، يمكن تطويع العلم وتطويره، ومن ثم الذهاب إلى آفاق جديدة؛ بل غير متوقعة، والتي قد تبدو مغرقة في غرابتها ونأيها عن التصديق(١٧).

وأخيرًا نستمع إلى الكاتب نهاد شريف ـ رائد أدب الخيال العلمي العربي ـ يقول: «إن أدب الخيال العلمي الذي يمثل اليوم صبحة الحديث وقمة الطموح الحضاري يُجمع النقاد وذوو الرأي على أنه سيكون الأدب الأكثر ذيوعًا وانتشارًا وشعبية في المستقبل القريب، بل وربما كُتبت له السيادة على سائر ما يُقدَّم من آداب بدءًا من القرن القادم. وحبذا لو أمكننا ـ بوسيلة أو بأخرى ـ إرضاع صغارنا جرعات الخيال العلمي مع إرضاعهم وجبات اللبن الدافقة الشهية»(١٨)، كما يجب أن يوضع هذا الخيال في إطار ثقافي وقيمي يضبطه، حتى لا يكون في تجاوزه إضرار بالإنسان وبيئته.

الهوامش:

١ـ سهام الكرمي: بين الحقيقة والخيال، مجلة «هنا لندن»، هيئة الإذاعة البريطانية، لندن، العدد ٥١٧، نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩١م، ص٣٨.

٢ـ يوسف ميخائيل أسعد: المستقبلية والتطور التكنولوجي والبشري، مجلة القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، العدد ٩٧، ١٥تموز/ يوليو ١٩٨٩م، ص٣٧.

٣ـ قسطنطين زريق: نحن والمستقبل، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٧م، ص٨١.

٤ـ محمود قاسم: الخيال العلمي أدب القرن العشرين، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٣م، ص٦١.

٥ـ د. نبيل راغب: المستقبل في الأدب الروائي العالمي، مجلة الفيصل، العدد ١١٧، ربيع الأول ١٤٠٧هـ، تشرين الثاني ـ كانون الأول/ نوفمبر ـ ديسمبر ١٩٨٦م، ص٦٠.

٦ـ د. زيد بن عبدالمحسن الحسين، مبتكرات العصر وليدة خيال، مجلة الفيصل، العدد ٢٢٢، ذو الحجة ١٤١٥هـ ـ مايو/ أيار ١٩٩٥م، ص٤.

٧ـ د. أحمد مدحت إسلام: السفر إلى الفضاء والاتصال بالحضارات الأخرى، مجلة العربي، العدد ٤٠٠، شعبان ـ رمضان ١٤١٢هـ ـ آذار/ مارس ١٩٩٢م، ص٦٠.

٨ـ الطيب الجويلي: علم الخيال ومستقبل الإنسان، مؤسسة عبدالكريم عبدالله، تونس ١٩٧٦م، ص٥٨.

٩ـ المصدر السابق، ص٧٦.

١٠ـ د. سعد الحاج بكري: الخادم الآلي وعالم المستقبل، مجلة الفيصل، العدد ١١٠، شعبان ١٤٠٦هـ، نيسان ـ أيار/ أبريل ـ مايو ١٩٨٦م، ص٨٨-٨٩.

١١ـ محمود قاسم، مصدر سابق، ص٩٨.

١٢ـ رؤوف وصفي: أسيموف رحيل أشهر كتاب الخيال العلمي، مجلة العربي، العدد ٤١٣، نيسان/ أبريل ١٩٩٣م، ص٩٣.

١٣ـ نبيل راغب، مصدر سابق، ص٦٠.

١٤ـ د. أحمد كمال أبو المجد: تأملات في مستقبل العالم ومكاننا فيه، مجلة العربي، العدد ٤٠٥، آب/ أغسطس ١٩٩٢م، ص٤٤.

١٥ـ د. زيد بن عبدالمحسن الحسين، مصدر سابق، ص٤.

١٦ـ د. أحمد كمال أبو المجد، مصدر سابق، ص٤٥.

١٧ـ نهاد شريف: أدب الخيال العلمي والطفل، مجلة القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، العدد ٩٨، ١٥ آب/ أغسطس ١٩٨٩م، ص٢٨.

١٨ـ المصدر السابق، ص٢٩.

www.ahlaltareekh.com



د. محمود جبر الربداوي

من غزل المتنبي:

لِعَينيكِ ما يَلقَى الفؤادُ وما لَقِي ... وللحبِّ ما لم يبقَ مني وما بَقِي
وما كنتُ مِمَّن يَدخُلِ العشقُ قلبَه ... ولكنَّ مَنْ يُبصرْ جفونك يعشقِ
وبين الرضا والسُّخطِ والقُربِ والنوى ... مجالٌ لدمعِ المقلةِ المترقرقِ
وأحلى الهوى ما شكَّ في الوصل ربُّهُ ... وفي الهجر، فهو، الدهرَ، يرجو ويتقي
وغضبى من الإدلال، سكرَى من الصِّبا ... شفعتُ إليها من شبابي بِرِيِّقِ
وأشنبَ معسولِ الثنيّاتِ واضحٍ ... سترتُ فمي عنه فقبَّل مَفْرِقي
وأجيادِ غزلانٍ كجيدكِ زُرنَني ... فلم أتبيَّن عاطلاً من مطوَّقِ
وما كلُّ من يهوى يعفُّ إذا خلا ... عفافي، ويُرضي الحِبَّ والخيل تلتقي
إذا ما لبستَ الدهر مُسْتمتعًا به ... تخرَّقتَ والملبوس لم يتخرَّقِ
ولم أر كالألحاظ يوم رحيلهمْ ... بَعثنَ بكل القتل من كلِّ مشفقِ
أدرنَ عيونًا حائراتٍ كأنها ... مُركبَّةٌ أحداقُها فوق زئبقِ
عَشيَّةَ يعدونا عن النظر البكا ... وعن لَذَّةِ التوديعِ خوفُ التفرُّقِ
نودّعهم، والبينُ فينا كأنه ... قَنَا ابنِ أبي الهيجاءِ في قلبِ فيْلقِ
فلا تُبلغاه ما أقول فإنه ... شجاعٌ متى يُذكَرْ له الطعنُ يشتقِ
إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ ... أراه غباري ثم قال له: الحقِ
وما كمدُ الحُسَّادِ شيئًا قصدتُهُ ... ولكنه من يَزْحَم البحر يغرقِ

نعم هي أبياتٌ في الغزل رائعة، لدرجة أنك لا تصدِّق أنها من معدن شعر المتنبي؛ لأنك لو قلت للناس: إنَ المتنبي صاحب حكمة لصدقوك، ولو قلت لهم: إنه صاحبُ مدح وهجاء وفخر، لأجابوك: اللهم نعم، ولو قلت لهم: إنه بارع في وصف المعارك والحروب، ماهر في تصوير مواقف القتال لأيَّد الناس قولك. لكنْ أن تقول لهم: إن هذا الغزل الرقيق يصدر عن شخصية المتنبي لقالوا لك: إن ما عرفناه عن شخصية المتنبي يجعلنا نعجب لصدور مثل هذا الشعر عن مثل هذا الرجل؛ فالمتنبي شاعر اعتزَّ بذاته لدرجة أنه مجَّد هذه الذات وافتخر بها لدرجة تقترب من النَّرْجسيَّة. ويعلمنا علمُ الطباع أن الذين يمعنون في تقديس الذات ينكفئ الحب عندهم إلى حب ذواتهم ليس غير، فيتضاءل عندهم حب الآخرين ولو كان المحبوب آية في

www.ahlaltareekh.com

الجمال، بل يكاد يتلاشى عشقهم للآخر، ويتمحور حول عشقهم لأنفسهم وتقديسهم لها وافتخارهم بها، وهذا ما شهدت به بعض أبيات المتنبي القائل:

أيَّ مَحَلٍّ أرتقي؟
أيَّ عظيمٍ أتّقي؟
وكلُّ ما قد خلق الله
ـه وما لم يخلُق
محتقرٌ في همّتي
كشعرةٍ في مفرقي

ولكنْ رويدك أيّها القارئ لا تتعجل الحكم على الرجل، فما دمت تحتكم إلى علم الطباع فعلم الطباع يقول لك: إن النفس البشرية فيها مواطن ضعف تبرز بين الحين والحين، فتصدر عن هذه النفس أفعال وتصرفات وأفكار وكلمات ليس مما يصدر مثله عما ألفناه من هذه الشخصية.

وضعف الرجل أمام المرأة شيء غريزي في الجبلّة البشرية، يتجلى هذا الضعف أمام المرأة في النفس الشاعرة، ولنسمّه الإعجاب بالمرأة، على الشكل الذي نطلق عليه (شعر الغزل).

ولقد ذهب النقاد مذاهب شتى في تفسير غزل المتنبي؛ فعزاه بعضهم إلى سلطان المنهج التقليدي للقصيدة العربية التي تواترت على مرور عدة عصور بافتتاح القصيدة بمطلع غزلي، وعزاه بعضهم الآخر إلى تجربة عاطفية حقيقية كان يعيشها الشاعر في بلاط سيف الدولة، ونسبوا هذه التجربة إلى تعلقه بخولة أخت سيف الدولة، ووصفوا هذا التعلق بأنه مزيج من إعجاب المتنبي بسيف الدولة علنًا تارة، وبإعجابه بأخت سيف الدولة سرًا تارة أخرى، ومن هذا الامتزاج الموصوف بالتستر والحرمان والرهبة انبجس حبٌّ قوامه الخيال والديمومة، ولذلك يقع المتصفح لديوان المتنبي على مقطوعات غزلية غاية في الروعة افتتح بها سيفياته وغير سيفياته، واستمر الغزل مطلبًا نفسيًا لا مطلبًا تقليديًا.

وإذا تركنا الحديث عن الغزل استوقفنا البيتان الأخيران من القطعة التي أوردناها، لأن قصة القصيدة تتركز حولهما، وخاصة البيت الذي يقول فيه:

إذا شاء أن يلهو بلحية أحمقٍ
أراه غباري ثم قال له: الحق

ولكي نضع هذا البيت في إطاره الذي يساعد على فهمه لابد لنا من شرحه تمهيدًا لوصله بقصته، فأبو الطيب يقول معرِّضًا بمن حول سيف الدولة من الشعراء: إذا شاء - أي سيف الدولة - أن يلهو أو أن يذكر طرفًا مما قلته في مدحه، أو قليلاً مما نظمته في مجده - وكنى عن هذا القليل بالغبار - بشاعر من الشعراء قال له: الحق هذه الغاية من الشعر، أو اسلك هذا الطريق من النظم، تبيّن عند ذلك عجز هذا الشاعر مما يجعل سيف الدولة يضحك ويلهو لهذا التقصير.

مصداق ذلك ما جاء في شرح الديوان المنسوب للعكبري، قال: إن الخالديّين - وكانا من جملة الشعراء في بلاط سيف الدولة - قالا لسيف الدولة: إنك لتغالي في شعر المتنبي، اقترح علينا ما شئت من قصائده حتى نعمل أجود منها، فدافعهما زمانًا، ثم كررا عليه، فأعطاهما هذه القصيدة القافيّة، فلما أخذاها قال عثمان لأخيه أبي بكر: ليست هذه من قصائده الطنّانات، فلأي شيء أعطاناها؟ ثم فكّرا، فقال أحدهما لصاحبه: والله ما أراد إلا هذا البيت، فتركا القصيدة ولم يعاوداه، ولم يعملا شيئًا.

وقد أورد هذه القصة ذات المغزى الذكي ابن الجوزي في كتابه «الأذكياء»، وهي تذكرنا بقصة أخرى مشابهة قطبها المتنبي أيضًا، وهي القصة المشهورة التي انتهت بالمعري أن يصبح (رهين المحبسين)، وخلاصتها لمن لم يطلع عليها: أن أبا العلاء كان يتعصب للمتنبي وله كتاب فيه سماه «معجز أحمد»، وكان يرى المتنبي أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس وأبي تمام، وكان الشريف المرتضى يبغض المتنبي ويتعصب عليه، فلما وفد أبو العلاء على بغداد واستضافه المرتضى جرى يومًا ذكرُ المتنبي في مجلس المرتضى فتنقصه المرتضى، وجعل يتتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبي من الشعر إلا قوله:

لكِ يا منازلُ في القلوب منازل
أقفرتِ أنتِ، وهُنَّ منكِ أواهل

لكفاه فضلاً.

فغضب المرتضى، وأمر أن يُسحب المعري من رجله وأن يخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة، فإن للمتنبي ما هو أجود منها لم يذكرها؟ فقيل له: النقيب السيد أعرف، فقال: أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ
فهي الشهادة لي بأني كامل

فرجع أبو العلاء إلى المعرة، وآلى على نفسه ألا يخرج منها، وسمى نفسه منذ ذاك (رهين المحبسين)؛ يعني حبس نفسه في المنزل وترك الخروج منه وحبس النظر إلى الدنيا بسبب العمى.

وفقه القصتين يعزز المقولة التي تقول عن المتنبي: إنه مالئ الدنيا وشاغل الناس.

www.ahlaltareekh.com

القصة الشعرية في الأدب الجاهلي

أحمد الخاني

ليس من اليسير على الباحث أن يعرف يقينًا أول قصيدة تضمنت الأسلوب القصصي، وذلك لأسباب كثيرة يصعب حصرها في هذه العُجالة. ولقد وجدت، بعد استقراء طويل ونظر في أشعار العرب الجاهليين، أن النص الأقدم الذي يحتوي على بعض الملامح القصصية في الشعر الذي وصل إلينا هو المنسوب إلى أُحَيْحَة بن الجُلاح في لاميته.

يذكر الدكتور محمد إبراهيم نصر محقق اللاميات(١) أن وفاة أُحَيْحَة كانت نحو ١٣٠ ق.هـ، ويسوق ترجمة الشاعر بقوله: «هو أُحَيْحَة بن الجُلاح اليثربي الأوسي، وهو شاعر جاهلي كان سيد الأوس في زمانه». ويسوق مناسبة القصيدة بقوله: لما عزم أُحَيْحَة على أن يغير على قوم سلمى - زوجته - كانت هي وابنها عمرو، وهو يومئذٍ فطيم أو دون الفطيم، مع أُحَيْحَة في حصنه، فعمدت إلى ابنها فربطته بخيط، حتى إذا أوجعت الصبيَّ تركته، فبات يبكي وهي تحمله، وبات أحيحة ساهرًا، حتى إذا ذهب الليل قامت وأخذت حبلاً شديدًا وأوثقته برأس الحصن ثم تدلت منه وانطلقت إلى قومها فأنذرتهم بالذي أجمع عليه أُحيحة وقومه، فأخذ قومها حذرهم. ولما استيقظ أحيحة - وكان ساهرًا معها فثقل رأسه واشتد نومه - فقدها، ورأى القوم على حذر فقال: هذا عمل سلمي، خدعتني حتى بلغت ما أرادت. وقال هذه القصيدة ومطلعها:

لهوتُ عن الصِّبا واللهوُ غولُ
ونفسُ المرء آونةً قتولُ

إلى أن يقول:

لعمرو أبيك ما يغني مقامي
من الفتيان أنجية جهول
نؤوم، لا يقلص مشمعلاً
عن العورات مضجعه ثقيل(٢)
تبوع للحليلة حيث كانت
كما يعتاد لَقْحَتَه الفصيلُ(٣)
إذا ما بت أعصبها فبانت
عليّ مكانها الحُمَّى النشول
لعل عصابها يبغيك خوفًا
ويأتيهم بعورتك الدليل

إلى آخر القصيدة.

الملامح القصصية في لامية أُحيحة

تبدأ القصيدة بالإخبار عن عزوف صاحبها عن الصبا واللهو، فاللهو يغتال المجد، ونفس الإنسان تحط أحيانًا من همَّة صاحبها عن التطلع إلى معالي الأمور، ثم يبدأ بنسج أخباره بأسلوب قصصي من البيت الحادي عشر بقوله:

لعمرو أبيك ما يغني مقامي
من الفتيان أنجية جهول

ثم يشرع الشاعر بتعداد صفات هذا الفتى الجهول بأسلوب فيه أطياف الملامح القصصية. وهذا الأسلوب سوف يستمر ويشتد عوده في قصص شعري له سماته وخصائصه ورموزه وإيحاءاته ودلالته في الشعر الجاهلي، وهو ما نجده لدى الشعراء الصعاليك وغيرهم، ومن أمثلته ما نجده في لامية العرب للشنفرى.

لامية العرب والأسلوب القصصي

الشاعر: هو ثابت بن أوس الأزدي الملقب بالشنفرى، توفي نحو ٧٠ ق.هـ. يقول الدكتور محمد إبراهيم نصر محقق اللاميات في التقديم لهذه القصيدة: «ولاميته من خير القصائد، فهي من أهم وثائق الفن والحياة المعبرة عن نموذج معيشة الجاهلية، وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: علِّموا أولادكم لامية العرب فإنها تعلمهم مكارم الأخلاق». ومطلع القصيدة:

أقيموا بني أمي صُدورَ مَطيِّكم
فإني إلى قوم سواكم لأَمْيَلُ

www.ahlaltareekh.com

ثم يذكر غارته الليلية بأسلوب قصصي:

وليلة نحسٍ يصطلي القَوْسَ ربُّها
وأقطُعَه اللاتي بها يَتَنَبَّلُ(٤)
دعست على غَطْشٍ وبغشٍ وصحبتي
سُعارٌ وإرزيزٌ ووَجْرٌ وأفْكُل(٥)
فأيّمتُ نسوانًا وأيتمتُ إلدةً
وعدتُ كما أبدأت والليل أليل
وأصبح عني بالغُميصاء سائلاً
فريقان، مسؤولٌ وآخر يسأل(٦)
فقالوا: لقد هرّت بليلٍ كلابُنا
فقلنا: أذئبٌ عسّ؟ أم عس فُرْعُل؟
فلم تكُ إلا نبأةٌ ثم هوَّمت
فقلنا: قطاةٌ ريعَ؟ أم ريع أجدل؟(٧)
فإن يكُ من جن لأبرح قاعدًا
وإن يك إنسًا، ماكها الإنسُ تفعل

يتجلى في هذا المقطع الشعري الأسلوب المعتمد على توالي الحدث، وتطويره وفق سير منطقي من بداية الحدث إلى الإخبار عن مجرياته معتمدًا على الحوار، واضعًا نصب أعيننا - وهذه براعة من الشاعر - نتيجة الحدث. يقول الدكتور يوسف خليف: «فشعر الصعاليك، في مجموعه، شعر قصصي يسجل فيه الشاعر الصعلوك كل ما يدور في حياته الحافلة بالحوادث المثيرة التي تصلح مادة طيبة لفنِّه القصصي»(٨).

القصة الشعرية لدى تأبَّط شرًا

الشاعر: «هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي. توفي نحو ٥٣٠م. من شعراء الجاهلية الصعاليك»(٩).

يخبرنا تأبط شرًا عن قصة جرت بينه وبين خصومه فيقول:

إذا المرء لم يحتل وقد جدَّ جدُّه
أضاع وقاسى أمره وهو مدبر
ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلاً
به الخطب إلا وهو للقصد مبصر


د. يوسف عبد القادر خليف

فذاك قريع الدهر ما عاش حُوَّلٌ
إذا سد منه منخر جاش منخر
أقول للحيان وقد صفرت لهم
وطابي ويومي ضيّق الحَجْرِ مُعْور(١٠)
هما خطتا، إما إسارٌ ومنّةٌ
وإما دم، والقتل بالحر أجدر
وأخرى أصادي النفس عنها وإنها
لمورد حزم إن فعلت ومصدر(١١)
فرشت لها صدري فزلَّ عن الصفا
به جؤجؤ عبل ومتن مخصّر
فخالط سهل الأرض لم يكدح الصفا
به كدحة والموت خزيان ينظر
فأبت إلى فهم ولم أك آيبًا
وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

يقول الدكتور محمد حمدي بركات: «وفي هذه القصة نلاحظ في بنائها الفني، البداية والموضوع والنهاية وتسلسل وتلاحم هذه الأسس، ثم وضع أمامنا الشاعر عقدة أخذ في حلها. ولم يكن تأبط شرًا يسرد تاريخًا بل عرض علينا تجربة صادقة قد عاناها في ثوب أدبي رائع»(١٢).

ومن الاستقراء الواسع للقصة الشعرية الجاهلية وجدت أن القصة الشعرية من ابتكار الصعاليك. أقول هذا وأرجو من باحث سبقني إلى هذا الموضوع أن يردني إلى الصواب إن كنت مخطئًا، أو يصحح نظرتي هذه وأنا له شاكر. ولقد قام في نفسي تساؤل عريض: لماذا كان الأسلوب القصصي من ابتكار هذه الفئة من الشعراء العرب؟ لماذا لجأ الإنسان الصعلوك إلى الأسلوب القصصي في التعبير عن حياته؟ ولم يبق الجواب لدي حائرًا على شفة السؤال: إن الوحدة التي رافقت حياة الإنسان الصعلوك وطبعته بطابع التفرد والوحشة والنفور من الناس؛ ربما كانت هذه العوامل من أقوى الأسباب التي أوحت إليه بهذا الأسلوب. فالشنفرى أحق من المعري ببيت المعري القائل:

عوى الذئب فاستأنستُ بالذئب إذ عوى
وصوَّت إنسانٌ فكدت أطيرُ

والشنفرى أو تأبط شرًا أو السُّليك أولى من الحطيئة ببيته القائل يصف الأعرابيَّ في الصحراء أو يصف نفسه:

أخي جفوة فيه من الإنس وحشة
يرى البؤس فيها من شراسته نُعمى

فالصعلوك خليع قبيلته، فكأن هذا حكم بنفي الصعلوك من العالم؛ من عالمه المحيط به، بل كأنه حكم بالسجن الانفرادي والسجن هنا هو صحراؤه. نعم لقد كان هذا الحكم في قانون الحياة، أما في قانون النفس الإنسانية فالعكس هو الصحيح: نفس الإنسان تطلب من تأنس إليه، وما سمي الإنسان إنسانًا إلا من الأنس، وكلما زاد الضغط على النفس ليجبرها على التفرد زاد تطلع النفس إلى أنيس، وهذا ما كانت عليه حال الصعلوك. فالصعلوك - وحيدًا - يطلب عقله الباطن وشعوره معًا صديقًا يأنس إليه، يحاوره، يلقي إليه بأخباره، وهو الإنسان المنبوذ من قبيلته، لكنه ليس وضيعًا في نفسه، بل هو بطل

www.ahlaltareekh.com

القصة الشعرية في الأدب الجاهلي

مغوار يقوم وحده مقام جيش. يريد أن يحقق ذاته بإلقاء الأخبار إلى غيره، فإن لم يجد الشاعر هذا الأنيس في أرض الواقع فإن خياله سيؤدي هذه المهمة؛ مهمة الإخبار عن نفسه، إخبار الناس والتاريخ عن حياة الصعلوك بأسلوب قصصي؛ وذلك كمعادل موضوعي يقيم التوازن النفسي بين واقع الصعلوك المتفرد الوحيد وما تطمح إليه نفسه وتميل إليه من اللقاء والأنس بالآخرين، والحديث عن بطولاته لإثبات ذاته بعد أن أبعدت من مسرح الحياة القبلية

هذا وقد أصبحت القصة الشعرية مدرسة تلمذ لها امرؤ القيس ومن جاء بعده من شعراء المعلقات وغيرهم.

الأسلوب القصصي في شعر امرئ القيس

أمرؤ القيس بن حُجْرِ الكندي. توفي نحو ٦٥ ق.هـ. نجد في معلقته بعض الومضات القصصية في «دارة جُلْجُل» و«بيضة الخدْر». هذا في الغزل. وتقص علينا المعلقة قصة صيد. وفي ديوانه قصيدة مطلعها(١٣):

ألا عِم صباحًا أيها الطلل البالي
وهل يعمنْ من كان في العُصُر الخالي

نجد فيها أسلوبًا قصصيًا غراميًا.

ويقف أسلوب امرئ القيس القصصي في مستوى واحد تقريبًا؛ فلا تفاوت يُذكر بين القصة الشعرية في المعلقة وقصته في «الطلل البالي». وربما كان امرؤ القيس متأثرًا بالأسلوب القصصي لدى الشعراء الصعاليك لأنهم الأسبق إليه، ومن المستبعد جدًا ألا يكون امرؤ القيس قد اطلع على شعر الصعاليك. وإن تقرير هذه النقطة يحتاج إلى دراسة موسعة لا مجال لها هنا الآن.

ومن الشعراء الجاهليين الذين برعوا في القصة الشعرية النابغة الذبياني:

النابغة الذبياني والأسلوب القصصي

الشاعر: هو زياد بن معاوية الملقب بالنابغة، كانت وفاته نحو ١٨ ق.هـ(١٤)، ومطلع معلقته - من المعلقات العشر -:

يا دار مَيَّة بالعلياءِ فالسَّنَد
أقوت وطال عليها سالف الأبد

إلى أن يقول:

كأن رحلي - وقد زال النهار بنا -
بذي الجليل على مستأنس وحدِ(١٥)
من وحشِ وجْرة موشيٍّ أكارعه
طاوي المصير كسيف الصَّيْقل الفَرَد
سَرَتْ عليه من الجوزاء سارية
تزجي الشمال عليه جامد البَرَد
فارتاع من صوت كلَّاب فبات له
طوع الشوامت من خوف ومن صَرَد
فبثهن عليه واستمر به
صُمع الكعوب بريئات من الحَرَد
فهاب (ضُمران) منه حيث يوزعه
طعن المُعارِك عند المحجر النَّجُد(١٨)
شَكَّ الفريصة بالمدرى فأنفذها
شكَّ المبيطر إذ يشفي من العضد
كأنه خارجًا من جنب صفحته
سَفُّودُ شَرْبٍ نَسَوْه عند مفتأد
فظل يعجم أعلى الرَّوْق منقبضًا
في حالك اللون صدْق غير ذي أود
لما رأى (واشقٌ) إقعاص صاحبه
ولا سبيلَ إلى عقل ولا قَوَدِ

قالت له النفس: إني لا أرى طمعًا
وإن مولاك لم يسلم ولم يصد(١٧).

يقص علينا النابغة قصة الثور الوحشي الذي يشبه ناقته التي أوصلته إلى الملك النعمان؛ إنه ثور قوي جائع، يرتجف من البرد، تصدى له صاحب كلاب - والغالب أن تكون عشرة -. تقدم الكلب ضُمران فتلقاه الثور بطعنة من روقه دخل في جنب ونفذ من جنبه الآخر، وكأن طرف الروق رأس سيخ يُشوى عليه اللحم، ولما رأى الكلب واشق قَتْلَ رفيقه حدثته نفسه ألا يطمع في لحم هذا الثور.

قصة شعرية رمزية تحمل الكثير من سمات الشعر القصصي الفني، فإذا نجا الثور كانت القصة الشعرية ملهاة. وإن قُتل الثور كانت القصة مأساة، كالثور في قصة أبي ذؤيب الهذلي في قصيدته التي مطلعها:

أمِنَ المنون وريبها تتوجَّعُ؟
والدهر ليس بمعتب من يجزع

فقد هلك للشاعر بنوه الخمسة بالطاعون.

ومن شعراء القصة الشعرية الجاهلية: أمية ابن أبي الصلت؛ له قصص شعري لكنه أقرب إلى الحكاية منه إلى القصة لأنها قصص ذات عناصر فنية ساذجة.

وأخيرًا: فالقصة الشعرية الجاهلية أساس قصتنا الشعرية على مر العصور حيث ارتقت في العصر الإسلامي على يد عمر ابن أبي ربيعة.

الهوامش:

١- نشر دار الرشيد، ط١.
٢- يقلص: يسرع. مشمعلاً: مثيراً للفتن.
٣- اللقحة: الناقة الغزيرة اللبن. الفصيل: ولد الناقة إذا فصل عنها.
٤- النحس: شدة الضر. الأقطع: البال.
٥- غطش: ظلام. البغش: المطر الخفيف. السُعار: شدة الجوع. الإرزيز: الرعدة. الوجْر: الخوف. الأفكَلُ: مصدر: ارتعاد من خوف وبرد.
٦- الغميصاء: مكان قريب من مكة. الفرعل: بين الذئب والضبع.
٧- الأجدل: الصقر.
٨- في كتابه: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ط٢.
٩- المنجد، ط١٧.
١٠- صَفِر الإناء: كناية عن القحط والهلاك. لحيان: بطن من هذيل كان الشاعر قد راغمهم ووترهم. الوطاب: جمع وطب وهو سقاء اللبن. صفرت لهم وطابي: استنفدت قولي في إحباط كيدهم.
١١- المصاداة: إدارة الرأي في تدبير الشيء والإتيان به على أكمل وجه.
١٢- في كتابه: أبو تمام بين أشعاره وحماسته، ط١، ص٦١١.
١٣- ديوان امرئ القيس: بتحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، ط٣.
١٤- ديوان النابغة الذبياني بتحقيق كرم البستاني.
١٥- ذو الجليل: اسم مكان.
١٦- ضمران وواشق: اسما كلبين من كلاب الصيد.
١٧- مولاك: أي صاحب كلاب الصيد.

www.ahlaltareekh.com

قصيدة

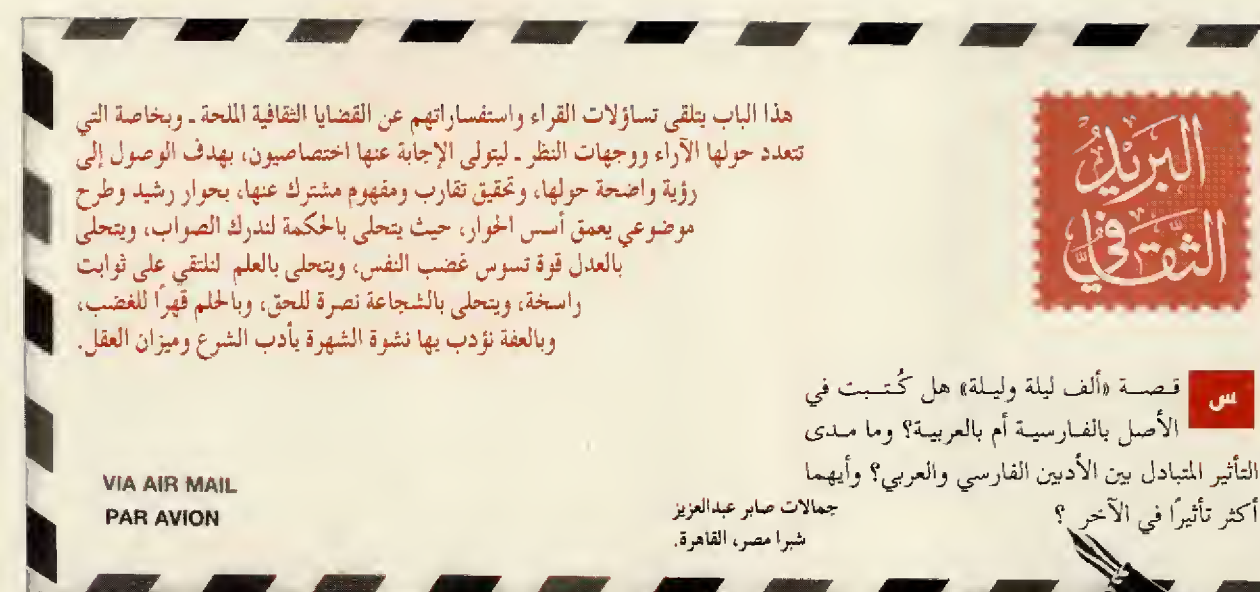
الكهف والزيتونة

شعر: د. حيدر الغدير

وقفت على الكهف الذي روى قصته القرآن الكريم، ومررت بالقبور والوصيد، وموقع زيتونة معمَّرة عاشت هناك دهرًا طويلاً:

وقفت على الكهف في ضحوة   وفي خلدي غابرات القرون
فعاينت أحجاره الصامتات   وعاينني أهله الميتون
وقبر تساكنه أعظم   وقد بلي القبر والساكنون
وكانوا ندامى فمات الحديث   فما ثمّ قولٌ ولا قائلون
ومات الوصيد وكلب ثوى   عليه يحاذر ماذا يكون
وناموا قرونًا بدت ليلة   كما ظن من أوهمته الظنون
سألت على الباب زيتونة   تراقبنا من لدات القرون
أقامت كما وقف الديدبان   يسارقه النظرة العابرون
أما أتعبتك الليالي الطوال   أما أوحشتك عوادي المنون
ووقد الهجير وبرد الشتاء   وناس بأوهامهم يسرحون
وللشر أكثر ما يفعلون   وإبليس يضحك إذ يغرقون
سألت فضنّت فعاد السؤال   وردّده الكهف والزائرون
وردّده صامت لا يقول   وردّده القبر والميّتون
فقالت ومالت كأم رؤوم   وشيخ وقور عليم حنون
يطول الزمان على داركم   لأن مداها قصير خؤون
ولكنه لمحة أومضت   وغيم تبدّد لو تشعرون
ويوم من الله باري الدهور   قرون لديكم تليها قرون
وهذا الزمان رحى دائرات   وما يعتريها ونى أو شجون
وأنتم بدنيا ستفنى الغداة   ويلحق أقدمها الأحدثون
وما الكهف والقبر إلا الحياة   وموت وفي غدكم تُبعثون

www.ahlaltareekh.com



هذا الباب يتلقى تساؤلات القراء واستفساراتهم عن القضايا الثقافية الملحة ـ وبخاصة التي تتعدد حولها الآراء ووجهات النظر ـ ليتولى الإجابة عنها اختصاصيون، بهدف الوصول إلى رؤية واضحة حولها، وتحقيق تقارب ومفهوم مشترك عنها، بحوار رشيد وطرح موضوعي يعمق أسس الحوار، حيث يتحلى بالحكمة لندرك الصواب، ويتحلى بالعدل قوة تسوس غضب النفس، ويتحلى بالعلم لنلتقي على ثوابت راسخة، ويتحلى بالشجاعة نصرة للحق، وبالحلم قهراً للغضب، وبالعفة نؤدب بها نشوة الشهرة بأدب الشرع وميزان العقل.

س قصة «ألف ليلة وليلة» هل كُتبت في الأصل بالفارسية أم بالعربية؟ وما مدى التأثير المتبادل بين الأدبين الفارسي والعربي؟ وأيهما أكثر تأثيراً في الآخر؟

جمالات صابر عبدالعزيز
شبرا مصر، القاهرة.

يقول أحمد حسن الزيات: إن كتاب «ألف ليلة وليلة» قد يكون على اليقين من أعمال مستقلة، ثم نما باتفاق الرأي على توالي الحقب، وإن وضعه وتكوينه هو عمل جمع، وإن جمعه وتدوينه عمل فرد. ولعل رأي الزيات جاء رداً على الآراء التي سبقته؛ فالشيخ الشيرواني يرى في مقدمة الطبعة الإيرانية أن واضع الكتاب سوري؛ أما الأب الصالحي فيرى أن الكتاب ما دام يعود إلى أصل عربي فلا بد أن يكون مؤلفه عربياً، أما المستشرق أويسترب OESTRUP فقد انتهى إلى القول بأن مؤلف الكتاب ليس شخصاً واحداً، بل عددٌ من الأشخاص من جنسيات متعددة.

ويذهب الدكتور فؤاد حسنين علي إلى القول بأن «ألف ليلة وليلة»: «سفر لم يضعه شعب بل شعوب، ولم يؤلَّف في عصر، بل في عصور، ولم يُدوَّن في عاصمة، بل في عواصم».

لكن خرج علينا المستشرق الفرنسي أنطوان دي ساسي برأي يقول فيه: إذا كان كتاب «ألف ليلة وليلة» يعود إلى أصل فارسي أو هندي، فلماذا لم يبق أثر للأصل الفارسي أو الهندي؟! بل لماذا لم يقم الكتّاب الكبار بترجمته؟ ولماذا لم تكن الترجمة بلغة فصيحة كما يُفترض أن تكون؟ وإذا كان كتاب «ألف ليلة وليلة» قد تُرجم كاملاً في ذلك الحين، فلماذا أضيفت إليه حكايات عربية جديدة بعضها لا يكاد يصل إلى مستوى الكتاب؟ من هذا كله خرج دي ساسي باستنتاج هو أن الكتاب عربي، وبنى استنتاجه على أساس أن مسرح أحداث الحكايات غالبًا ما يكون ضفاف دجلة والنيل، كذلك، فإن الإشارات إلى العلم والسحر، هي إشارات إلى أشياء لم تكن مجهولة عند العرب. ويتضمن الكتاب أيضاً أحاديث شتى عن سيدنا موسى وسيدنا داود وآصاف وهؤلاء كانوا مجهولين عند حكماء الهند وفارس قبل دخول الإسلام(١).

هذا جوابٌ عمّا إذا كانت قصة «ألف ليلة وليلة» قد كتبت في الأصل باللغة العربية أم باللغة الفارسية. أما الشق الثاني من السؤال وهو عن مدى التأثير المتبادل بين الأدبين العربي والفارسي، فنقول: إن اللغة الفارسية التي عُرفت في إيران بعد دخول الإسلام إلى بلاد فارس هي اللغة الفارسية الإسلامية التي أطلت برأسها في القرن الثالث الهجري في ثوب عربي، بعد أن كُتبت بالخط العربي، وتضمنت كثيراً من العناصر العربية المتنوعة التي لم تقتصر على الألفاظ والعبارات، بل تعدتها إلى الأوزان والقوافي والفنون البلاغية العربية المختلفة، وما زالت الفارسية الإسلامية على هذه الصورة حتى يومنا هذا، على الرغم مما دخلها من كلمات من اللغات الأوربية كالفرنسية والإنجليزية نتيجة لاتصال إيران وانفتاحها على دول الغرب قبل الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٩م(٢).

وكانت اللغة الفارسية تسمى اللغة البهلوية، لأنها كانت تكتب بالخط البهلوي، وظلت هكذا حتى الفتح الإسلامي لإيران. وقد تطورت اللغة البهلوية بعد الفتح الإسلامي لاعتناق الإيرانيين الإسلام وتعلمهم اللغة العربية لغة الدين الجديد، وظهرت اللغة الفارسية في صورة جديدة حيث كُتبت بالخط العربي، وبدت فيها سمات عربية، وأصبحت تسمى اللغة الفارسية الإسلامية أو الفارسية الحديثة(٣).

واللغة الفارسية هي إحدى اللغات الآرية التي تنتمي إلى أسرة اللغات الهند ـ أوربية، وهي تختلف في جوهرها عن اللغة العربية التي تعد إحدى اللغات السامية. ولكن الإسلام والظروف السياسية والتاريخية زادت الصلة بين الفارسية والعربية، فامتزجت الفارسية بكثير من الألوان العربية حتى أصبح التشابه بينها وبين العربية أكثر من التشابه بينها وبين اللغات الآرية الأخرى، وقد ساعد الإسلام على انتشارها في ربوع آسيا حتى أصبحت تأتي في المرتبة الثانية بعد اللغة العربية من حيث أهميتها بوصفها لغة يتحدث بها عدد كبير من المسلمين.

إن المتصفح لكتب التاريخ القديم يدرك للوهلة الأولى أن الصلات التي كانت بين العرب والإيرانيين سابقة على الإسلام وممتدة إلى فجر التاريخ، بل تتعدى ذلك إلى عصر الأساطير، وكم تحدثت الكتب والوثائق عن الصلات التجارية التي كانت تربط بين إيران والجزيرة العربية(٤). وعلى ذلك، فإن الصلات الوثيقة بين اللغتين العربية والفارسية تفوق الصلة بين اللغة الفارسية وأي لغة أوربية، وتتأكد مظاهر التأثير والتأثر بين العربية والفارسية فيما يأتي:

ـ استخدام الخط العربي في كتابة اللغة الفارسية بعد الفتح الإسلامي لإيران، حيث أصبحت اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، وأدى ذلك إلى اندثار اللغة الفارسية القديمة التي كانت تكتب بالخط البهلوي، مما اضطر الفرس إلى كتابة لغتهم الفارسية الإسلامية بالخط العربي.

ـ استخدام بعض الألفاظ العربية في اللغة الفارسية والمتعلقة بالدين الإسلامي التي لم يكن لها مقابل في اللغة الفارسية القديمة، وكذلك استخدام بعض الألفاظ العربية لتحل محل الألفاظ الفارسية القديمة التي اندثرت لعدم استعمالها.

ـ استخدام بعض المصطلحات العربية بشكلها الأصلي في اللغة العربية من دون ترجمتها في مجال الفلسفة والمنطق والرياضيات والعلوم البلاغية، ولم يقتصر الأمر على هذا الحد؛ بل وضعوا عناوين عربية لكثير من الكتب الفارسية مثل «حديقة الحقيقة» لسنائي، و«تذكرة الأولياء ومنطق الطير» لفريد الدين العطار، و«لباب الألباب» لمحمد عوفي، و«نفحات الأنس» لجامي، و«جامع التواريخ» لرشيد الدين فضل الله الهمداني، وغيرها كثير.

www.ahlaltareekh.com

ـ استخدام بعض قواعد النحو العربي نتيجة استخدام الفرس لكثير من الألفاظ العربية، كاستخدامهم جمع المؤنث السالم ودخول الصفة المؤنثة على وزن فُعلى إلى اللغة الفارسية.

ـ محاكاة أدباء إيران للأدباء العرب؛ حيث قام بعض أدباء الفرس بتقليد أدباء العرب ونظم قصة ليلى والمجنون بالفارسية مثل نظامي الكنجوي.

وكما أثرت اللغة العربية في الفارسية كذلك تأثرت العربية بالفارسية، ومن أهم مظاهر هذا التأثر استعمال بعض الألفاظ الفارسية في المعجم العربي، مثل كلمة بستان بمعنى الروضة أو الحديقة، وكذلك كلمة بيمارستان بمعنى مستشفى، وأيضًا تنور؛ وكذلك شيوع بعض أسماء الأعلام الفارسية في اللغة العربية، مثل شيرين وجهان وسوزان ونرمين وباكنام وخورشيد وغيرها، واستعمال بعض الأخيلة والمعاني الفارسية في اللغة العربية.

وهكذا ارتبط العرب والفرس بأوثق الروابط وأقوى الصلات، وتبادلوا التجارة والمنافع، وقامت بينهم الحروب والعلاقات السياسية فأثّر الإيرانيون في العرب وتأثّروا بهم.

الهوامش:

١ـ د. عبدالنعيم حسنين، قواعد اللغة الفارسية، القاهرة ١٩٧٥م .
٢ـ المرجع السابق نفسه ص٢٩.
٣ـ المرجع السابق نفسه ص٨.
٤ـ د. بديع جمعة، قواعد اللغة الفارسية والنصوص، بيروت ١٩٨٢م، ص٥.

د. فردوس موسى موسى
كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.

إذا تحدثنا عن نقل الآداب الفارسية إلى العربية في القرون الإسلامية الأولى فإننا نرى أن من وجوه تميُّز الفارسية من سواها من المؤثرات الأجنبية بالنسبة إلى الثقافة العربية: أن التفاعل بينها وبين العربية كان متبادلاً إلى حد بعيد، لأن صلة العرب بالشعب الفارسي ولغته ونظمه وأفكاره العملية الخارجية كانت صلة مباشرة، لا صلة غير مباشرة من طريق الترجمات والأفكار النظرية فقط. هذه الصلة الوطيدة المتلاحمة المتفاعلة هي التي جعلت الفارسية الساسانية (البهلوية) المؤثر الأقوى في تطوير الأدب العربي في أوائل العصر العباسي الأول تفكيراً ونهجًا وأغراضًا وأساليب، وهي التي جعلت العربية ـ حين اكتملت ألنها التعبيرية ودقت واتسعت دائرتها وتشعبت فازدادت مقدرتها العلمية ـ تعود فتؤثر بدورها في لغة الفرس، وتطورها من اللغة الفارسية الوسطى (البهلوية الساسانية) إلى الفارسية (الدرية الحديثة).

ومن الطبيعي أن التأثير الفارسي في الحياة العباسية وأدبها لم يقتصر على ميدان واحد؛ بل امتد إلى ميادين شتى من تلك الحياة، ومن ذلك الأدب.

وتعد الترجمة بين العربية والفارسية صلة قوية عظيمة الأهمية بين العرب والفرس؛ لأنها الوسيلة إلى نقل المعرفة بينهم، وللمعرفة من صفات الدوام ما قد لا يكون لغيرها، كما أن أثرها بعيد مداه. وإذا ذكرنا أن المعارف صور للحقائق، وأن ما يُترجم، لا بد أن يكون خاصًا بأصله جديداً على من يترجم له، أدركنا أن الترجمة تفضي إلى اتحاد فكري واندماج روحي، وفي هذا ما يزيد من قوة الربط بين من تُرجِم عنهم ومن ترجم لهم. ونضرب لذلك مثلاً لترجمة تواريخ الفرس للعرب، التي علمت العرب ما لم يكونوا يعلمون عن الفرس، وجعلتهم يعايشونهم في أحداث بلادهم وسير ملوكهم، وينقلون عنهم ما ينقلون، ويعلمون عنهم ما يعلمون ليرووه ويضمنوه كتبهم.

وكتاب الفهرست لابن النديم عمدتنا في هذا الصدد. وقد عقد المؤلف فصلاً من كتابه بعنوان النقلة من الفارسي إلى العربي(١) فذكر الكثير ممن اشتهروا بالترجمة.

كان للترجمة عن الفارسية دافعان، وكلاهما مهم وذو أسباب حافزة:

الدافع الأول للعرب أنفسهم، فالخلفاء العرب أرادوا معرفة حضارة الفرس التي ورثوها، ورغبوا في معرفة فن الإدارة وقواعد الحكم، وسبل معاملة الرعية، وهي موجودة في الأدب الفارسي. ومن العرب أدباء رغبوا في معرفة ما يفكر به أمثالهم من الفرس. وهكذا فإن النية العربية كانت نية طيبة علمية خالصة.

الدافع الثاني: هم الفرس؛ فقد دفعهم إلى الترجمة رغبتهم في إحياء تراثهم ليباهوا به العرب أصحاب الفكر والعقل، ليعلنوا على الملأ أنهم لا يقلون عن العرب حضارة ومعرفة، بل يزيدون. وإذا كان العرب يفوقونهم شعراً، فإن لديهم من الكتب ما يعادل الشعر أو يفوقه. والسبب الثاني الذي دفعهم إلى الترجمة أنهم أرادوا تذكير العرب بأمجاد أكاسرتهم الذين حكموا إمبراطورية كبيرة في حين من الزمان.

ثم إنهم عُرفوا بالترجمة منذ القديم، بل إن قسماً مهمًا من تراثهم مترجم عن لغات أغلب الأمم في الشرق. ولاسيما الهند. وهم إذا كانوا ينقلون تلك العلوم إلى لغتهم فإنهم يستطيعون نقلها ثانية إلى لغة تمكنوا منها وأتقنوها.

بهذين الدافعين، مع أسبابهما، نشطت حركة الترجمة نشاطًا واسعًا، ساعدها ما هيأته حضارة العصر، والنشاط العلمي والأدبي، وحرص عدد من الخلفاء، وعلى رأسهم المأمون، على تهيئة الأجواء الملائمة لذلك؛ وما رأوه من تقديرهم للشعراء والكتاب والأطباء، على غير عادة الإغريق الذين ما كانوا يكرمون الأطباء، وعلى غير عادة الفرس الذين ما كانوا يهتمون بالأدباء، ما لم يكن الأديب رجل دين أو واعظًا.

الأمر الذي يسترعي الانتباه أن مرحلة الترجمة الأولى لم تكن أقل نشاطًا من مرحلة ازدهارها. أعني أن الترجمة منذ أن بدأت كانت مزدهرة. ولكن بعض الموضوعات سبق بعضها الآخر، أما المواد التي نقلت إلى العربية فأحسب أنها شملت أغلب علوم العصور من أدب وعظة، ودين، وطب، وفلسفة، ورياضيات.

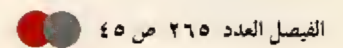
غير أن جزءاً كبيراً من هذه الترجمات لم يكن فارسيًا. صحيح أن هذه الكتب نُقلت عن الفرس، لكن أصولها كانت هندية أو صينية أو إغريقية. وقد أخطأ بعض السادة الباحثين في نسبة عدد من العلوم إلى الفارسية، لأنها مترجمة عن لغتهم. فنحن حين نترجم رواية فرنسية عن الإنجليزية لا يجوز أن ننسبها إلى الإنجليز، بل يجب أن نرجعها إلى أصلها الفرنسي؛ فابن المقفع نقل عن اليونانية بعض مقولات المنطق، وابن المقفع حتمًا لا يعرف اليونانية، ولهذا نرجح أن يكون نقلها عن البهلوية أي الفارسية القديمة. كما أنه نقل إلينا القصة الرمزية «بنجه تنترد» ومعناها «الحكايات الخمس» عن البهلوية، ووضع لها عنوانًا عربيًا هو «كليلة ودمنة»، وقد اشترك في تأليف هذا الكتاب عدد من أمم الشرق، وأغلب قصصه هندي، ولكن وجدت له جذور يابانية وصينية وفارسية. وأعتقد أن هذه الحكايات نقلت إلى البهلوية من الهندية، وزاد عليها «برزويه» الطبيب المروزي، كما أضاف إليها جميعًا ابن المقفع نفسه، وغيَّر الاسم الأصلي لها. و«ألف ليلة وليلة» نقلت إلينا من البهلوية، وعنوانها الفارسي «هزار أفسانه» (ألف خرافة)، ولكن أغلب الحكايات جاء من الهندية؛ بالإضافة إلى ما زاده العرب على هذه الحكايات. والحكايات العربية الموضوعة معروفة.

ويمكن القول: إن كتاب «كليلة ودمنة» يعد بحق أهم وأقوى حلقة في الربط بالترجمة بين الفرس والعرب، ولا نعرف كتابًا تداوله العرب والفرس بالترجمة كما تداولوا هذا الكتاب. فقد ترجم من البهلوية إلى العربية، ثم نقل عن العربية إلى الفارسية الحديثة(٢).

الهوامش:

١ـ د. حسين مجيب المصري، صلات بين العرب والفرس والترك، القاهرة ١٩٦٩م، ص١٣٣.
٢ـ د. حسين مجيب المصري، المرجع السابق، ص١٥٤.

د. أحمد السيد الحسيسي
كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.



www.ahlaltareekh.com

لا مفاضلة بين قراءتين صحيحتين



أبو عبدالرحمن بن عقيل الظاهري

رام قوم من الأئمة ترجيح قراءة على قراءة في قوله تعالى: *الحمدُ للَّه ربِّ العالمين. الرَّحمن الرَّحيم. مَالِك يومَ الدِّين.* و: *مَلِك يوم الدِّين.*

قال أبو عبدالرحمن: ليس هذا المنهج سديداً في قراءتين متواترتين؛ فكلتاهما حق من عند ربنا. ولكن ضرورة البحث ونزاهته تقتضي استيفاء أقوالهم، والبرهنة على أنها لا تقتضي ترجيحاً.

فمن هؤلاء الأئمة أبو عمرو بن العلاء. ذكر ذلك عنه أبو بكر محمد بن السريّ الزجّاج فيما فسره من كتاب مجاهد في القراءات الذي سماه أبو علي الفارسي «معرفة قراءات أهل الأمصار والحجاز والعراق والشام». قال: أخذته عن اليزيديين؛ يعني أولاد أبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي وحفدته.

قال أبو عبدالرحمن: أبو عمرو بن العلاء إمام يستحي المعاصر - مهما أوتي من علم - من مناقضته، ولكن تحقيق مراد ربنا أولى من ذلك الحياء. وإنما نُناقضهم بما تعلمناه منهم من علم. وهذا الفرق الذي ذكره ليس بفارق؛ فالملك والمالك يشمل ما أضيف إليه، فملك يوم الدين يشمل ذلك اليوم بما فيه، وليس ذلك لدلالة ملك، بل بدلالة إضافة ملك إلى يوم الدين. والمراد (ببلاغة العرب) كل ما في ذلك اليوم.

وهكذا قراءة: مالك تشمل ما في ذلك اليوم بدلالة الإضافة والبلاغة، فلما أضيفت مالك إلى مفرد في قوله تعالى: *قل اللهم مالك الملك*، إلى مفرد صارت مُلكًا - بضم الميم - لشيء بعينه بدلالة الإضافة، وليس ذلك بدلالة مادة «مالك».

وهكذا: *ملك الناس* شملت عموم الناس بدلالة الإضافة لا بدلالة ملك.

وأما قوله تعالى: *الملك القدوس*. فلم يبين أبو عمرو وجه الدلالة فيها، ولا أرى فيها وجهاً لما يريده.

وقال أبو بكر محمد بن السريّ في كتابه المذكور: «حُكي أن عاصماً الجحدري قرأها «ملك» بغير ألف؛ فقال محتجًا على من قرأها «مالك» بالألف: يلزمه أن يقرأ: قل أعوذ برب الناس. مالك الناس. فذكرت ذلك(١) لأبي عمرو، فقال: نعم أفلا يقرؤون: *فتعالى الله الملك الحق*. **المؤمنون**:١١٦.

قال أبو عبدالرحمن: لا يلزم من قرأ: *مالك يوم الدين* بقراءة متواترة أن يقرأ: *ملك الناس* بلفظ «مالك» بغير رواية مأثورة.

وقال أبو عبدالله هارون بن موسى الأعور العتكي البصري الأزدي ولاء: قال [يعني ابن السراج صاحب الكتاب المذكور آنفًا]: «وقال بعض من اختار القراءة بـ«ملك»: إن الله قد وصف نفسه بأنه مالك كل شيء بقوله: رب *العالمين*؛ فلا فائدة في تكريره ذكر ما قد مضى ذكره من غير فصل بينهما بذكر معنى غيره»(٢).

قال أبو عبدالرحمن: وتعقبه أبو علي الفارسي بأن هذا الذي ذكره لا يرجح قراءة «ملك» على «مالك». قال: «لأن في التنزيل أشياء على هذه الصورة قد تقدمها العام، وذكر بعد العام الخاص كقوله: *اقرأ باسم ربك الذي خلق*. **العلق**:١. ثم قال: *خلق الإنسان من علق*. **العلق**:٢. فالذي وصف للمضاف إليه دون الأول المضاف؛ لأنه كقوله: *هو الله الخالق البارئ*. **الحشر**:٢٤. ثم خص ذكر الإنسان تنبيهًا على أمل ما فيه من إتقان الصنعة، ووجوه الحكمة كما قال: *وفي أنفسكم أفلا تبصرون*. **الذاريات**:٢١. وقال(٣): *خلق الإنسان من علق*.

وكقوله: *وبالآخرة هم يوقنون*. **البقرة**:٤ بعد قوله: *الذين يؤمنون بالغيب*. **البقرة**:٣. والغيب يعم الآخرة وغيرها؛ فخصوا بالمدح بعلم ذلك والتيقن له، تفضيلاً لهم على الكفار المنكرين لها في قولهم: *لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينَّكم*. **سبأ**:٣. وكقولهم: *ما ندري ما الساعة إن نظنُّ إلا ظنًا*. **الجاثية**:٣٢، وكقولهم: *ما هي إلا حياتُنا الدنيا نموتُ ونحيا*. **الجاثية**:٢٤.

وكذلك قوله: *بسم الله الرحمن الرحيم*. الرحمن أبلغ من الرحيم؛ بدلالة أنه لا يوصف به إلا الله سبحانه، وذكر الرحيم بعده؛ لتخصيص المسلمين به في قوله تعالى: *وكان بالمؤمنين رحيمًا*. **الأحزاب**:٤٣. فكما ذكرت هذه الأمور الخاصة بعد الأشياء العامة لها ولغيرها: كذلك يكون قوله: *مالك يوم الدين* فيمن قرأها بالألف بعد قوله: *الحمد لله رب العالمين*»(٤).

قال أبو عبدالرحمن: رد أبي علي وجيه على أساس أن رب *العالمين* تكرير لقوله: *مالك يوم الدين*. ولكننا لا نسلم بالتكرير؛ لأن الرب أشمل معنى من الملك والمالكية؛ فتشملهما، وتشمل الخلق والرزق ووجوه النعم. وذكر الرب في هذا الموضع؛ لتوجيه أنظار الخلق لعبادة ربهم بعموم كل معاني الربانية، وذكر الملك والمالكية في يوم الدين يقتضي خصوص هذين المعنيين، ولا شيء لهم من ذينك ساعة القضاء في الآخرة.

فأول السورة إلى: *مالك يوم الدين*

www.ahlaltareekh.com

تذكير بالنعمة يقتضي الترغيب، و: *مالك يوم الدين* و: *ملك* تذكير بالقدرة والتفرد يقتضي الترهيب.

وما ذكره أبو علي من ذكر خصوص خلق الإنسان بعد الخبر عن عموم الخلق وجيه، وأوجه منه وأرجح أن سياق السورة عن خصوص الإنسان. ولا تكرير في ذكر الرحيم بعد الرحمان؛ بحيث نحمل ذلك على الخصوص بعد العموم، وليست الرحمن أبلغ من الرحيم، بل الرحمن لبلوغ الغاية في اتصاف الخالق بالرحمة، والرحيم لبلوغ الغاية في حصول الرحمة من الخالق لمن خصهم بالرحمة من المؤمنين، فلا شيء أبلغ من رحمته سبحانه.

قالوا: قال أبو عمرو بن العلاء بن عمار المازني إمام القراء السبعة، وأغزرهم علماً، وإمام أهل عصره في النحو واللغة: إن «ملك» يجمع مالكاً، أي ملك ذلك اليوم بما فيه. ومالك إنما يكون للشيء وحده، تقول: هو مالك ذلك الشيء.

وقال الله سبحانه: *قل اللهم مالك الملك*. **آل عمران**:٢٦. للشيء بعينه؛ فملك يجمع مالكاً، ومالك لا يجمع ملكاً. وقال الله سبحانه: *ملك الناس*. **الناس**:٢ و: *الملك القدوس*. **الحشر**:٢٣، **الجمعة**:١(٥).

وقال أبو علي الفارسي: «قال هارون بن موسى: وقال ابن السراج: إن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بقراءته: *ملك يوم الدين* أصح إسناداً من الخبر بقراءة «مالك»، وإن وصفه بالملك أبلغ في المدح.

قال [أي ابن السراج]: وهي قراءة أبي جعفر [و](٦) الأعرج(٧) وشيبة بن نصاح»(٨).

وقال أبو علي الفارسي: «قال أحمد بن يحيى [يعني أبا العباس ثعلب]: من حجة الكسائي أنه يقال: ملك الناس مثل سيد الناس، ورب الناس، ومالك يوم الدين. ولا يقال: سيد يوم الدين. فإذا كان مع الناس وما يفضل عليهم: كان ملك.. وإذا كان مع غير الناس كان مالك.

قال: وقال من احتج لمالك وكره ملك: إن أول من قرأ «ملك» مروان بن الحكم، وإنه قد يدخل في الملك ما لا يجوز ولا يصح دخوله في المُلك»(٩).

وتعقَّب ابن السراج الاحتجاج بدعوى أولية مروان: بأنه يُحتج عليهم من الأخبار بما يبطل ذلك. قال ابن السراج: «ولعل القائل لذلك أراد أول من قرأ في ذلك العصر، أو من ضربه؛ لأن(١٠) القراءة بذلك أعرض وأوسع.. من ذلك بحسب ما انتهت إلينا»(١١).

وقال الشوكاني: «*ملك يوم الدين* قرئ ملَك ومالك ومَلْك بسكون اللام وملك بصيغة الفعل.

وقد اختلف العلماء أيهما(١٢) أبلغ ملك أو مالك؟

فقيل: إن ملك أعمّ وأبلغ من مالك؛ إذ كل ملك مالك، وليس كل مالك ملكاً، ولأن أمر الملك نافذ على المالك في ملكه حتى لا يتصرف إلا عن تدبير الملك. قاله أبو عبيد، والمبرد، ورجحه الزمخشري.

وقيل: مالك أبلغُ لأنه يكون مالكاً للناس وغيرهم، فالمالكُ أبلغ تصرفاً وأعظم.

وقال أبو حاتم: إن مالكاً أبلغ في مدح الخالق من ملك، وملك أبلغ في مدح المخلوقين من مالك؛ لأن المالك من المخلوقين قد يكون غيرملك، وإذا كان الله تعالى مالكاً كان ملكاً. واختار هذا القاضي أبو بكر بن العربي.

والحق أن لكل واحد من الوصفين نوعَ أخصية لا يوجد في الآخر؛ فالمالك يقدر على ما لا يقدر عليه الملك من التصرفات بما هو مالك له بالبيع والهبة والعتق ونحوها، والملك يقدر على ما لا يقدر عليه المالك من التصرفات العائدة إلى تدبير الملك وحياطته ورعاية مصالح الرعية؛ فالمالك أقوى من الملك في بعض الأمور، والملك أقوى من المالك في بعض الأمور.

والفرق بين الوصفين بالنسبة إلى الرب سبحانه أن الملك صفة لذاته، والمالك صفة لفعله»(١٣).

وقال عن القراءات: «وقد أخرج الترمذي عن أم سلمة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ ملك بغير ألف، وأخرج نحوه ابن الأنباري عن أنس.

وأخرج أحمد والترمذي عن أنس أيضاً: أن النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر وعثمان كانوا يقرؤون مالك بالألف، وأخرج نحوه سعيد بن منصور عن ابن عمر مرفوعاً، وأخرج نحوه أيضاً وكيع في تفسيره وعبد ابن حميد وأبو داود عن الزهري يرفعه مرسلاً، وأخرجه أيضاً عبدالرزاق في تفسيره وعبد بن حميد وأبو داود عن ابن المسيب مرفوعاً مرسلاً، وقد روي هذا من طرق كثيرة، فهو أرجح من الأول، وأخرج الحاكم وصححه عن أبي هريرة: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ: *مالك يوم الدين*، وكذا رواه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعاً»(١٤).

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى في مجاز القرآن: مالكَ يوم الدين: نصب على النداء، وقد تُحذف ياء النداء، مجازه: يا مالك يوم الدين؛ لأنه يخاطب شاهداً. ألا تراه يقول: إياك نعبد. فهذه حجة لمن نصب، ومن جره قال هما كلامان.

قال أبو عبيدة: ومجاز من جر مالك يوم الدين أنه حديث عن مخاطبة غائب، ثم رجع فخاطب شاهداً، فقال: *إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا*. قال عنترة بن شداد العبسي:

شطَّت مزار العاشقين فأصبحتْ
عَسِراً عليَّ طِلابُكِ ابنةَ مخرمِ

وقال أبو كبير الهذلي:

يا لهف نفسي كان جدةُ خالدٍ
وبياضُ وجهكَ للتراب الأعفرِ

وقال ابن جرير: «وأما تأويل قراءة من قرأ: مالكَ يوم الدين فإنه أراد يا مالك يوم الدين فنصبه بنية الدعاء والنداء كما قال جل ثناؤه: *يوسف أعرِضْ عن هذا*. **يوسف**:٢٩ بتأويل يا يوسف أعرِض عن هذا، وكما قال الشاعر من بني أسد، وهو شعر فيما يقال جاهلي:

إن كنتَ أزنتني بها كذباً
جزْءُ فلاقيت مثلها عَجِلا

يريد: يا جزء. وكما قال الآخر:

كذبتم وبيتِ الله لا تنكحونها
بني شاب قرناها تَصُرُّ وتحلبُ

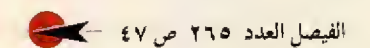
يريد: يا بني شاب قرناها. وإنما أورطه في قراءة ذلك - بنصب الكاف من مالك - حيرته في توجيه قوله: *إياك* نعبد وجهتَه مع جر مالك يوم الدين وخفضه؛ فظن أنه لا يصح معنى ذلك بعد جره مالك يوم الدين، فنصب مالك يوم الدين؛ ليكون إياك نعبد له خطاباً، كأنه أراد يا مالك يوم الدين إياك نعبد.

ولو كان علم تأويل أول السورة، وأن الحمد لله رب العالمين أمراً من الله عبدَه بقيل ذلك (كما ذكرنا قبل من الخبر عن ابن عباس)، وكان عَقَلَ عن العرب أن من شأنها إذا حكت أو أمرت بحكاية خبر يتلو القول: أن تخاطب ثم تخبر عن غائب، وتخبر عن غائب ثم تعود إلى الخطاب لما في الحكاية بالقول من معنى الغائب والمخاطب كقولهم للرجل: قد قلتُ لأخيك لو قمت لقمتُ، وقد قلتُ لأخيك لو قام لقمت.

قال ابن جرير: [لو كان عقل ذلك] لسهل عليه مخرج ما استصعب عليه وجهته من جر مالك يوم الدين. ومن نظير مالك يوم الدين مجروراً، ثم عوده إلى الخطاب بإياك نعبد: البيتُ السائر من شعر أبي كبير الهُذلي:

يا لهف نفسي كان جدةُ خالدٍ
وبياضُ وجهكَ للتراب الأعفرِ

فرجع إلى الخطاب بقوله: وبياض وجهك بعد ما قد مضى الخبر عن خالد على معنى الخبر عن الغائب .. ومنه قول لبيد بن ربيعة:



www.ahlaltareekh.com

باتت تشكّى إليّ النفس مجهشةً
وقد حملتك سبعًا بعد سبعينا

فرجع إلى مخاطبة نفسه، وقد تقدم الخبر عنها على وجه الخبر عن الغائب.. ومنه قول الله وهو أصدق قيل، وأثبت حجة: حتى *إذا كنتم في الفُلك وجَرَيْن بهم بريح طيبة*. **يونس**:٢٢، فخاطب، ثم رجع إلى الخبر عن الغائب، ولم يقل: وجرين بكم.

والشواهد من الشعر وكلام العرب في ذلك أكثر من أن تحصى، وفيما ذكرنا كفاية لمن وُفِّق لفهمه؛ فقراءة: مالكَ يوم الدين محظورة غير جائزة لإجماع جميع الحجة من القراء وعلماء الأمة على رفض القراءة بها.

وقرأ «مَلْك» ساكنة اللام.

وروى غيره: عن عبدالوارث: عن أبي عمرو: بكسر اللام وسكونها.

قال أبو بكر بن مجاهد: وهذا من اختلاس أبي عمرو الذي ذكر أنه كان يفعله كثيرًا. وهو كقول العرب في كبد كبْد يسكنون وسط الاسم في الضم والكسر استثقالاً.

وقال الدكتور شوقي ضيف محقق كتاب السبعة لابن مجاهد: اختلاس الحركة اختطافها بحيث يبدو الحرف كأنه ساكن، وهو تضعيف الصوت بالحركة.

وتابع أبا بكر بن مجاهد تلميذه أبو عبدالله بن خالويه في كتابه الحجة في القراءات السبع فقال: «الحجة لمن أثبت الألف أن الملك داخل تحت المالك، والدليل له قوله تعالى: *قل اللهم مالك الملك*.

والحجة لمن طرحها: أن الملك أخص من المالك وأمدح؛ لأنه قد يكون المالكُ غيرَ ملك، ولا يكون الملك إلا مالكًا.

وقال ابن خالويه (٣٧٠هـ) في كتابه المختصر عن شواذ القراءات: مالكَ يوم الدين. نصبه على النداء: أبو هريرة، وعمر بن عبدالعزيز. مَلِك: أبو حيوة شريح. مَلْك: عبدالوارث عن أبي عمرو. ومَلَكَ: أنس بن مالك فعل ماض. مالكٌ: هارون الأعور في النحو في غير قراءة. مليك: بعضهم.

وأطال في هذا الموضع الإمام أبو زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة؛ فقال في كتابه حجة القراءات: وحجة أخرى ذكرها أبو عبيد، وهي أن كل ملك فهو مالك، وليس كل مالك ملكًا؛ لأن الرجل قد يملك الدار والثوب وغير ذلك فلا يسمى ملكًا وهو مالك.

وكان أبو عمرو يقول: مَلِك يجمع مالكًا، ومالك لا يجمع ملكًا.

وحجة أخرى هي أن وصفه بالمُلك أبلغ في المدح من وصفه بالمِلك، وبه وصف نفسه، فقال: *لمَن المُلك اليوم*. **غافر**:١٦. فامتدح بملك ذلك وانفراده به يومئذ؛ فمَدْحُه بما امتدح به أحقُّ وأولى من غيره.

والمُلك إنما هو من مَلِك لا من مالك، لأنه لو كان من مالك لقيل: لمَن المِلك بكسر الميم. والمصدر من الملك المُلك، والاسم من المالك المِلك.

وحجة من قرأ مالك هي أن مالكًا يحوي المُلك، ويشتمل عليه، ويصير الملك مملوكًا لقوله جل وعز: *قل اللهم مالك الملك*؛ فقد جعل الملك للمالك، فصار مالك أمدح وإن كان يشتمل على ما يشتمل عليه المُلك وعلى مِلكه سوى ما يتلوه من زيادة الألف التي هي حسنة قد ضمن عنها عشر حسنات.

والدليل على هذا أن شاعرًا جاء إلى الرسول صلى الله عليه وسلم يشكو امرأته فقال:

يا مالكَ المُلك وديّانَ العرب

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مَهْ ذلك الله.

وحجة أخرى وهي قوله: *يوم لا تملكُ نفسٌ لنفس شيئًا*. **الانفطار**:١٩. فقد أخبر أنه يملك الأنفسَ، وإذا كان يملك فهو مالك.

وحجة أخرى ذكرها الأخفش، وهي أن مالكًا يضاف في اللفظ إلى سائر المخلوقات؛ فيقال: هو مالك الناس والجن والحيوان، ومالك الرياح، ومالك الطير، وسائر الأشياء. ولا يقال: هو مَلِك الريح والحيوان.

فلما كان ذلك كذلك كان الوصف بالمِلك أعم من الوصف بالمُلك؛ لأنه يملك جميع ما ذكرنا، وتحيط به قدرته، ويحكم يوم الدين بين خلقه دون سائر خلقه.

قال علماؤنا: وإنما يكون الملك أبلغ في المدح من المالك في صفة المخلوقين؛ لأن أحدهم يملك شيئًا دون شيء، والله يملك كل شيء.

وأحال ابن جرير - في كلامه عن القراءات في مالك وملك - إلى كتابه في القراءات، وذكر في تفسيره ما رجحه من القراءات؛ فقال: وأصح القراءتين في التلاوة عندي قراءة من قرأ مَلِك بمعنى المُلك؛ لأن في الإقرار له بالانفراد بالملك إيجابًا لانفراده بالملك، وفضيلة زيادة الملك على المالك؛ إذ كان معلومًا أن لا مَلِك إلا وهو مالك، وقد لا يكون المالك ملكًا.

وبعدُ؛ فإن الله جل ذكره قد أخبر عباده في الآية التي قبل قوله: *ملك يوم الدين* أنه مالك جميع العالمين بقوله: *الحمد لله رب العالمين*. فأولى الصفات أن يتبع ذلك ما لم يحوه قوله: رب *العالمين*. *الرحمن الرحيم* مع قرب ما بين الآيتين من المواصلة والمجاورة.

وكان في إعادة وصفه جل ذكره بأنه مالك يوم الدين إعادة ما قد مضى وصفه به في قوله: رب العالمين.

قال أبو عبدالرحمن: ها هنا عدة وقفات:

الوقفة الأولى: أن مالك بالألف الثابتة في المصحف الإمام، ومَلِك من دون ألف ثابتة في الحديث الشريف الصحيح كما في حديث أم سلمة وغيرها في اعتبار البسملة آية من الفاتحة أو غير آية. وإذن فكلتا القراءتين صحيحتان نقلاً ومعنى؛ فلا مجال للمفاضلة بينهما، ولا معنى لقول من قال: إن مالكًا أملح؛ لأن كل ما ثبت عن الشرع فهو مليح.

أما قضية تفاضل الآيات والسور فليس ذلك من ناحية إعجازها وبلاغتها، بل ذلك من ناحية معانيها وثوابها؛ فآية العفو والإصلاح أحسن للمكلف من الأخذ بآية الاقتصاص؛ لأن له في ذلك زيادة أجر.

الوقفة الثانية: أن ابن مجاهد رحمه الله فرق بين القراءتين بقوله: مالك يوم الدين إنما هو ذلك اليوم بعينه، وملك يوم الدين ملك ذلك اليوم بما فيه.

قال أبو عبدالرحمن: هذا الفرق غير صحيح، بل مالك وملك سيان في الدلالة على ملك ومالكية ذلك اليوم بما فيه، فمن ناحية اليوم فثابت بالنص، وأما ما في اليوم فثابت بلزوم النص والسياق.

الوقفة الثالثة: أنه يتعدد في دنيانا الفانية الملوك والمالكون بتمليك الله لهم، إلا أن الملك لا يكون مالكًا لأملاك رعيته، والمالك لا يكون ملكًا على ملكه؛ لأن تصرفه محكوم بالشرع الذي يطبقه ملك الأمة. وفي يوم القيامة رفع الله الملك والمالكية عن كل أحد، فلا ملك غيره، ولا مالك غيره، فتواردت القراءتان على معنى واحد؛ فمالك يوم الدين تقتضي أنه ملكه؛ لأنه لا ملك غير الله، وملك يوم الدين تقتضي أنه مالكه؛ لأنه لا مالك غير الله.

الوقفة الرابعة: أن ملْك يوم الدين بسكون اللام قراءة غير صحيحة شرعًا، ولا تحل القراءة بها؛ لأنها لم تثبت بتوقيف عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد بيَّن المفسرون والمقرئون أنها من اختلاس أبي عمرو رحمه الله جريًا على اختصار العرب في قولهم: كبْد.. بدلا من كبِد؛ طلبًا للتخفيف.

قال أبو عبدالرحمن: إن ما جاز لغةً ليس من الضروري أن يكون جائزًا شرعًا، بل تحمل

www.ahlaltareekh.com

لا مفاضلة بين قراءتين صحيحتين

القراءة الصحيحة على ما اختاره الله لنا من النطق. فإذا اختار الله لنا نطقًا معينًا لتلاوة كتابه العظيم الكريم فليس لنا أن نختار غيره وإن كان له وجه من لغة العرب.

الوقفة الخامسة: أن ابن خالويه رحمه الله قال: المالك غير ملك ولا يكون الملك إلا مالكًا. قال هذا حكاية لمذهب من رجح قراءة الملك.

قال أبو عبدالرحمن: ليس هذا بصحيح (أعني قوله لا يكون الملك إلا مالكًا)؛ بل الملك عام الملك لرعيته خاص المالكية بما كسبه بيده أو بإرث أو بهبة أو بعقد شرعي صحيح؛ فالملك عام المُلك خاص الملك.. والمالك عام الملك خاص الملك؛ فتصرف المَلك مقيد بملك الرعية المالكة. وتصرف المالك مقيد بمُلك المَلك حسب الشرع الذي يقوم بتطبيقه. هذا هو الفرق بين ملك ومالك في لغة العرب، وهذا الفرق لا يزال باقيًا، وإنما استوى قراءتا الملك والمالك ها هنا لتوحد الله وانفراده بالملك والمالكية يوم القيامة، فانتفى الفارق.

أما في الدنيا فقد أذن الله لخلقه بالملك والمالكية الإضافيتين المقيدتين بتدبيره الشرعي والكوني.

الوقفة السادسة: مالكية الله وملكه معروفان من ربوبيته؛ لأن كل قراءة غير ملك ومالك فلا تصح وإن رويت عن بعض السلف، وقد أسلفت بيان وجه ذلك، وأنه لا عذر في الاختلاف بعد المصحف الإمام، ولا يتوسع إلا بما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنقل صحيح.

الوقفة السابعة: أن قراءة مالكَ يوم الدين بالفتح خروج عن الظاهر من جهتين:

أولاهما: الخروج من الوصف إلى الطلب. أي العدول إلى الالتفات بغير مانع من الأصل ولا دليل على العدول.

والثانية: تقدير حرف النداء (يا)؛ لأن الفتح على تقدير: يا مالكَ يوم الدين.. والأصل عدم التقدير.

الوقفة الثامنة: أن المعاني التي ذكرها القراء في ترجيح ملك على مالك، أو ترجيح مالك على ملك لا يلتفت إليها فيما صح فيه الوجهان شرعًا، وإنما يؤخذ بها فيما جاء بوجه واحد حسب دلالات السياق، وبالنظر لغير يوم القيامة.

وأما معنى المادة فقد فسر ابن جرير المُلك من المَلك بأن لله الملك يوم الدين خالصًا دون جميع خلقه. وأما معنى مالك فأسند إلى ابن عباس قوله: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا كملكهم في الدنيا. قال تعالى: *لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابًا*. **النبأ**:٣٨. وقال: *وخشعت الأصواتُ للرحمن*. **طه**:١٠٨. وقال: *ولا يشفعون إلا لمن ارتضى*. **الأنبياء**:٢٨.

وقال ابن فارس: «الميم واللام والكاف أصل صحيح يدل على قوة في الشيء وصحة. يقال: أملك عجينته.. قوى عجنه وشده، وملكت الشيء قويته. قال أوس بن حجر يصف قوسًا وقواسًا:

فَمَلَّكَ بالليط الذي تحت قشرها
كغرقئ بَيْضٍ كنَّهُ القَيْضُ من عل

والأصل هذا، ثم قيل: ملك الإنسان الشيء يملكه ملكًا، والاسم المُلْك؛ لأن يده فيه قوية صحيحة: فالمِلك: ما ملك من مال. والمملوك: العبد، وفلانٌ حسنُ الملكة أي حسن الصنيع إلى مماليكه. وعبدٌ مملكة: سبي ولم يملك أبواه. وما لفلان مولى ملاكةٌ دون الله تعالى.. أي لم يملكه إلا هو. وكنا في إملاك فلان أي أملكناه امرأته، وأملكناه مثل ملّكناه. والملك: الماء يكون مع المسافر؛ لأنه إذا كان معه ملك أمره»(١٥).

وقال الراغب: «الملك: هو المتصرف بالأمر والنهي في الجمهور، وذلك يختص بسياسة الناطقين؛ ولهذا يقال: *ملك الناس*. ولا يقال: مالك الأشياء. وقوله: *ملك يوم الدين*. **الفاتحة**:٣. فتقديره: الملك في يوم الدين، وذلك لقوله: *لمن الملك اليوم لله الواحد القهار*. **غافر**:١٦.

والملك ضربان: ملك هو التملك والتولي، وملك هو القوة على ذلك، تولى أو لم يتول.

فمن الأول قوله: *إنّ الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدُوها*. **النمل**:٣٤. ومن الثاني قوله: *إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكًا*. **المائدة**:٢٠. فجعل النبوة مخصوصة والملك عامًا؛ فإن معنى الملك ها هنا هو القوة التي بها يترشح للسياسة، لا أنه جعلهم كلهم متولين للأمر؛ فذلك مناف للحكمة كما قيل: لا خير في كثرة الرؤساء.

قال بعضهم: الملك اسم لكل من يملك السياسة: إما في نفسه وذلك بالتمكين من زمام قواه وصرفها عن هواها، وإما في غيره سواء تولى ذلك أو لم يتول على ما تقدم.

وقوله: *فقد آتينا آلَ إبراهيمَ الكتابَ والحكمةَ وآتيناهم مُلكًا عظيمًا*. **النساء**:٥٤.

والملك: الحق الدائم لله؛ فلذلك قال: *له الملكُ وله الحمدُ*. **التغابن**:١. وقال: *قُل اللهمَّ مالك الملك تُؤتي الملكَ من تشاء وتنزع الملكَ ممن تشاء*. **آل عمران**:٢٦.. فالملك ضبط الشيء المتصرف فيه بالحكم، والملك كالجنس للملك، فكل مُلك مِلك، وليس كل مِلك مُلكًا.

قال: *قُل اللهم مالك المُلك تُؤتي المُلكَ مَن تشاء*. **آل عمران**:٢٦. *ولا يملكون لأنفسهم ضرًا ولا نفعًا ولا يملكون موتًا ولا حياة ولا نشورًا*. **الفرقان**:٣. وقال: *أمَّنْ يملكُ السمع والأبصار*. **يونس**:٣١. *قل لا أملكُ لنفسي نفعًا ولا ضرًا*. **الأعراف**: ١٨٨. وفي غيرها من الآيات.

والملكوت مختص بملك الله تعالى، وهو مصدر مَلَك.. أُدخلت فيه التاء نحو: رحموت ورهبوت. قال: *وكذلك نُري إبراهيمَ ملكوت السموات والأرض*. **الأنعام**:٧٥. وقال: *أوَ لَمْ ينظُروا في ملكوت السموات والأرض*. **الأعراف**:١٨٥. والمملكة سلطان الملك وبقاعه التي يتملكها، والمملوك يختص في التعارف بالرقيق من الأملاك. قال: *عَبدًا مملوكًا*. **النحل**:٧٥. وقد يقال: فلان جواد بمملوكه.. أي بما يتملكه. والملكة تختص بملك العبيد، ويقال: فلان حسن الملكة.. أي الصنع إلى مماليكه، وخص ملك العبيد في القرآن باليمين: فقال: *ليستأذنكم الذين ملكتْ أيمانُكم*. **النور**:٥٨، وقوله: *أو ما مَلَكتْ أيمانُكم*. **النساء**:٣، *أو ما ملكتْ أيمانُهُنَّ*. **النور**:٣١. ومملوك مقر بالملوكة والملْكة والملْك. وملاك الأمر ما يعتمد عليه منه. وقيل: القلب ملاك الجسد. والملاك التزويج. وأملكوه زوجوه، شبه الزوج بملك عليها في سياستها، وبهذا النظر قيل: كاد العروس يكون ملكًا.

وملك الإبل والشاء ما يتقدم ويتبعه سائره تشبيهًا بالملك. ويقال: ما لأحد في هذا ملك وملك غيري.

قال تعالى: *ما أَخْلَفْنا موعدكَ بِمَلْكنا*. **طه**:٨٧. وقرئ بكسر الميم. وملكت العجين شددت عجنه. وحائط ليس له ملاك أي تماسك(١٦).

الهوامش:

١ـ الذي ذكر ذلك شيخ ابن السري في روايته عن أبي عمرو بن العلاء.
٢ـ الحجة ١/٦ـ٧.
٣ـ معطوف على «خص» ولو قال: «فقال» لكان أوضح.
٤ـ الحجة ١/١٣ـ١٤.
٥ـ الحجة في علل القراءات السبع ١/٦ و٣ـ٤ مع الحواشي.
٦ـ زيادة يقتضيها السياق، وهو يزيد بن القعقاع المدني المخزومي من القراء العشرة.
٧ـ هو عبدالرحمن بن هرمز المدني.
٨ـ الحجة في علل القراءات السبع ١/٧. وابن نصاح المدني القاضي مولى أم المؤمنين أم سلمة رضي الله عنها، وهو أول من ألف في وقوف القرآن.
٩ـ الحجة للفارسي ١/٧ـ٨.
١٠ـ هذا تعليل لنفي أولية مروان بإطلاق.
١١ـ الحجة للفارسي ١/١١.
١٢ـ في نسخة من فتح القدير: أيما.
١٣ـ فتح القدير ١/٢٤.
١٤ـ فتح القدير ١/٢٥.
١٥ـ مقاييس اللغة، ص٩٩٦.
١٦ـ المفردات ص٧٧٤ـ٧٧٦.

www.ahlaltareekh.com



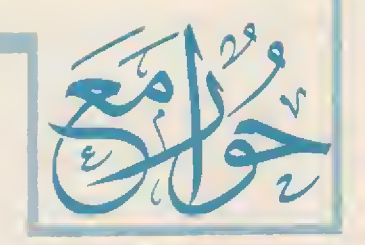
سابك
sabic

نور البصيرة.. لا نور البصر.

عزيزي الأب ..

ابنك الضرير حرمه القدر نور البصر، فلا تحرمه نور البصيرة.
معاهد النور في مختلف أنحاء المملكة تفتح أبوابها للجميع بإشعاعات العلم.

قوة العطاء





الروائي
إبراهيم الناصر الحميدان

الرواية
سفير ثقافي لا تعوقه الحدود!

أجراه: عقيل بن ناجي المسكين

فرضت الرواية نفسها بوصفها فنًا من أرقى فنون التعبير في هذا العصر، ولاسيما أنها أفادت كثيرًا من تطور تقنيات الاتصال؛ إذ شاعت روايات كثيرة بين الناس حين تحولت إلى أعمال درامية على الشاشتين الصغيرة والكبيرة (التلفاز والسينما).

ومع شيوع الرواية قامت حركة نقدية واسعة، لم تسلم من نقد الروائيين أنفسهم، مما جعل من الضرورة السعي للوقوف على الرؤية التي تؤطر أعمالهم، ومعرفة آرائهم في الحركة الأدبية عامة، ومن بينها النقد الأدبي.

وهذا الحوار مع الروائي السعودي إبراهيم الناصر الحميدان - الذي بدأ رحلته في عالم الأدب والرواية منذ ما يقرب من أربعين عامًا - هو محاولة لاستطلاع بعض آرائه في العلاقة بين الأدب والمجتمع، وفي الرواية العربية وإلى أي وجهة تتجه؟ مع لمحات عن تجربته الروائية.

- بصفتك أحد كبار الروائيين في الساحة، ما رؤيتك العامة لدور الرواية العربية ضمن الوسائل المتعددة للخطاب الثقافي الأدبي في المجتمع السعودي خاصة، والمجتمع العربي والعالمي بشكل عام؟

* للفنون كافة دورها المهم في احتضان حياتنا المعاصرة وتنويع النمو الذاتي والاجتماعي بما يدفع خطى التقدم إلى الأمام، وهذه الألوان المختلفة من الفنون إنما هي عطاء إنساني يقصد به الإسهامات الثقافية، لأن المجتمعات لا تستطيع أن تكفل غدها الثقافي دون هذا التنوع في العطاء الفردي.

والرواية مأخوذة من مصدر الراوي أو الرواة، إذ إن الجنس البشري اعتاد منذ وجوده على هذه الأرض أن يتجول فيما حوله بغية الاستكشاف والبحث عن الأفضل؛ مما يجعله بعد العودة من تلك الجولة يروي مشاهداته وما صادفه في أثنائها لمن هم حوله من البشر. فالرواية كانت إذن شفاهية تنتقل من شخص إلى شخص آخر، كما أن الشِّعر نفسه كان ينتقل - فيما مضى - عبر الألسن وليس التدوين. وتحرص الرواية اليوم على أن تؤدي دورًا أكثر تغلغلاً في نسيج المجتمعات، لأنها تعكس طبيعة الحياة البشرية وما يعانيه الإنسان في مجتمع معين، أو هي تدعو إلى طريق جديد لاختراق معوقات التقدم نحو الأفضل، لذا فإنها أصبحت اليوم مطلوبة في المجتمعات

www.ahlaltareekh.com



كافة؛ بل هي وسيلة لنقل المعرفة والثقافة بين الشعوب لما تعكسه من تجارب عانى منها الإنسان في جزء من العالم حتى استطاع التغلب عليها.. فهي سفير ثقافي لا تعوقه الحدود من طرق الأبواب كافة حتى يحتضن هذه التجربة الاجتماعية في جزء من العالم. وتحولت الرواية اليوم إلى أعمال إبداعية أخرى في (السينما) وغيرها، وهذا يعني أهميتها في المجتمعات البشرية قاطبة من حيث كونها ثروة أو تجربة ثقافية واجتماعية.

- التحصيل الذاتي وهاجس البحث عن الحقيقة والتزود من معين المعرفة هو الهم الأكبر لذوي الطموح والتطلع إلى الآفاق البعيدة واستشراف المستقبل. ماذا عن تجربتكم الشخصية في التحصيل الذاتي وتكوين شخصيتكم الثقافية والأدبية، وما السبل التي سلكتموها لهذا التكوين؟

* من الطبيعي أن تكون المعرفة هي هاجس البحث عن الحقيقة واكتساب ثقافة جديدة. فالإنسان يولد مثل خميرة تتشكل بين أيدي المحيطين به، وهو لهذا يستقبل ما يُطرح على مسامعه من أقوال أو ما يُروى من أفعال، وهو أمر طبيعي؛ لأنه في هذه المرحلة يستجمع عدته ليواجه بها المستقبل، وفي مرحلة تالية بالنسبة لي وجدت في مكتبة جدي لأمي - رحمه الله - مجموعة من نفائس الكتب، وكان - غفر الله له - من المولعين بالقراءة، ومكتبته هذه تجمعت من رحلاته إلى العديد من البلدان في صدر شبابه، وقد وجدت فيها غذاءً شافيًا للهفتي على القراءة التي لا أعلم ما هو دافعها الأول سوى حب الاطلاع. وقد غَرَسَت فيّ هذه المكتبة - لاحقًا - استمرار هذا الاتجاه، فقد وجدتني في أغلب مراحل عمري مشغوفًا بالقراءة التي أخذت بتنويعها، وإن كنت أميل إلى قراءة القصص والأعمال الروائية، وهكذا تحولت تلك الهواية إلى اتجاه للقراءة. ثم وجدتني أحاول أن أجرب موهبتي في الكتابة، فكتبت الكثير، لأنني في صدر شبابي كنت كثير التنقل ولا أستقر في مكان واحد مدة طويلة، وحين وضحت موهبتي أفسح لها المجال في صحافتنا وغيرها، وشرعت في الكتابة منذ ذلك التاريخ حتى اليوم والحمد لله. ونصيحتي للشباب هي تنمية مواهبهم، مهما كانت العقبات، لأنها هي السبيل لصقلها وبلورتها والتوفيق بيد الله.

- تجربتكم الروائية والقصصية لها تاريخ طويل، منذ صدور مجموعتك القصصية الأولى «أمهاتنا في النضال» عام ١٣٨٠هـ حتى رواية «رعشة الظل» التي نشرت في عام ١٤١٤هـ، وهي مدة تقدر بأكثر من ثلث قرن من الزمان، وهذه المدة كفيلة بصقل التجربة وازدياد المعرفة والتبصر في الحياة. ما العوامل الأساسية التي أثّرت في شخصيتكم وفي التكوين الإبداعي لكم في عالم الرواية العربية الحديثة؟

* عدد السنوات ليس دائمًا هو المحك لصقل تجربة الإنسان في أي معترك. وربما لا يوافقني الكثيرون على وجهة النظر هذه، إنما لدي قناعة بأن الاستفادة من تجارب الآخرين قد يقتبسها الشاب قبل الكهل، لذا فإن الابن قد يقلد والده في تجارته أو في مصنعه، ولهذا يستشير بعض الآباء أولئك الأبناء في أمور معقدة. ليس هذا بطبيعة الحال هو مدار السؤال، إنما أردت فقط ألاّ نحاسب الآخرين بعدد السنين التي مضت من أعمارهم وقد تركناهم في الوراء يقضون سحابة أيامهم. فالتفوق موهبة لا تبرز إلا بالتجربة وبالاحتكاك، والسنوات الطويلة ما بين بدايتي في الكتابة وهذه المرحلة لا أستطيع القول بأنني أمضيتها في ممارسة ألوان من الفن، لأن الكتابة عندي عشق وليس امتهانًا؛ لذا فإنني أتوقف عندما أجد أنني لا أعطيها حقها من الذات المبدعة، ولهذا السبب ترى أن فترات الإنتاج بين عمل وآخر تأخذ الكثير من الزمن مع حرصي ألاّ أنصرف إلى التواني، على الأقل بغية كسب المزيد من الاطلاع لمواكبة التحديث في الإبداع. ومن تلك القراءة، والحمد لله، صغت تجربتي وتنوّع عطائي آملاً أن يكون نحو الأفضل، ولاسيما أن مطالب الحياة تفرض علينا التعرض لأمور كثيرة.

- ترى ما الأسس التي تؤمن بها في عملية الإبداع المرتبطة بالواقع الاجتماعي حتى يخرج النص بالصورة المطلوبة؟

* قضية الإنسان مبدأ أؤمن به كحق منحه الله لنا منذ صيرورتنا، لذا فإنني لا أرى أي تميز لإنسان على آخر سوى بالموهبة، فالمجموع، وحتى اللص، لم يُخلق ليكون عابثًا، إنما أبحث عن الدوافع لهذا الانحراف، فالإنسان في دخيلته عوامل الخير والشر، إنما الغلبة تكون دائمًا للاتجاه السوي، أما الآخر فلا بد من دوافع أبرزته وجعلته يسيطر على السلوك القويم. وهذه القناعة هي التي تجعلني أنحاز إلى جانب الضعفاء والمدحورين الذي يهمشهم المجتمع، فالحياة ينبغي أن تتاح للجميع.. والحياة تعني الحق في الحصول على العمل والحرية في الاختيار.. إلخ.

- هناك إشكالية قائمة ومثارة حول مسألة التجريب غير الخاضع للمراقبة من أهل الخبرة؛ مما يسبب نوعًا من الاجتهادات غير الثابتة على منهج معين. ما وجهة نظركم حول هذا الموضوع؟

* التجريب اتخذه بعض الكتاب نوعًا من العبث لا يقدرون على توظيفه بالصورة الصحيحة، إنما عدّوه وسيلة لنوع من الهذيان الطفولي يعطيهم الفرصة لأن يقولوا ما يريدون دون محاسبة لأنه مجرد تجريب. وهذا واقع مؤلم، لأن الغاية من التجريب هي التوصل إلى صيغ مستساغة في العملية الإبداعية وليس اللعب بالكلمات والعبث، ومن يعتقدون أن

www.ahlaltareekh.com

التجريب حرية مطلقة في التلاعب بالكلمات واختبار الهذيان كمتنفس لتلك الحالات فهم واهمون، ولن ينجح أحد منهم في ذلك النفق المظلم.

- أصبحت الرواية العربية في العصر الحديث أكثر تقنيًا من الرواية في بداية ظهورها. برأيك، ما معالم هذا التقنين والتجديد في الأساليب المعقولة لكتابة الرواية الحديثة؟

* من البديهي أن يتغير تقنين الرواية العربية في العصر الحديث عن بداياتها في العصر الماضي، ذلك أن الرواية، في الأساس، هي بأساليبها الماضية والحالية نتاج غربي وليس كما ألِفَ العرب فيما مضى، حيث كانت الرواية تعتمد على النقل الشفهي، ولهذا ليس بالغريب أن تتطور أساليبها وتأخذ في نواحٍ جديدة انسجامًا مع التيارات الفنية الحديثة والمدارس الأدبية التي تسود في الغرب، وتتحول من اتباعية (كلاسيكية) إلى إبداعية (رومانسية)، ثم إلى واقعية، فما فوق الواقع (السوريالية).. إلخ، حتى أصبحنا اليوم نقف على أطلال الحداثة لندخل كهف ما بعد الحداثة، وهذا يعني أن الفرع يرجع أو يعود دائمًا إلى أصله في أمه الشجرة، والأمثلة كثيرة لا تحصى في هذا الفخ الغربي الذي يسود المكتبات العربية في كل مكان، وإن كان الاتجاه العربي له ركائزه في الأعمال الجديدة.

- بعض النقاد يُحمِّلون النص فوق ما يحتمل في العملية النقدية. ما أفضل السبل لنقد النص القصصي والروائي؟ وما أسلم المناهج في ذلك؟

* النقد مدارس؛ لذا فإن كل ناقد يتصدى للنقد منطلقًا من تصوراته للأُسس التي يتوجه إليها. والمناهج كما نعرف كثيرة ومتعددة، إنما في تصوري أن النقد الواقعي - كمدرسة - هو أقرب المدارس للأعمال الروائية العربية، وإن كان النقاد في الوقت الحاضر يتراكضون وراء النقد غير المنهجي كما تفرضه تيارات الحداثة وما بعد الحداثة.

- الإسراف في عملية المناجاة (المونولوج الداخلي) ومخاطبة النفس في أثناء العملية السردية لأحداث الرواية أو القصة قد يسبب نوعًا من البعد الزمني لدى القارئ بين تسلسل الأحداث، بينما التكثيف واللغة الإشارية يجعلان هناك موازنة معقولة بين الحدث الحركي والحوار الداخلي للبطل. ما رأيك في هذا الموضوع؟

* المونولوج الداخلي جزء من العملية الإبداعية ومرتبط بها، حيث تتركز الذكريات وتنقل البطل من مرحلة إلى أخرى، فالحياة متلاحمة مترابطة الأجزاء مهما حاولنا فصلها، وماضي الإنسان جزء من حياته التي استقرت في وعيه وذاكرته العميقة.

- البطل في الرواية ليس له حدود، والروائي له مطلق الحرية في تشكيل هذا البطل حسب ما يراه ويرمي إليه من خلال أحداث الرواية. هل تؤمن بوحدة البطل، أم بتعدد الأبطال؟

* البطل أو الأبطال تقتضيهم الأحداث، وليس المبدع مخيّرًا في عددهم قلةً أو كثرةً، لأن لكل واحد منهم رمزه وفاعليته في الأحداث، ولا أتصور أن المبدع يرتاح وهو يدفع بأعداد من الشخصيات لا ضرورة لها لمسؤوليته في تحريكها في عمق العمل، بل قد تؤدي زيادتها إلى ضعف العمل الفني وترهّله؛ لكون هؤلاء سوف يصبحون عالة على الأحداث لهشاشة دورهم. وكل مبدع يحرص على أن يكون لأبطاله ما يرمزون إليه من دور، وهو ما نفعله جميعًا ولسنا مخيرين في ذلك.

- إلى أين وصلت بك سفينة الإبداع؟ وإلى أي مرفأ تطمح أن تصل بك هذه السفينة؟

* سفينة الإبداع لا مرفأ لها في حياة الكاتب لأنه مجبر على الإبحار مع قلمه حتى آخر يوم من حياته، لذا فإن قدرنا أن نكتب حتى نعجز عن الكتابة، أو ينتهي دورنا في هذه الدنيا. وكل شيء بأمر الله تعالى.

- التراث والعادات والتقاليد في الجزيرة العربية لها حضور كبير في قصصك ورواياتك. إلى أي مدى استفدت من هذه الروافد وكيف وظفتها، ألمجرد الوصف في العملية السردية؟ أم لها مغزى آخر؟

* التراث من عناصر العمل الروائي وتأصيله من خلال جزئياته في اتساق الحوادث وتلاحمه بها. والتراث كما نعرف هو من أساسات أي مشروع إنساني تناسل منه واصطبغ بلونه وعكس تفاعلاته من خلال الإسهام في بناء الشخصيات التي تصطرع مع الأحداث من حولها وتعاني من تأثيراتها في مجرى حياتها وتوجهاتها المستقبلية.

- يدور في هذه الأيام حديث حول القصة القصيرة وأنها لا بد أن تحزم حقائبها وترحل عن قاعة الأدب، إذ لا تجد لها كرسيًا لتستريح عليه، بينما يسمحون للرواية بالبقاء حيث يعتقدون أنها ديوان العرب في هذا العصر. ما تعليقك على هذا القول؟

* في اعتقادي أنه لا يوجد لون أدبي جاء من فراغ، وإنما الحاجة هي التي تمخضت عنه وفرضت التعامل معه كضرورة فنية حياتية، ولنأخذ مثالاً على ذلك: النحت.. فالتاريخ الفرعوني وغيره خلف لنا قلاعًا ضخمة من فن النحت الذي مازالت الأجيال تدرسه بعد مرور أكثر من خمسة آلاف عام على إنشائه. فهل انتهى عصر النحت؟ لا أعتقد إذ إن التماثيل وقلاعها مازالت تدرس في المعاهد الفنية العليا، ونرى نتاج ذلك في المعروضات التي تتصدر قاعات الفنون في أكثر أنحاء العالم، فكيف إذن نتصور أن القصة سوف تختفي من حياة البشر وأيامهم ولياليهم بما فيها من أحداث في نسخ حياتهم البشرية كمحصلة للمعاناة؟ فالقصص تتوارد يوميًا في المجالس؛ فهل يعني ذلك تجاهل ما نراه يحدث أمام أبصارنا في كل يوم؟

www.ahlaltareekh.com

الأمن المائي والغذائي في الوطن العربي

أحمد الهواري

يعدّ الماء الركن الأساسي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بجوانبها كافة، وخاصة في الوطن العربي حيث الزراعة تعتمد على الأمطار بنسبة كبيرة (نحو ٨٠٪ من المساحة المزروعة). والمقصود بالأمن الغذائي هو: مقدرة البلد أو البلدان على تأمين احتياجاتها الغذائية اللازمة لتغذية السكان، أضف إلى هذا توافر مخزون احتياطي لمواجهة كل الاحتمالات المستقبلية (كوارث، جفاف..). غير أن هذا الأمن يظل بعيداً في ظل غياب خطة (إستراتيجية) عمل عربي مشترك وتكامل قطري لمواجهة التحديات والخروقات الأجنبية، وخاصة سياسة إسرائيل التوسعية والاستيطانية.

وعلى وجود بعض السياسات المائية الفردية لإعطاء قوة وفعالية للقرارات التي تتخذها بعض الأقطار في مواجهة التحديات الخارجية؛ فإن الاعتقاد السائد حتى الآن لدى أغلبية الملاحظين أن هذه السياسة لم تصل إلى نتائج مرضية؛ ممّا أدى في معظمها إلى ظهور بعض المجاعات في الوطن العربي، وهذا أدى بدوره إلى تعميق التبعية والمديونية وربط الدولة بالمؤسسات النقدية الأجنبية، ومعها أصبح السؤال الذي يُطرح حول كيفية التوفيق بين شروط العيش الكريم والاتكال الكلي على الغرب لتلبية الحاجيات الدّاخلية أمراً محط اهتمام، خصوصاً بعد إشهار سلاح الغذاء كورقة ضغط للابتزاز والهيمنة. فما هو إذن واقع الأمن الغذائي والمائي في ظل هذه المعطيات؟ الإجابة تكمن في صيانة الأمن المائي كضرورة لتحقيق الأمن الغذائي، وكمحاولة للتخلص من هذه الهيمنة الأجنبية المستخدمة لسلاح الغذاء.

صيانة الأمن المائي: ضرورة لتحقيق الأمن الغذائي

إن الأمن المائي الذي تسعى الأقطار العربية لتحقيقه يعد رديفًا (إستراتيجيًا) للأمن الغذائي، لأنه، من دون وفرة المياه، يصعب القيام بتنمية شاملة. ومن هذا المنطلق نرى العديد من الأقطار العربية تبذل قصارى المجهودات بغية تحسين الوضع المائي، ومن ثم التخفيف من أزمة مائية تعقبها أزمة غذائية أمست تلقي ظلالها على الحكومات العربية، وتتسبب في عجز وتبعية تضعف مركزية القرار لدى هذه الأنظمة. وبالفعل، فإن الغذاء أصبح سلاحًا فعالاً في يد الدول المنتجة والمصدرة للحبوب؛ تضغط به على الدول المستوردة لتحقيق أهداف ومكاسب سياسية. إذن فما دامت هذه الفجوة الغذائية التي تعرّف على أنها «الفرق بين إنتاج المواد الغذائية والطلب عليها من أجل استهلاكها»(١) قائمة، فإن الحصانة العربية ما تزال مزعزعة.

وتفيد تقارير المنظمة العالمية للأغذية والزراعة FAO، والمنظمة العربية للزراعة أن الوضع الغذائي العربي في تراجع مستمر. أما التقرير الاقتصادي العربي لسنة ١٩٨٨م فقد جعل «الوطن العربي أكثر مناطق العالم اعتماداً على المصادر الخارجية للغذاء، حيث تمثل السلع الغذائية الرئيسية ثلاثة أرباع ما تستورده الأقطار العربية من السلع الزراعية. وتستورد الدول العربية ثُمن مجمل الواردات العالمية من تلك السلع التي تجاوزت قيمتها ١٤ مليار دولار عام ١٩٨٨م»(٢).

إن هذه الأرقام تدل على أن هناك تبعية كبيرة من الدول العربية في مجال الغذاء للأقطار الغربية. كما أن مشكلة نقص الغذاء، وخاصة القمح، ليست مقصورة على بلد دون آخر، بل تشمل الأقطار العربية كافة. وإذا كانت مأساة المجاعة التي تضرب الصومال وجنوب السودان لم تصل بعد إلى جل الأمصار العربية، فالفضل في ذلك يعود إلى إمكانات الاستيراد اعتماداً على إيرادات النفط أو الاقتراض الخارجي، والنتيجة من هذا أنه لا يوجد استقلال كامل بالنسبة لشعب يأكل من وراء البحر.

إن الرهان على تعبئة الموارد المائية للحد من العجز الغذائي أمسى هدفًا (إستراتيجيًا) وخياراً لا بديل عنه لتحقيق ثورة خضراء. غير أن المشكل الذي يعرفه الماء في معظم الأقطار العربية هو ارتباطه بالملكية الغذائية؛ أي إنه لا يُبنى على وضعية قانونية حقيقية، ولكنه يخضع لعدد من الأنظمة العرفية؛ مما يحول دون إقامة سياسة عقلانية في التعامل مع الموارد المائية من أجل التحكم فيها.

لذا فإنه من المهم القيام بمشروعات قومية لصيانة الموارد المائية ومن ورائها

www.ahlaltareekh.com

الأمن الغذائي (تحويل ممرات المياه، بناء السدود، مد القنوات..). ومن جهة أخرى يمكن إرجاع معوقات التنمية الغذائية إلى نوعين من العراقيل: واحدة طبيعية والأخرى سياسية - اقتصادية.

فالمشكلات الطبيعية تتجلى في:

- ضعف الرقعة المستغلة في الزراعة: ٥٣ مليون هكتار؛ أي ما يعادل ٣,٩٧٪ فقط من مساحة الأرض العربية الإجمالية.

- قلة التساقطات المطرية والمياه الجوفية: إذ يراوح معدل هطل المطر بين ٥ و٤٥٠ ملم سنويًا مما ينتج منه قلة المياه خصوصًا أن معظمها داخلية.

- غلبة الصحراء على مساحة العالم العربي: ٦٠٠ مليون هكتار؛ أي ما يقرب من ٤٥٪ من مساحته الإجمالية البالغة ١٣٣٤ مليون هكتار.

- الأنهار الكبرى التي تخترق العالم العربي (دجلة، والفرات، والنيل) ذات منابع خارجية، ومن ثم فهي تخضع لإرادات غير عربية.

- تذبذب الإنتاج الغذائي الزراعي العربي بفعل اعتماده على الأمطار وليس على الري، فالرقعة الزراعية التي تُروى بالمطر تقدر بنحو ٧٨,٨٪، وأما التي تروى بالسقي فنسبتها ٢١,٢٪.

وخلاصة القول: إن الاكتفاء الذاتي من الغذاء يمر حتمًا عبر التحكم في الموارد المائية واستغلالها استغلالاً علميًا لتحقيق الحد الأدنى من الحاجيات المعيشية.

أما المشكلات السياسية والاقتصادية فيمكن إجمالها في الإحصاءات التالية:

- إن ٦٠٪ من سكان العالم العربي (حسب إحصاء ١٩٧٥م)، هم من الريف الزراعي، وهذا العدد حاليًا يقل عن ٥٠٪، والنسبة في انخفاض مستمر حيث ستصل سنة ٢٠٠٠م حسب التقديرات إلى ٤٠٪، ومن ثم سيقل عدد المزارعين.

- إن الزراعة في جل موازنات الأقطار العربية تُرصد لها ميزانيات ضعيفة، وكذلك الحال في مشاريع التنمية الزراعية. وبعبارة أخرى فإن السياسة الاقتصادية بدلاً من أن ترصد أكبر مبالغ ممكنة في عملية التنمية الزراعية فإنها تتصور إمكان تحقيق هذا الهدف في ظل سياسة الانفتاح الاقتصادي على الدول المتقدمة؛ مما ينعكس سلبًا على ميزانها التجاري، الذي يزداد تضخمًا مع الوقت ومع ازدياد السكان والاحتياجات الغذائية.

بل الأخطر من هذا، أن الدول المحيطة بالعالم العربي التي تشترك مع دولة فيه أو أكثر في المياه النهرية أصبحت تخطط لإقامة المشاريع الكبرى عليها. وهذا التحرك سيكون له أكبر المخاطر على الأمن القومي العربي. وما دام الغذاء مرتبطًا بالماء، فإن المحافظة عليه واستغلاله بشكل تصاعدي أمر لا بد منه، وفي هذا الصدد لا ينبغي إسقاط الرقم الإسرائيلي من الحسبان، خصوصًا أن الشعار الذي كان مرفوعًا - ولا يزال - عندهم ينص على أن حدود إسرائيل من الفرات إلى النيل، وما تسمية حدود إسرائيل بالأنهار إلا دليل على النية العدوانية المبيتة ضد الأقطار العربية.

الأمن الغذائي والاستقلال العربي

ينفق العالم العربي قرابة ٢٣ مليار دولار ثمنًا لغذائه المستورد من الخارج، وهذه التبعية الغذائية تحمل في طياتها مخاطر التبعية السياسية، لأن مشكلة الغذاء لم تعد قضية تقنية فقط؛ بل أصبحت قضية متعلقة بمستقبل العلاقات الاقتصادية والاستقرار السياسي كذلك.

إنها أزمة الغذاء وصيحة العصر التي معها نسأل: كيف يمكن لشعب جائع أن تكون له إرادة سياسية مستقلة من طريقها يحافظ على سيادته ويتحول نحو الأفضل في عصر التحولات؟

وحتى نعرف العلاقة الحق بين الغذاء والتبعية، لا بد لنا أولاً أن نبحث عن أسباب ظهور هذه الأزمة الغذائية.

أسباب مشكلة الغذاء

إن هذه المشكلة التي تعاني منها الأقطار العربية غالبًا ما تعزى إلى أسباب طبيعية؛ كالتحولات التي يعرفها المناخ والطقس (التصحر وغزو الجراد والجفاف). وهذه المشكلات لها تأثير مباشر في قطاع الفلاحة، ولاسيما إذا أضيف إليها تلوث البيئة بسبب تقدم التقانة (التكنولوجيا) والنمو السكاني (الديموغرافي) المتزايد.



سد نجران.. أحد السدود التي أقامتها المملكة العربية السعودية لتحقيق الأمن المائي

فعامل الجفاف يؤدي إلى قلة التساقطات وندرة المياه، وتدهور الإنتاج وما يترتب على ذلك من آثار اجتماعية واقتصادية سلبية. أما التصحر الذي يعطي قابلية للصحراء للامتداد واكتساح المناطق الخضراء؛ فإنه يلحق أضرارًا بالبيئة وبكل مكوناتها، ويشيع جوًا من القلق والاضطراب النفسي. يُضاف إلى ذلك أن تلوث الطبيعة من العوامل الرئيسية التي تضرّ بالمياه وبالغذاء؛ ومن ثم تسهم في تعميق أزمة التغذية.

وفي ظل تفاقم هذه المشكلات تُطرح مسألة الإصلاح الزراعي. غير أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد مشروعات على الورق ما دام ليس هناك تدخل من الدولة في ترشيد الفلاحين الصغار والكبار على السواء، واختيار الزراعات

www.ahlaltareekh.com

الأمن المائي والغذائي في الوطن العربي

المناسبة لكل منطقة على حدة. إذن فهذا الإصلاح الذي يتم وفق شروط المؤسسات النقدية والمالية وتوصياتها يجب ألاّ يكون امتيازًا لصالح البرجوازية والبيروقراطية والشركات الأجنبية على حساب المزارعين البسطاء والأهالي المتضررين(٣).

وعمومًا، فأزمة الغذاء هي مشكلة ذات جوانب سياسية أكثر منها طبيعية. ولعل أهم جانب يتلخص في التبعية الشاملة للغرب.

من التبعية الغذائية إلى فقدان الاستقلال في اتخاذ القرار

إن إخفاق خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تبنّتها العديد من الأنظمة العربية (سواء الاشتراكية منها والليبرالية) عقب الاستقلال السياسي، أثّر كثيرًا في الأمن الغذائي بالمنطقة، وخلق جوًا من التبعية الدائمة من حيث المعيشة للعالم الغربي، خصوصًا بعد تفاقم ظاهرة التبادل غير المتكافئ القائم على أساس التقسيم الدولي للعمل، وهو تقسيم جائر لا يراعي مصلحة الدول الحديثة الاستقلال، ومنها الدول العربية.

والأكثر من ذلك، كيف يمكن المحافظة على هذا الاستقلال ونحن نعتمد في كل حاجاتنا على الغرب الرأسمالي؟ الجواب - بدوره - يبقى مبهمًا؛ فتبعية العالم العربي للعالم الرأسمالي من حيث الغذاء يمكن قياسها سواء على مستوى الاستهلاك أو على مستوى تنظيم مسار الإنتاج انطلاقًا من روابط الواردات والإنتاج الزراعي وتكوين رأس المال الفلاحي. ومن هنا يأتي غياب القدرة والاستقلال في اتخاذ القرار. وأهم الواردات العربية التي ازدادت تكاليفها مع بداية الثمانينيات بمتوسط ٢٥٪ سنويًا: الحبوب والمنتجات الحيوانية والبن والشاي والتبغ والفواكه والخضروات والمحاصيل الزيتية(٤).

ومن جهة أخرى، فإن المساعدات الأجنبية المقدمة للتخفيف من أزمة الغذاء - وهي أزمة تتطلب جهودًا ونضالاً مكثفين من أجل تغيير الوضع الاقتصادي - لا تعدو عن كونها مُسكِّنًا لأزمة مستديمة، فهي مساعدات فارغة المفعول من الداخل، أو كما عبّر عنها تيبور مندي Tibor Mende في كتابه «من المساعدة إلى إعادة الاستعمار» عندما شبه المساعدات الأجنبية بكرنب كلما أزلنا منه ورقة ورقة، ووصلنا إلى اللب وجدناه فارغًا(٥). وهكذا عندما نثمِّن القيمة الحقيقية لهذه المنحة الخارجية، نجد القدر الأساسي أدنى بكثير من القدر المُعلن عنه في السجلات الرسمية؛ وذلك لأن البلد المانح يجبر الدولة الممنوحة على أن تصرف هذه المنحة من منتجاتها، وأن تنقلها بوساطة وسائل نقلها، وأن تؤمّن عليها في شركات تأميناتها.

وفي هذا الإطار ينبغي لنا إدراك حقيقة أساسية هي أنه في زمن تكالبت فيه القوى المتغطرسة على ثروات العالم العربي، لا يمكن الانتظار من هذه المساعدات إلا أن تكون استعمارًا جديدًا ومخططًا لمزيد من الاستغلال، وليس أدل على هذا من استخدام الغذاء سلاحًا لتذويب مقاومة الشعوب وإخضاعها للهيمنة والابتزاز. وهذه نقطة تناولها الأستاذ جوندك Goindec أحسن تناول عندما عدّ المساعدات الدولية: «عتبة تدخل بلدان العالم الثالث في حالة تبعية دائمة، وتجمد ممارسة سياداتها، وتجبرها على اتباع سياسة معينة أو تبني نظام معيّن»(٦).

سلاح الغذاء والعلاقات الدولية

إن تبعية دول العالم الثالث، ومعها الدول العربية، للغرب من طريق الغذاء أدت إلى انتشار كتابات - حول هذا الموضوع - تتكلم على ما يُسَمَّى بسلاح الغذاء كمفتاح للقوة العالمية. وفي هذا الجانب كتبت صوفي بسيس Sophie Bessis في مؤلفها «سلاح التغذية»: «تعالوا نصنع تابوتًا خشبيًا واحدًا لننقل ثلاثة مليارات من البشر، هم سكان دول العالم الثالث إلى مثواهم الأخير»(٧). وهي تعني بالتابوت هنا: الغذاء. إذن فهذا الأخير قد أصبح سلاحًا سياسيًا خطيرًا استخدم ببراعة وبلا ضمير في تذويب مقاومة الشعوب الفقيرة المغلوبة على أمرها وإخضاعها لسياسة الأمر الواقع.

لكن الشيء الذي يجب التطرق إليه كذلك هو أن الشعوب العربية واعية خطورة هذا الموقف، فخلال مؤتمر القمة العربية الحادي عشر، الذي انعقد بالعاصمة الأردنية عمّان، تم تأكيد ما يلي: «توفير أو تحقيق الأمن الغذائي بتوفير حدٍّ ممكن من الاستقلالية في إشباع الحاجات الغذائية الأساسية». إلا أن حدة التشديد على موضوع الاكتفاء هذا تبقى دون فعالية ما دامت الزراعة العربية مندمجة ضمن آليات التقسيم الدولي للعمل، وتكييف سياستها الإنتاجية وفق شروط مقتضيات الأسواق الأجنبية. ومن هنا تبرز خطورة المشكلة واستعجالية التفكير الجدي في صياغة الأبدال الممكنة لتجاوزها.

ومّما يُسهِّل وضعية العجز الغذائي بالوطن العربي تغلغل الشركات المتعددة الجنسيات واحتكارها لقطاع الزراعة وتوجيهه من حيث شروط الإنتاج والتسويق. وفي هذا الميدان حازت الولايات المتحدة الأمريكية قصب السبق في امتلاك سلاح التغذية بحكم امتلاكها مجمل الشركات المتعددة الجنسية المحتكرة للزراعة، وبحكم تشديدها المستمر على ضرورة اعتماد «الغذاء» ضمن الثوابت المكونة لاستراتيجيتها الدولية منذ عقود خلت. فالرئيس فورد أكد ذلك في إحدى خطاباته بقوله: «إن وفرة الزراعة قد ساعدت على فتح الأبواب بيننا وبين ٨٠٠ مليون من البشر في الصين الشعبية، وساعدت على تحسين العلاقات مع السوفيت، وساعدت على إقامة الجسور إلى العالم الثالث».

إن في فهم مدى احتكار هذه الشركات لمادة الغذاء، وإدراك مكانة هذا السلاح ضمن توجهات السياسة الخارجية الأمريكية وأبعادها، ما يساعد الوطن العربي على تقدير التأثير الممكن للغذاء في الأمن القومي العربي وفي احتمالات شروط التنمية المستقلة.

وهكذا يتضح لنا أنه لا بديل للأقطار العربية بهذا سوى تحسين أوضاعها الغذائية لمواجهة المستقبل، لأن غياب هذه الخطوة قد يؤدي بها إلى المجاعة أو الوقوع تحت السيطرة العامة للبلدان المصدرة للحبوب.

الهوامش:

١- انظر: يعقوب سليمان: مفهوم الفجوة الغذائية وواقعها الراهن في البلدان النامية، في منتدى الفكر العربي، العدد الخاص عن الأمن الغذائي العربي ١٩٨٦م.

٢- مجلة الوحدة، عدد ٧٦، سنة ١٩٩١م، ص٢١.

٣- المختار مطيع: المشاكل السياسية المعاصرة الكبرى، مطبعة المعارف الجامعية، فاس ١٩٩١م، ص١٠٤.

٤- خالد محسين علي: تطورات مقلقة لأوضاع الزراعة والغذاء في الوطن العربي خلال عقد السبعينيات، في المؤلف الجماعي: دراسات في التنمية والتكامل الاقتصادي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٢م، ص٤٠٦.

5-Tibor Mende:" De Paide la necolomisation " cite par Hammad Zouitni dans: "Les systemes politiques des pays en voic de deve loppement" edition :Papeterie Bouayad. Fes. 1992. p :38.

6- Gonidec (Pierre Francois): "Les systemes politiques africains". Paris/edi: L. G.D.J 1971.1974 citepar H. Zouitni. Ibid p:39.

7- Bessis (Sophie): "L,arme alimertaire" Paris. edi: F. Maspero. 1981.p:53.



www.ahlaltareekh.com

عبدالرحمن بن زياد المعافري

حياته ومنهجه العلمي بإفريقية

د. عمار الهمادي

ترك علاّمة تونس الراحل حسن حسني عبدالوهاب كلمة رجاء إلى أبناء هذه البلاد، ووصية لهم من بعده في موسوعته العظيمة كتاب «العمر»، عند ترجمته للعالم القيرواني: عبدالرحمن بن زياد بن أنْعُم المعافري، يقول فيها: «يا حبذا لو توفق بعض شبابنا لتخصيص حياة عبدالرحمن بن زياد ببحث مستقل، فإن أعماله وتعليمه، وما كان له من الأثر الكبير في الهيئة الإفريقية في عصر تكوين العلوم الإسلامية وتدوينها، لحريّ أن يُفرد بالتأليف. وما ذلك على همّة شبابنا بالعسير»(١).

ربّما جباني الحظ، من بين أبناء تونس، أن أكون عند حسن ظن العلاّمة الراحل، فأقوم بتلبية رغبته، على ضيق القدرة والكفاءة للإحاطة بأعمال مثل هؤلاء العلماء الأعلام والمنارات الشامخة في سماء العلوم الإسلامية، وما بذلوه من جهود كبرى في سبيل إرساء أسس هذه العلوم بإفريقية في تلك العصور الخوالي. وفضل هؤلاء أكبر من أن يحاط به، ومحاولة إبرازه لا تكون يسيرة في مثل هذه الدراسة السريعة، على الرغم من أن ذلك دين علينا نحن أبناء الأجيال المتأخرة. ولكنّ الاعتراف بجميل هؤلاء العظماء والأجلاء حق وواجب في ذمتنا. وتبقى محاولات التعريف بشخصياتهم وأعمالهم وآثارهم، شيئًا من الواجب. ومن بين هؤلاء الأفذاذ الذين أثْروا الحياة العلمية في القيروان، تعليمًا وذيوعًا، في تلك العصور، العلامة الكبير عبدالرحمن بن زياد، الذي سنحاول التعريف بشخصيته الكبيرة وأعماله المأثورة التي قدمها خدمة للإسلام والمسلمين.

حياته. أسرته. تعلّمه

هو عبدالرحمن بن زياد بن أنْعُم بن ذري بن يحمد بن معديكرب الشعباني (نسبة لشعبان، بطن من حمير) المعافري، ويعرف بالإفريقي، ويكنّى أبا أيوب، أو أبا خالد.

ولد عبدالرحمن سنة ٧٤ أو٧٥هـ/ ٦٩٣ أو٦٩٤م بأرض إفريقية، في أثناء غزو جند حسان ابن النعمان (ت: بعد ٨٦هـ) لهذه البلاد. وهو أول مولود عربي يولد بها كما قال هو عن نفسه: «أنا أول مولود في الإسلام ـ يعني بعد فتح إفريقية ـ بإفريقية»(٢). كان أبوه، زياد بن أنعم (ت: نحو ١٠٠هـ) ممن حضر فتح مصر مع عمرو بن العاص سنة ١٩هـ، وسكن وأقام بها إلى أن جهّز عبدالملك بن مروان جيشًا جرارًا لنجدة حسان بن النعمان حينما كان يحارب الروم والبربر وعصابة الكاهنة البربرية دهينا بإفريقية سنة ٧٤هـ. في هذه الفترة، خرج زياد بن أنعم بعياله مع الجند الفاتح. وفي الطريق وُلد له عبدالرحمن في ناحية برقة (القطر الليبي حاليًا)، لذلك عُدّ عبدالرحمن أول مولود للعرب بأرض إفريقية. وكان والد عبدالرحمن من خيرة التابعين وثقاتهم، لقي كثيرًا من الصحابة وروى عنهم الحديث الشريف، أمثال عبدالله بن عمر بن الخطاب (ت:٧٣هـ)، وعبدالله بن عباس (ت:٦٨هـ)؛ وشهد مع أبي أيوب الأنصاري (ت:٥٢هـ) عدة غزوات في بلاد الروم، مثل غزوة القسطنطينية سنوات ٤٥، ٤٩، ٥٠ للهجرة. كما حدّث عنه الكثير وأخذوا عنه علوم الرواية والسنة الشريفة. استقرّ زياد بن أنعم نهائيًا في القيروان، واختط بها دارًا ومسجدًا يعلّم فيه الناس بناحية باب نافع. وكان ذلك من عادة أعيان العرب الفاتحين في ذلك الوقت، إذا أرادوا الاستقرار والإقامة، منذ عهد عقبة بن نافع (ت:٦٣هـ).

لذلك، في هذه البيئة، وفي هذه الأسرة، نشأ عبدالرحمن، في بيت علم ودين، فاعتنى به والده وعلّمه ورباه تربية إسلامية سليمة، على عادة أترابه وذويه بالقيروان، فشبّ وترعرع على طريقة أهل القيروان. ثم جلس إلى التابعين العشرة الفضلاء الذين أرسلهم الخليفة عمر ابن عبدالعزيز على رأس القرن الأول الهجري إلى إفريقية لتفقيه أهلها وتعليمهم أصول الدين وأحكام الشريعة وتحفيظهم القرآن الكريم؛ فأخذ عبدالرحمن علم التابعين وحذق رواية الحديث النبوي الشريف؛ وكان من الرعيل الأول من الأفارقة الذين حملوا العلم الإسلامي عن المعلمين الأوائل في المغرب العربي، حتى قال العلامة الكبير حسن حسني عبدالوهاب: «ظهر علم الشريعة أول ماظهر في إفريقية ـ وخاصة في القرن الأول في القيروان ـ على يد الصحابة فالتابعين الوافدين على المغرب إبّان الفتوح، وعن هؤلاء وهؤلاء كان تسلسل السند، فتلقاه منهم ناشئة العرب المولّدون وأبناء الأفارقة والبربر ممن دخلوا في الإسلام. فما

www.ahlaltareekh.com

يكاد هذا النشء يحفظ القرآن حتى يروي عن أولئك الفاتحين، ومن إليهم، سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي المنبع الثاني للشريعة، والأصل التالي للقرآن العظيم في استخلاص أحكام الدين.. وهم الذين يتّسق بهم السند العلمي الإفريقي»(٣).

ومما يلاحظ بصدد هذا الميدان أن رواية الأفارقة للحديث الشريف كانت بطريق المدنيين وسندهم؛ وذلك هو السبب الأصيل في ميلهم إلى آراء أهل المدينة، واشتهارهم بمذهبها المالكي، والتمسك به دون بقية المذاهب الأخرى إلى اليوم.

وبعد أن استوفى عبدالرحمن علومه في القيروان كانت له رحلات علمية إلى مدينة تونس وسمع من أكبر علمائها، حينذاك، العلامة خالد بن أبي عمران التجيبي، مولى عمرو بن حارثة التجيبي (ت:١٢٥ أو١٢٩هـ)، وهو من العلماء الراسخين والعُبّاد المجتهدين، والمحدث الكبير الثقة؛ وأخذ أيضًا ممن دخلها من جلّة التابعين مثل يحيى بن سعيد الأنصاري (ت:١٤٣هـ). ثم أخذ ابن زياد بعد ذلك طريقه إلى المشرق العربي، على عادة علماء إفريقية، للاستزادة من العلم والمعرفة، وكانت له رحلات متعددة في حياته، أولاها تمحضت لطلب العلم، قبل ١١٨هـ، وأخرى سنة ١٢٢هـ إلى دمشق حيث كلف مهمّة سياسية لدى الخليفة الأموي، والأخيرة سنة ١٤٠هـ إلى بغداد حيث قابل زميله القديم ورفيق دراسته الخليفة أبا جعفر المنصور في موضوع ردع هيمنة الخوارج والصُّفْرِيَّة على مدينة القيروان. وبصفة عامّة التقى ابن زياد في رحلاته هذه أشهر علماء عصره في مصر والشام والحجاز والعراق والكوفة حيث زامل أبا جعفر المنصور العباسي (ت:١٥٨هـ)، وتتلمذا معًا. وكان أبو جعفر يومئذ يأخذه معه إلى بيته، مقربًا إياه. وذكّره ابن زياد بذلك لما تولّى الخلافة، واعظًا ومرشدًا فقال له: «أتذكر يا أمير المؤمنين، يوم أدخلتني منزلك بالكوفة وقدمت إلي طعاماً ومُريقة من حبوب لم يكن فيها لحم، ثم قدّمت زبيبًا، ثم قلت: يا جارية عندك حلوى؟ قالت: لا؛ قلت: والتمر؟ قالت: لا، ولا التمر، فاستلقيت، ثم تلوت: *قال عسى ربُّكم أن يُهلكَ عدوَّكم ويستخلفَكُم في الأرض فينظرَ كيف تعملُونَ*. الأعراف:١٢٩؛ فقد - والله - أهلك عدوّكم واستخلفكم في الأرض، ما تعمل؟ قال: فنكس أبو جعفر رأسه طويلاً، ثم رفعه وقال: كيف لي بالرجال؟(٤) قلتُ: أليس عمر بن عبدالعزيز كان يقول: إن الوالي بمنزلة السوق يجلب إليها ما ينفق فيها، فإن كان برًا أتوه ببرّهم وإن كان فاجراً أتوه بفجورهم، فأطرق المنصور طويلاً، فأومى إليّ الربيع أن اخرج، فخرجتُ من ساعتي»، وأمر المنصور بعد حين بتجهيز جيش عرمرم بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي (ت:١٤٩هـ) أرسله إلى إفريقية لإنقاذها وتدارك أمرها فسار إليها في أربعين ألف مقاتل سنة ١٤٢هـ؛ وهو أول جيش خرج للمسوّدة نحو المغرب(٥).


حسن حسني عبد الوهاب

وفي هذه السفرة، سمع من عبدالرحمن بن زياد جماعة من كبار أصحاب أبي حنيفة النعمان بن ثابت (ت:١٥٠هـ)، كما سمع منه سفيان الثوري (ت:١٦١هـ) للمرة الثانية، وزكريا بن أبي زائدة (ت:١٤٨هـ) وغيرهم. وكان من عمل القائد ابن الأشعث عند وصوله إلى القيروان أن أعاد عبدالرحمن بن زياد إلى منصب القضاء بأمر من الخليفة المنصور سنة ١٤٤هـ؛ فاستأنف ابن زياد سيرته العادلة بين الناس في تواضع وإخلاص، وأقبل على نشر العلم بين طبقات المتعلمين(٦). إذًا، تلقى ابن زياد العلم عن وجوه العلماء، فسمع بمصر عن كثير من أهلها، ومن بها من التابعين مثل زياد بن أنعم الحضرمي؛ وفي الشام سمع الحديث من عبادة بن نسي (ت:١١٨هـ)؛ كما سمع من كبار محدّثي الكوفة. وبصفة عامة، فقد كثر شيوخه، وجلّهم من التابعين المعروفين بالرواية، إذ وصل عددهم إلى قرابة الثلاثين شيخًا. ومن طريق هؤلاء جميعًا، تشرب ابن أنعم علوم الحديث ومصطلحه، رواية ودراية، وعلوم القرآن الكريم، واللغة العربية، وأصبح من كبار العلماء حتى وصفه الإمام الذهبي في «سير أعلام النبلاء» ٤١١/٦ بالإمام القدوة، شيخ الإسلام ومحدّث إفريقية على سوء حفظه (٧). وظهر على ابن زياد النبوغ والفطنة وملكة الحفظ، فكان شديد الإقبال على التحصيل في جميع رحلاته، سواء بتونس أو في بلاد الشرق حتى نال حظًا وافرًا من علوم الإسلام جميعًا.

هذا، وروى عنه علماء أجلاء مشرقًا ومغربًا. ومن أشهر هؤلاء الذين أخذوا عنه علوم الحديث رواية: يحيى بن سعيد القطان بالكوفة (ت:١٩٨هـ)، وعبدالله بن المبارك (ت:١٨١هـ)، وسفيان الثوري بمكة، وعبدالله بن لهيعة (ت:١٧٤هـ)، وعبدالله بن وهب بمصر (ت:١٩٧هـ) وغيرهم. ولمّا عنّ له الرجوع إلى بلده، أرسل بهذه الأبيات الشعرية من العراق إلى القيروان معبرًا عن حنينه إلى أهله وذويه وموطنه، قال:

ذكرتُ القيروانَ فهاجَ شوقي
وأين القيروانُ من العراقِ؟
مسيرةُ أشهرٍ للعِيسِ نصّا
على الخيلِ المضمَّرةِ العِتاقِ
فبلِّغ أنعُمًا وبني أبيه
ومن يُرجى لنا وله التلاقي
بأنّ الله قد خلّى سَبيلي
وجدَّ بنا المسيرُ إلى مَزَاقِ(*)

منهجه وأثره العلمي بإفريقية

لمّا رجع ابن زياد إلى إفريقية - القيروان - تصدّر للعطاء ونشر العلم بين أبناء عشيرته وأهل بلده في مساجد القيروان ومجالسها، وخاصة في مسجد عقبة بن نافع؛ واتسعت حلقته وكثر طلابه وتلاميذه، حتى وصل عددهم إلى ما يربي على الإثنين والأربعين تلميذًا، أخذوا عنه الحديث الشريف. ثم كثرت مروياته وتدوينه للحديث النبوي، فدوّن له كتابين، تضمنا أكثر من خمسمئة حديث، رواها عنه أهل القيروان(٨). وخرّج له أصحاب الصّحاح وكتب السنن، وأهل الحديث عمومًا، مثل الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ) في الأدب المفرد؛ وفي أفعال العباد، وأبو داود (ت:٢٧٥هـ) والترمذي (ت:٢٧٩هـ) وابن ماجه (ت:٢٧٣هـ) والإمام أحمد بن حنبل (ت:٢٤١هـ) في مسنده، والدارمي، والطبراني في الكبير، وابن وهب في جامعه وغيرهم. لكن ابن زياد، على علمه الغزير بالحديث الشريف، فقد وثّقه الكثير من العلماء، وجرحه آخرون من نقاد هذا العلم، وأنكروا عليه وطعنوا في روايته، خاصة في تلك الأحاديث المتعلقة بفضل إفريقية ومدنها وأهلها. وقد اتفق العلماء والدارسون والباحثون من المعاصرين على فضله الكبير في إرساء أسس مدرسة القيروان العلمية السنية المالكية في بداياتها الأولى، والتي تطورت فيما بعد على أيدي أسد بن الفرات (ت:٢١٣هـ)، والإمام سحنون (ت:٢٤٠هـ)؛ ولم تقتصر علومه على الفقه والحديث

www.ahlaltareekh.com

الشريف، حسب؛ بل ناضل مجاهداً وتصدى لضلالات الفرق المبتدعة ومذاهبها الهدامة، ولاسيما الخوارج والصفرية الذين داهموا القيروان في حياته وفي عهد عطائه. وتذكر المصادر التاريخية أن أول داعية للصفرية بالقيروان هو عكرمة(ت:١٠٥هـ) مولى ابن عباس الذي دخلها في مطلع القرن الثاني الهجري، ودرس بجامع عقبة، واتصل به بعض رؤساء القبائل خفية، ومن أشهرهم ميسرة المطغري، الذي تزعم الصفرية بعد ذلك؛ وإنه هو الذي أعطى إشارة الانطلاق لثورات البربر ضد العرب سنة ١٢٢هـ. وفي سنة ١٤٠هـ استولى الصفرية على القيروان، فاستباحوها وعاثوا فيها فساداً حتى ربطوا دوابهم في الجامع الكبير. واستمر دعاة الصفرية هؤلاء في نشر أفكارهم بالقيروان إلى وقت متأخر من ذلك القرن. ولكن أهل البلاد لم يبقوا مكتوفي الأيدي؛ بل ازدادوا تمسكاً بالنصوص الشرعية، ووقفوا عندها، ذائدين عن دينهم الحنيف، ونفروا من كل دعوة منحرفة ورفضوها. ونتيجة لذلك، لم تستطع المذاهب المخالفة والمارقة عن مذهب أهل السنة والجماعة أن تعمر طويلاً في هذه البلاد، فما تكاد تطفو على السطح حتى يلتف حولها الوعي السني فيدحرها ويفل أسلحتها(٩).

ومن المعروف أن القيروان قد عانت الكثير من التخريب والتهديد على أيدي المنحرفين والمبتدعين الذين توافدوا عليها هروباً من بلدانهم وخوفاً من مضايقة السلطة لمبادئهم وأفكارهم؛ مما دفعهم إلى الالتجاء إلى الأراضي البعيدة والقاصية، فكانت إفريقية مسرحاً لمثل هذه النحل والملل، فتصارعت وتنازلت، وأثرت كثيراً في أهل البلاد، وتسربت إلى بعض القلوب وأمالتها، خاصة من بين البربر الذين ضاقوا ذرعاً بمعاملة بعض الولاة لهم؛ ثم من نتائج العصبية القبلية العربية. لذلك وجد الخوارج عامة والصفرية خاصة المناخ مواتياً، فاستمالوا قبائل البربر إلى جانبهم ضد الحكم العربي في القيروان. وأمام هذا الوضع، قام العلماء والمفكرون من أهل القيروان مثل ابن زياد للتصدي والوقوف لهذه الأفكار الهدامة ودرئها وتجنبها بكل وسيلة، فاستعمل منهج التربية والتعليم لترسيخ مبادئ الدين الحنيف السليم، وتفقيه النشء وتعليمهم وتربيتهم على المنهج الإسلامي الصحيح. ويلخص

لم تقتصر علوم عبدالرحمن بن زياد على الفقه والحديث الشريف؛ بل ناضل مجاهداً وتصدى لضلالات الفرق المبتدعة ومذاهبها الهدامة ولاسيما الخوارج والصفرية

العلامة حسن حسني عبدالوهاب رأيه في عمل ابن زياد ومنهجه المتين وفضله الكبير من أجل المسلمين في هذه الربوع، فيقول: «...إن من تتبع سير العلوم الإسلامية في إفريقية خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة، يرى المنزلة العظيمة والمكانة الكبيرة التي نالها - بحق - عبدالرحمن بن زياد، فإنه بذل من المساعي لنشر التعليم وبث اللغة وآدابها وتقاليد العرب وأخلاقهم، ماجعله في مقدمة كبار المربين المرشدين لأبناء البلاد من سلالة العرب والبربر، بلا ميز ولا فرق حتى إنك لا تجد أحداً من علماء إفريقية في ذلك العصر لم يحمل العلم عنه»(١٠).

ثناء العلماء عليه

لقد أثنى العلماء، مشرقاً ومغرباً، على العلامة القيرواني عبدالرحمن بن زياد المعافري، ثناء كبيراً، ذاكرين فضله وجهوده الواضحة لدعم الإسلام وإرساء قواعده في ذلك الوقت المبكر، في ربوع إفريقية التي عانت الكثير من الوثنية وعقائد أهلها الفاسدة، ومن أفكار الأديان الأخرى كالنصرانية واليهودية قبل حلول الإسلام؛ إذ عمل الروم والبيزنطيون واليهود طويلاً على إخضاع سكانها إلى نحلهم ومذاهبهم. ومن هؤلاء العلماء نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- قال ابن عبد البر القرطبي (ت:٣٣٨هـ): «من أهل مصر وإفريقية والمغرب، يثنون عليه بالفضل والدين والعقل، وهم أعلم به من سواهم».
- قال عبدالله بن محمد المالكي (ت: بعد٤٥٣هـ)، صاحب رياض النفوس: «كان من جلة المحدثين، منسوباً إلى الزهد والورع، صلباً في دينه».
- قال الإمام محمد بن أحمد الذهبي (ت:٧٤٨هـ): «كان سفيان الثوري يعظمه ويعرف حقه».
- قال عبدالرحمن بن محمد الدباغ (ت:٦٩٦هـ) في معالم الإيمان: «كان من جلة العلماء العاملين، ذا زهد وورع وصلاح».
- قال يعقوب بن شيبة: «رجل صالح من الآمرين بالمعروف».
- وثقه أحمد شاكر توثيقاً متيناً، وأكد ذلك في كل موضع ذكره فيه، في تعليقه على سنن الترمذي والمحلى لابن حزم: «أما عبدالرحمن بن زياد بن أنعم فإنه ثقة، ومن ضعفه فلا حجة له».
- قال محمد بن سحنون (ت:٢٥٦هـ): «قلت لسحنون (ت:٢٤٠هـ): إن أبا حفص عمرو ابن علي الفلاس (ت:٢٤٩هـ) قال: ماسمعت يحيى بن سعيد (ت:١٩٨هـ)، ولا عبدالرحمن بن مهدي اللؤلؤي (ت:١٩٨هـ) يحدثان عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم، فقال لي سحنون: لم يصنعا شيئاً، عبدالرحمن ثقة».

وفي أواخر أيامه، توجه ابن زياد إلى مدينة تونس سنة ١٥٦هـ، وأقام بها يدرس وينشر العلم بين القيروان وتونس إلى أن أتاه أجله، فتوفي في شهر رمضان سنة ١٦١هـ، ودفن بباب نافع بتربة أبيه، بالقيروان.

ذلك هو الرجل العظيم، ذو الفضل الكبير على أهله وبلاده، يعد بحق رجلاً كبيراً من رجالات العلم الإسلامي بالقيروان في عصره، وكل الذين جاؤوا بعده، تبع له، وتلاميذ له في سيرته وسلوكه وعمله، وهو من الذين تركوا علماً غزيراً في بلاد المغرب، تناقلته الأجيال عقب الأجيال، وكان مثالاً يحتذى وقدوة يقتدى به؛ رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عنا خير الجزاء ونفعنا به وبعلمه إلى يوم الدين.

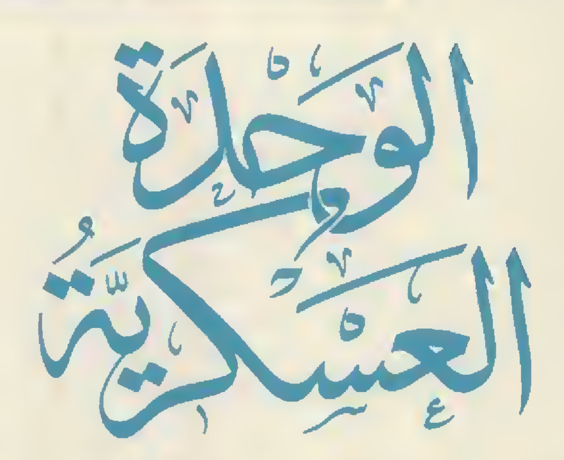
الهوامش:-

١- كتاب: العمر: ٢٢٦/١/١.
٢- طبقات أبي العرب ٩٩.
٣- الإمام المازري ١٠.
٤- كتاب: العمر: ٢٢٢/١/١.
٥- رياض النفوس: ١٥٥/١-١٦٠.
٦- المراجع السابقة/ ن. الصفحات.
(ه) المزاق: وسط إفريقية قديماً.
٧- مدرسة الحديث: ١/ ١١٦، ١١٧ ومابعدهما.
٨- طبقات أبي العرب: ٩٥-١٠٠ ومابعدها.
مدرسة الحديث: ٦١٧/٢ ومابعدها.
الرياض: ١٥٢/١ ومابعدها.
٩- مدرسة الحديث: ١/ ٦٠ ومابعدها.
١٠- كتاب: العمر: ١/١/ ٢٢٥.

المراجع:

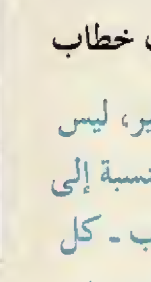
١- حسن حسني عبد الوهاب: كتاب العمر: الجزء الأول من المجلد الأول: ط.١ - دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٩٩٠م
الإمام المازري: ط١ - دار الكتب الشرقية - تونس ١٩٥٥م.
٢- الحسين بن محمد شوّاط: مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري - ط١ - (جزآن) - الدار العالمية للكتاب الإسلامي - الرياض ١٤١١هـ.
٣- أبو العرب محمد بن تميم القيرواني (ت:٣٣٣هـ/ ٩٤٤م): طبقات علماء إفريقية وتونس - الدار التونسية للنشر/١٩٦٨م.
٤- أبو بكر عبدالله بن محمد المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية - الجزء الأول - ط١- دار الغرب الإسلامي - بيروت ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

www.ahlaltareekh.com



في التاريخ العربي الإسلامي

اللواء الركن/
محمود شيت خطاب



القاعدة الثابتة التي لا يمكن أن تتغير، ليس بالنسبة إلى العرب وحدهم، بل بالنسبة إلى شعوب العالم كلها، هي أن الشعب - كل شعب - لا يكون قويًا ما لم يكن موحد الصفوف والأهداف. ولم نسمع بأمة من الأمم استطاعت أن تكون قوية، لها مكانة مرموقة بين الأمم، وهي متفرقة الصفوف والأهداف.

الوحدة تجعل من الأمة قوة ضاربة لا تُغلَب من قلة أبدًا، والفرقة تجعل من الأمة غُثاءً كغثاء السيل لا قيمة لها في حرب ولا في سلام. ولو أردنا أن نضرب الأمثال من الأمم غير العربية لضاق بنا المقام ولاحتجنا إلى مجلدات، وحسبنا أن نذكر أن ألمانيا وإيطاليا مثلاً، كانتا قبل الوحدة مستعمرتين تارة للنمسا ولفرنسا تارة أخرى، ولكنهما أصبحتا بعد الوحدة دولتين من الدول العظمى، وقد استطاعتا أن تفرضا على الدول احترامهما بعد الوحدة وهددتا العالم كله بسيطرتهما القاهرة خلال النصف الأول من الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩-١٩٤٢م).

والولايات المتحدة الأمريكية نفسها كانت مستعمرة كبيرة من مستعمرات بريطانيا، ولكنها بالوحدة استطاعت أن تنال استقلالها أولاً، وأن تتضخم قوتها بعد ذلك حتى أصبحت أقوى وأعظم مكانة من بريطانيا سيدتها أمس.

وقد كان للعرب دول محلية قبل الإسلام: في اليمن السعيد، وفي العراق، وفي سورية، عاشت فترة من الزمن ولكنها لم تترك أثرًا ذا قيمة عالمية، كما فعل العرب بعد الإسلام. وكان الموقف العربي قبل الإسلام يتلخص بما يلي:

اليمن السعيد فيه نفوذ للأحباش والفرس، وفيه قبائل مستقلة - خاصة في الجبال - عن هذين النفوذين.

وفي العراق دولة المناذرة، خاضعة للفرس، وفي الشام دولة الغساسنة خاضعة للروم، وفي الجزيرة عرب خاضعون للروم، وفي نجد والحجاز قبائل عربية كل قبيلة مستقلة عن الأخرى. كان العرب حينذاك في جاهلية فكرية، وفي جاهلية استعمارية، وفي جاهلية عصبية، وفي جاهلية دينية، وفي جاهلية التمزق والتفرق والتناحر والاختلاف.

وجاء الإسلام، فوحَّد صفوف العرب وجمع كلمتهم وحدد أهدافهم، فأصبحوا في شبه الجزيرة العربية صفًا واحدًا يعملون بقيادة واحدة هي قيادة الرسول القائد عليه أفضل الصلاة والسلام؛ فلم يلتحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى حتى كان عرب شبه الجزيرة العربية - التي تتصل بتخوم أرض الشام ومشارف العراق من الشمال، وبالبحر الأحمر من الغرب، وبالمحيط الهندي من الجنوب، وبالخليج من الشرق - وحدة تحت لواء الإسلام.

وارتدَّ قسم من العرب بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه حتى استطاع أن يعيد الوحدة إلى شبه الجزيرة العربية، وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها متنفسًا في الفتح الإسلامي العظيم.

وفي أواخر أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه توجهت طلائع الفتح الإسلامي إلى العراق وأرض الشام فاستطاع المثنى بن حارثة الشيباني وخالد بن الوليد رضي الله عنهما أن يربحا معارك كثيرة في العراق، كما استطاع جيش المسلمين في اليرموك أن يربح معركة حاسمة في أرض الشام.

وارتفع مد الفتح الإسلامي ارتفاعًا مذهلاً في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فاستطاع قادة الفتح الإسلامي في أيامه فتح العراق والجزيرة وأرض الشام ومصر وشطر من بلاد فارس.

وبقي مد الفتح الإسلامي عاتيًا في النصف الأول من حكم عثمان بن عفان رضي الله عنه، فلما نشب الشغب في النصف الثاني من حكمه بين المسلمين توقف الفتح، واستطاع الفرس استعادة قسم من بلادهم في خراسان من المسلمين.

وبقي الفتح الإسلامي مجمدًا في أيام الفتنة الكبرى، بل أصبحت البلاد الإسلامية مهددة بالغزو من الروم، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم إلى بلاد الشام، وخاف معاوية بن أبي سفيان أن يشغله ذلك عما يحتاج إلى تدبيره، وإحكامه، فوجه إلى الروم وصالحهم على مئة ألف دينار. وهكذا أصبح الطالب مطلوبًا بفعل التمزق والتفرق والانقسام. وحين استتب الأمر لمعاوية أغزى

www.ahlaltareekh.com

أمراء الشام على الصوائف فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة. عند ذلك طلب قيصر الروم الصلح على أن يضاعف ما يقدمه للمسلمين من مال، فلم يجبه معاوية إلى طلبه. واستأنف الفتح الإسلامي سيره المتدفق في الشرق والغرب بعد أن وضعت الفتنة الكبرى أوزارها فاستعاد العرب المسلمون سجستان، وفتحوا كابل، كما اجتازت رايات المسلمين نهر جيحون ففتحوا بخارى وسمرقند وترمذ، كما فتح عقبة بن نافع تونس، واختط القيروان وسكن المسلمون إفريقية، وأسلم البربر واتصل الإسلام ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسي.

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية، وهناك توفي أبو أيوب الأنصاري صاحب رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا يزال قبره محفوظًا مشهورًا إلى اليوم. وكان هذا الفتح كله بفضل الوحدة أيضًا.

وبعد معاوية بن أبي سفيان بدأت الفتن الداخلية: باستشهاد الحسين بن علي رضي الله عنهما، وحركات المختار بن أبي عبيد الثقفي، وبعده مصعب بن الزبير، وثورة الخوارج، وثورة عبدالله بن الزبير.. إلخ. فاضطربت أمور العرب المسلمين وتفرقت كلمتهم؛ فكان من نتيجة ذلك أن الروم استعادوا إفريقية من المسلمين، كما استطاع قيصر القسطنطينية أن يهدد بلاد الشام، فاضطر عبدالملك بن مروان إلى عقد هدنة مع الروم. وفي المشرق توقف الفتح الإسلامي تمامًا واستعاد الفرس من المسلمين خراسان وسجستان.

وبعد حروب دامية استطاع عبدالملك بن مروان أن يعيد الوحدة عام ثلاثة وسبعين للهجرة فأرسل حسان بن النعمان الغساني لاستعادة إفريقية، ففتح قرطاجنة وأتم تحرير المغرب العربي من الروم.

وفي سنة ثلاث وسبعين للهجرة، وهو عام الوحدة، عيّن عبدالملك أخاه محمد بن مروان واليًا على الجزيرة وأرمينية، وقطع النقود التي كان يرسلها للروم لقاء سكوتهم على حرب المسلمين، واستطاع المسلمون سنة أربع وسبعين للهجرة الانتصار على الروم وتوغلوا في بلادهم. وفي سنة ثمان وسبعين للهجرة استعاد المسلمون خراسان وسجستان وفتحوا مدنًا أخرى، واستطاع موسى بن نصير فتح المغرب الأقصى وفتح طنجة وغزا صقلية وفتح الأندلس وكان ذلك كله بفضل الوحدة.

وبعد الوليد بن عبدالملك توقف الفتح الإسلامي حتى سنة انهيار الدولة الأموية وهي سنة اثنتين وثلاثين ومئة للهجرة، حيث بدأت صفحة الدولة العباسية في التاريخ. بعد سنة من مولد الدولة العباسية، أي سنة ثلاث وثلاثين ومئة للهجرة، استطاع الروم الانتصار على المسلمين في «ملطية» واستعادوها منهم فهدموا المدينة والجامع وأجلوا المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة في هذه المدينة. توالت الفتن والمشكلات منها طائفية ومنها سياسية؛ لعل أعظمها كان انفصال الأندلس سنة تسع وثلاثين ومئة عن الدولة العباسية، فأصبحت الدولة الإسلامية الواحدة دولتين: دولة في المشرق ودولة في المغرب. وكانت الدولتان قويتين في ابتداء أمرهما، ولكن استقلال الأمصار عنهما بالتدريج أدى، في النهاية، إلى سقوط الدولة العباسية بيد التتار وخروج العرب من الأندلس واستيلاء الصليبيين على قسم كبير من سورية ولبنان وفلسطين وشمال إفريقية.

ومر على العرب فترة كان لهم في كل بلد دولة، وهذا التفرق هو الذي أدى بهم إلى الضعف والهوان؛ فطمع ببلادهم الصليبيون وغير الصليبيين، ولولا نورُ الدين الشهيد ومن بعده صلاح الدين اللذان جاهدا من أجل الوحدة ووحّدا من أجل الجهاد لما استطاع العرب استعادة القسم الأكبر مما اغتصبه الصليبيون من بلادهم.

وبقي العرب ضعفاء لتفرقهم مُسْتَعْبَدين لغيرهم من الأمم حتى انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٨م؛ فاحتل المستعمرون بلادهم، وأقاموا الحدود والسدود بين الأقطار العربية، وشجعوا الروح الإقليمية والطائفية على مبدأ (فَرِّق تَسُد)، وأشاعوا الانحلال الخلقي، ونشروا المبادئ الوافدة، وجعلوا العرب يشيحون بوجوههم عن تراثهم العريق، وعمقوا في عقولهم آثار الاستعمار الفكري البغيض.

ثم خلقوا إسرائيل في بقعة من بقاعنا المقدسة؛ لتكون قاعدة ضخمة لهم يعتمدون عليها في أيام السلام والحرب. لقد قدَّر المستعمرون أن العرب لن يقوا في سبات عميق إلى قيام الساعة، ولمسوا بحق عزم العرب على أخذ حقوقهم كاملة من المستعمرين، فخلقوا إسرائيل لتكون عونًا لهم على إضعاف العرب، واستنزاف طاقاتهم المادية والمعنوية كلما أرادوا تطوير بلادهم والتحرير والانطلاق من ربقة الاستعماريين القديم أو الجديد. كانت إسرائيل قاعدة الاستعمار في الشرق الأوسط في أيام السلام، لأن العرب مضطرون إلى تقوية جيوشهم عددًا وسلاحًا، وهذا يحتاج من المال الوفير والجهد المضني ما كان العرب في أمسّ الحاجة إليهما لتطوير بلادهم لولا وجود إسرائيل.

وإسرائيل قاعدة للاستعمار في الشرق الأوسط في أيام الحرب، لأن الاستعمار يزودها بالسلاح وبالخبرات الفنية لتكون قوية دائمًا قادرة على ضرب الدول العربية التي تخرج عن مصالح الاستعمار وتعمل من أجل بلادها ومصالحها العليا. وهي قاعدة الاستعمار أيضًا في حالة نشوب حرب عالمية ثالثة بين الشرق والغرب، لذلك فمن مصلحة الاستعمار أن تكون إسرائيل قوية وأن تتوسع على حساب البلاد العربية.

إن الاستعمار الذي خرج من باب الدول العربية دخل إلى الشرق الأوسط من نافذة إسرائيل، لهذا دأب المستعمرون على الادعاء بأن إسرائيل خُلقت لتبقى، ذلك لأن بقاءها من مصلحة الاستعمار، والاستعمار، كما هو معلوم، مسيطر سيطرة كاملة على الهيئات الدولية، وعلى مجلس الأمن وهيئة الأمم المتحدة بالذات، فلا مجال للعرب أن يأخذوا حقوقهم بالوسائل السياسية في أروقة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، أو في المجالات السياسية الأخرى، وعلى ذلك لم يبق أمام العرب غير طريق واحد هو أن يأخذوا حقوقهم بالقوة، وبالقوة وحدها.

وسبيل القوة هي الوحدة، والوحدة العسكرية على الأخص بين العرب، أقولها صريحة واضحة:

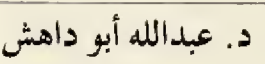
إذا لم يضع العرب الوحدة العسكرية العربية في حيز التنفيذ فورًا، فإنهم بعد سنوات سيكونون عبيدًا في بلادهم أو لاجئين خارج بلادهم.

وقد أعذر من أنذر.

فسبيل الوحدة العسكرية هي السبيل الوحيدة لقوة العرب، وقد حطم الاستعمار وإسرائيل إمكانية هذه الوحدة بالمحاولات السلمية الكاذبة التي تجري والتي حصل فيها الإسرائيليون على كل شيء وخسر العرب كل شيء. فإلى الوحدة التي تؤدي إلى القوة بإذن الله. ولعن الله إسرائيل ومن وراءها من دول الاستعمار، والله الموفق للخير.

www.ahlaltareekh.com

ابن عمر الضمدي وهمومه الإسلامية


د. عبدالله أبو داهش

يكاد القرن العاشر الهجري وما بعده بقليل، في المخلاف السليماني بتهامة، يتميزان من سواهما من القرون الإسلامية الوسيطة بكثرة الشعراء وشهرتهم، إذ حفظت لنا المصادر المحلية وغيرها عدداً من الشعراء البارزين من أمثال: محمد بن علي بن عمر الضمدي (٨٨٣- ٩٩٦هـ)، والجرّاح بن شاجر بن حسن السليماني الحسني الجازاني (القرن العاشر الهجري)، وسالم بن محمود الجازاني، والقاسم بن قنبر الضمدي، والمقبول بن صديق بن الدهل بن صديق الحكمي (٩٤٩هـ)، وشمس الدين أحمد ابن علي المعافَى الحسني (٩٩٩هـ)، وصديق بن الدهل الحكمي (٩٥٢هـ)، وأحمد بن مقبول بن عمر الأسدي (١٠٢٣هـ)، ومحمد بن صديق الحكمي (٩٢٦-٩٧٧هـ)، وعلي بن صديق الحكمي (٩٨١هـ)، وعمر بن عبدالقادر الحكمي (٩٥٣- ٩٨١هـ)، والمدير الشماخي، ومحمد بن الحسن النعمي (٩٩٩هـ)، ومحمد بن عيسى الظفاري (١٠٢٧هـ)، وغيرهم ممن أسهموا في بناء الحياة الأدبية بالمخلاف السليماني. والذي يجب قوله هنا: إن هؤلاء الشعراء، على كثرتهم، كانوا يتفاوتون في قدراتهم الشعرية، فقد كانت الروح الشعرية، وما يتصل بها من دواعي الإبداع الأدبي، تتحقق - على سبيل المثال - في شعر الجراح ابن شاجر الذروي، على حين تقل أو تنعدم عند بعض الشعراء الآخرين.

أما القاضي محمد بن علي بن عمر الضمدي، فقد كان، إلى جانب شهرته العلمية، يشارك بشيء من عطائه الشعري، وإسهاماته الأدبية، غير أنه كان كثير الاشتغال بهموم المسلمين، ومشكلاتهم. يقول أحد الباحثين: «وفي عهد الشاعر العلامة ابن عمر ساءت أحوال إقليم جازان، وتعاقب عليه بعض الحكام الذين عُرفوا بجورهم، واضطرمت الفوضى في عهدهم»(١)؛ مما جعله يبسط شكواه في إحدى قصائده، ويعبر عن مشاعره تجاه تلك الأحداث، فيقول:

أرى ظلمات الأرض(٢) قد عمّت الأرضا
ولم أر(٣) منقاداً إلى العمل الأرضى
وبين قلوب المسلمين تنافر
وقد ألقيت(٤) فيها المودة والبغضا
وقد أبرمت للجور منهم ضرائر(٥)
ولم يق(٦) فيهم(٧) من يروم لها نقضا
تعادوا وأذكَوا(٨) جمرة الحقد بينهم
وخلّى(٩) لأهل الكفر بعضهم بعضا
ولبّت عتوا داعيَ الفحش والخنا
فما منكر(١٠) إلا أتت نحوه ركضا
تعدّت حدود الله جهراً وأصبحت
ترى كل ما تأتيه من منكر فرضا(١١)
وخالفت النهج السّوي(١٢) وشوهت
من السنّة البيضاء منظرها البضّا

www.ahlaltareekh.com

ومـا رُفعت في الـشرق والغـرب راية(١٣)

لديـن الهـدى إلا أرادت لـهـا خـفـضـا

فـبـعـدًا لـهـا مـن فـرقـة أولعت بما

يـبعد عـن من يملك الـبسط والقـبـضا(١٤)

وقد شفّني(١٥) ألا أرى(١٦) منكرًا لها(١٧)

ولا صـارمًـا لله في حـربهـا يمضي(١٨)

وإنـي أرى(١٩) أحـوال أهل زمـانـنا

وأفـعـالهـم تـنفي عن المقل الغـمـضـا

إذا سـمعـوا نصح الـنصـوح(٢٠) تـظاهروا

على ردعـه واسـتـهـجنوا نصـحـه المحـضا

إذا(٢١) دلهم يومًا(٢٢) على الخـيـر مرشـد

تواصـوا على الإعـراض عـمن لهم حـضّا

وقـد فـرض الله الجـهـاد عليـهـم

فـأصـبح حق الفـرض عندهم الرفـضـا

ومـا عـذر الرحـمن عـن خُلف من عـتـا

عن الحق إلاّ الـعُـميَ والعُـرجَ والمرضى(٢٣)

وخـالطـهم جُبنٌ فـلا ذو شـجـاعـة

يجـاب ولا حق بهـم للعـلا يُقـضى(٢٤)

أمـا ناصـر لله يشـهـر سـيـفـه

ولا ثـائر لـلـه يغـضـب كـي يـرضى

يُمـيت رسـومًـا للضـلالة أُحـيـيت

ويهـدم من بنيـانهـا الطول والعـرضـا

ويشـفـي قلوب المسلمين بـعـزمـة

بفضّ جـمـوع المعـتـدين بهـا فـضّـا

إلـى الله أشكـو(٢٥) غـربـة الدين إنني

أرى(٢٦) كلّ مـدعـو(٢٧) لنصرتـه أغضى

وإن ولاة(٢٨) السـوء(٢٩) صـارت كـأنهـا

سبـاع ضوار(٣٠) في الورى(٣١) تكثر العـضا

ومن فـرّ من ضـعف تلقّاه ضـعـفُـه(٣٢)

وكـان كـمن بالنّار لاذ من الرّمـضـا

عسى غـارة(٣٣) من مـالك الملك لا ترى(٣٤)

لبـارقـهـا من قـبل صَـيِّـبـهـا ومـضـا

مـعـجلة في لحـة الطرف ينطفي(٣٥)

بهـا ألمّ نيـرانه في الحـشـا محـضـا

ويسـودّ منهـا وجـه كـل ضـلالة(٣٦)

ويضـحي بـهـا وجـه الهـداية مـبـيـضـا

ويـنفض ثوب الـذل من كـان لابسًـا

له مـسـتـضـامًـا لا يروم له نقـضـا(٣٧)

ويبدو أن هذه القصيدة كانت أطول مما تمّ إيراده منها لقول عاكش، وقد استشهد ببعض أبياتها في رسالة بعث بها لأحد أصدقائه، إذ قال: «هذا ما كتبته في صدر الرسالة المكتوبة إليه، وهي خلاصة القصيدة، وإلاّ فهي أكثر من هذا»(٣٨). ولقد نالت هذه القصيدة أيضًا حظوة، مما دعا أحدهم، وهو السيد أحمد بن هاشم المؤيد إلى معارضتها بقصيدة قال في طالعها:

ألا هل لميـمـون الخليـقـة والأرضـا

ومن يطرق البـدر المنيـر له الأرضـا(٣٩).

مما يشير إلى اشتغال ابن عمر الضمدي ـ رحمه الله تعالى ـ بهموم زمانه، وما يتصل منها بعقيدته ومنهج أمته.

الهوامش:

١ـ علي بن محمد أبو زيد الحازمي، «من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد»، ٣٠.
٢ـ كذا في «عقود الدرر»، وفي المرجع السابق: «الظلم».
٣ـ في عقود الدرر: «ألا».
٤ـ في عقود الدرر: «ألقت».
٥ـ في عقود الدرر: «مرائره».
٦ـ في عقود الدرر: «يبقى».
٧ـ زيادة في «من رجال العلم».
٨ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «واذكروه».
٩ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي عقود الدرر: «خلا».
١٠ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «منكرًا»
١١ـ لم يرد هذا البيت في مخطوط: «عقود الدرر».
١٢ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي عقود الدرر: «المسموي».
١٣ـ في: «من رجال العلم: «دابة» وهو خطأ.
١٤ـ لم يرد هذا البيت والذي قبله في مخطوط «عقود الدرر».
١٥ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقد الدرر»: «سفني».
١٦ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «أراه».
١٧ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «لذا».
١٨ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «يمضاه».
١٩ـ كذا في: « من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «أراه».
٢٠ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «النصحواه».
٢١ـ في «عقود الدرر»: «وإذا»، وفي «من رجال العلم»: «وان».
٢٢ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «يوم».
٢٣ـ لم يرد هذا البيت في «عقود الدرر».
٢٤ـ لم يرد هذا البيت أيضًا في «عقود الدرر».
٢٥ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «أشكواه».
٢٦ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «أراه».
٢٧ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «مدعواه».
٢٨ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «ولات».
٢٩ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «السو».
٣٠ـ كذا في: «عقود الدرر»، وفي «من رجال العلم»: «ضواري».
٣١ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «الوراه».
٣٢ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «ضعيفه».
٣٣ـ انظر: «الغارة» لأحمد بن موسى بن عجيل، تحقيق عبدالله أبو داهش، ٢٣.
٣٤ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «تراه».
٣٥ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «منطفي».
٣٦ـ كذا في: «من رجال العلم»، وفي «عقود الدرر»: «ظلالة».
٣٧ـ الحسن بن أحمد عاكش: «عقود الدرر»، ١٩، وانظر: «من رجال العلم بضمد» لأبي زيد الحازمي، ٣٢ـ٣٤.
٣٨ـ عاكش، «عقود الدرر» ١٩.
٣٩ـ المصدر نفسه، ١٩.

المصادر والمراجع:

أولاً: المخطوطات:
ـ عاكش، الحسن بن أحمد، «عقود الدرر في تراجم علماء القرن الثالث عشر»، توجد منه نسختان مخطوطتان:
(أ) نسخة جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، المكتبة المركزية، الرياض، تحت رقم ١٣٣٤، مخطوط أصلي، تاريخ النسخ ١٣٤٦هـ ـ ١٩٢٧م.
(ب) نسخة مكتبة المؤرخ زبارة الخاصة بصنعاء باليمن، دون رقم.
ثانيًا: المطبوعات:
ـ الحازمي، علي بن محمد أبو زيد، «من رجال العلم في القرن العاشر الهجري بضمد»، ط١، مطبعة دار البلاد، جدة، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

www.ahlaltareekh.com

بول بارتليت

رحلة بين الديانات انتهت بالإسلام

ولد بول بارتليت في مدينة أفينزفيل بولاية إنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية لأبوين يعتنقان المذهب النصراني البروتستانتي، وعاش طفولة عادية لا تختلف في شيء عن طفولة أقرانه؛ فوقته موزع بين الدرس واللعب، أما العبادة فهناك يوم الأحد يذهب فيه إلى الكنيسة بانتظام ليردد، مثل غيره، ما ينشده القس والشماسون.

إحساس داخلي

وفي سن الثانية عشرة بدأت مداركه تتفتح، أحس في داخله بأن هناك شيئًا خطأً في حياته وحياة أسرته، فبدأ - وهو بعد في تلك السن الغضة - رحلته للبحث عن الحقيقة، أو عن الشيء الذي ينقصه، لكنه لم يفكر قط في ترك النصرانية. فذلك أمر لم يكن يخطر على باله آنذاك، بل إنه حين بلغ السادسة عشرة أخذ يحلم بأن يصبح واعظًا في الكنيسة يلتف حوله الناس ليسمعوا مواعظه ويتلقوا بركاته.

سيطر هذا الحلم على تفكير بول حتى دخل جامعة أوريجن وهو في السابعة عشرة من عمره، فبدأ حياته الجامعية وذهنه مشوش؛ إذ لم يكن يدري حقيقة ما يحدث له ولا كنهه، ولا ما يعتمل في صدره من أحاسيس متضاربه من أين تأتي أو كيف؟

وأمضى بول عامًا في الجامعة، وتلك الأحاسيس الغامضة تتفاعل في داخله، حتى أصيب بمرض عصبي نتيجة للتشتت الفكري؛ مما حدا به إلى الشعور بالميل إلى الرهبانية. ولم يكن دافعه لهذا حبه أو تقديره للترهّب، وإنما رغبة في الانعزال عن الآخرين والانفراد بالنفس.

الميل إلى الرهبانية

ظل الميل إلى الترهّب يسيطر على عقل بول وفكره دون أن يقدم على خطوة لترجمته إلى واقع فعلي. وعلى امتداد خمسة عشر عامًا درس فروع الديانة النصرانية وتاريخها ومذاهبها كافة، وقادته دراساته في هذا المجال إلى اعتناق مذهب الإنجلكنز، لكون هذا المذهب يجعل للكنيسة قيادة جماعية أكثر فاعلية وانضباطًا من مذهب البروتستانت الذي كان يعتقده أصلاً.

بعد تخرجه في جماعة الإنجلكنز عام ١٩٦٩م، انضم بول إلى الدير الإنجليكي ليصبح راهبًا، لكنه لم يتحمل أكثر من سبعة أشهر، فخرج من الدير وعاد إلى أوريجن، وهو ما زال يحيا في تشتت عقدي؛ حيث لم يجد في المذهب الإنجليكي بغيته، فتركه عام ١٩٧٢م لينضم إلى أتباع الكنيسة الكاثوليكية، أكبر كنائس العالم وأغناها، التي يقودها بابا روما. ووجدت فيه الكنيسة خامة صالحة لأن يصير قسًا، وبالفعل بدأ يتدرب ليندرج تحت لواء العمل الكنسي.. لكنه لم يجد نفسه في الكاثوليكية، فتركها عام ١٩٧٤م من أجل اعتناق المذهب الأرثوذكسي الشرقي.

أمضى بول سبعة أشهر كاملة في أحد أديرة الكنيسة الأرثوذكسية الشرقية، وكان الهدف من وجوده في الدير أن يتمكن من معرفة هل سيصبح راهبًا أم لا؟ كما التحق بفرع الكنيسة ذاتها في أوريجن، لكنه لم يتمكن من الوفاق مع القسيس فأفكارهما لا تتلاقى.

البوذية بديل من النصرانية

التقى بول - مصادفة - بصديق قديم له في المرحلة الثانوية، وكان اللقاء عام ١٩٧٦م، وعلم من صديقه أنه ترك النصرانية واعتنق البوذية، فبدأ بول في دراسة العقيدة البوذية، وظن أنه وجد مبتغاه، فاعتنق البوذية في أحد معابدها في مدينة دنفر بولاية كلورادو عام ١٩٧٩م.

لم تكن البوذية سوى محطة في رحلة بول من الضلال إلى النور، إذ إنها لم تستطع أن تقنع عقله بصوابها، لما لمس فيها من خزعبلات، فبدأ يفقد إيمانه بها تدريجيًا، ثم بدأ يفقد أيضًا إيمانه بالله، وصار بحاجة إلى زاد روحي يعيد إليه الإيمان المفتقد، وعلم مصادفةً بوجود معبد كمبودي بوذي في واشنطن فتوجه إليه آملاً أن يجد فيه ما يعيد الطمأنينة إلى قلبه.

كان ذلك عام ١٩٨٠م، حيث أمضى بول سبعة أشهر في دير المعبد يترهّبُ على الطريقة البوذية، ولا رفيق له سوى كاهن المعبد الذي اتخذه صديقًا ومعلمًا.

www.ahlaltareekh.com

نور الإسلام

عاد بول بعد ذلك إلى أوريجن وقد كره البوذية وكفر بها، وفي محاولة لإنهاء الصراع في داخله شغل نفسه بالعمل الاجتماعي، وفي خلال ذلك بدأ يسمع عن الإسلام.

كان بول قد قرأ شيئًا قليلاً عن العقيدة الإسلامية، فرغب في التوسع في قراءاته والاطلاع على أصولها، ولتحقيق ذلك اشترى ترجمة لمعاني القرآن الكريم قام بها يوسف علي فقرأها، وحين أراد الاستزادة بحث في دليل الهاتف في بورتلاند أوريجن لعله يجد مسجداً يتعلم فيه مبادئ الإسلام، واهتدى إلى معرفة مسجد صغير، لكنه لم يجد في نفسه الشجاعة للتوجه إليه؛ نظراً للفكرة السائدة التي كانت مطبوعة في ذهنه من الصغر حول الإسلام والمسلمين، وربط الدعايات الكنسية والصهيونية لهما في الأذهان بالعنف والإرهاب.

إشهار إسلامه

حسم بول أمره وتوكل على الله، وتغلب على خوفه، وتوجه إلى المسجد. كان ذلك عام ١٩٨٣م وهناك التقى طلابًا صغارًا دعوه إلى مخيم أقاموه خارج المسجد، حيث قضى معهم عدة ساعات وصلى معهم صلاة العصر. وانتهت الأمسية برغبة جادة منه في دراسة الإسلام، حيث استمر يدرسه مدة عشر سنوات، حتى قر قراره في عام ١٩٩٣م على اعتناق الإسلام، وبالفعل أشهر إسلامه، ليجد ذاته الحقيقية الموافقة للفطرة.

وبول بارتليت يحيا اليوم يدرس القرآن الكريم، ويتعمق في علوم الإسلام شاكراً وحامداً ربه الذي أنقذ روحه وهداه إلى نعمة الإسلام.

مرة ثانية: روبنسن كروزو

نزار نجار

القصة الشائقة المشهورة التي قرأناها ونحن على مقاعد الدراسة، روبنسن كروزو، هذه القصّة ما زالت عالقة في الذّهن.. ما زلت أتصوّر بطلها وهو يتنقل في الجزيرة المهجورة من مكان إلى مكان، ها هنا يجد بقايا مركب محطم، وها هنا يعثر على ما يقيم أوده ويتعيّش منه.. ويمضي الكاتب دانيال ديفو مع بطله المغامر الجسور الذي يستهين بكل الصعاب، ويذلّل كلّ العقبات، يمضي بنا على مهل في تشويق وإثارة. كنّا نقرأ القصة مبهورين، نفتح أعيننا من الدهشة، تتلاحق أنفاسنا من الإعجاب بالمغامر المقدام روبنسن، الذي لا يُقهر أمام العواصف والأنواء، والطبيعة الهوجاء!

وقد زاد من جمال القصّة أنّها نُقلت إلى لغتنا العربية بأيد أمينة بارعة صناع، تعرف ما يثير النشء، ويأخذ باهتمامهم. هذه القصة نُقلت بقلم الراحل كامل كيلاني وهو الرائد المتميز في الكتابة للأطفال والناشئين في العالم العربي. لقد أمضى هذا الكاتب المبدع عمره وهو يشقّ الطريق الوعرة في هذه السبيل. ولو أنصفه الأدب والتاريخ لكان علمًا شامخًا تلهج باسمه الأجيال التي تربّت على قلمه السيّال، وقصصه العذبة.

روبنسن كروزو ليست من ابتكار دانيال ديفو، إنّ القصّة بمجملها مستوحاة من رائعة ابن طفيل الأندلسي (ت:٥٨١): «حيّ بن يقظان». لكن ديفو استطاع أن يوحي بأنّ القصة مبتكرة، إذ رصد لبطلها عالمًا ثرًا من الواقعية الشفيفة، حين نقله إلى جزيرة مجهولة لا اسم لها على خرائط الملاّحين وأرباب البحر، وتركه لقدره، تركه أمام الواقع الذي يمكن أن يلقاه أي إنسان في جزيرة منفية نائية. إنّ الصراع الذي رسمه ديفو صراع من أجل البقاء، إنّه التحدي لجبروت الطبيعة وقسوة الحياة، فلمن تكون الغلبة؟

واليوم، هل تعرفون ما حل بروبنسن كروزو؟ لقد أراد تورنيه - وهو كاتب فرنسي طموح - كتابة القصّة من جديد، تجاوز الأصل (حيّ بن يقظان وابن طفيل) وتجاوز الصّورة (روبنسن كروزو ودانيال ديفو)؛ تجاوز ذلك كلّه، وقلب الأحداث رأسًا على عقب، بل سخر من مغامرات كروزو نفسها! استبدل بها مغامرات خادمه الزنجي «فرايدي»! كانت القصّة الأولى تمثّل انتصار مدنية الغرب على همجية الطبيعة، فجاءت القصّة الثانية تمثّل انتصار الطبيعة على همجية الإنسان.

كروزو في القصّة الثانية يقتنع بمبادئ خادمه البسيطة التي مصدرها نقاء الطبيعة والارتماء في أحضان الجمال، وهذا ما يورث الحبّ والعذوبة والشفافية والصفاء، الارتماء في قلب الطبيعة يشعر بإنسانية الإنسان فيرتفع به، يسمو، يحلّق.. والطبيعة لم تكن إلاّ الأم الحنون، العطوف، الأم الرؤوم التي تفتح ذراعيها لأبنائها، تحتضنهم، تهب لهم من أعطياتها ما تهب.

والكاتب الشاب يستغلّ هذه القصة في السخرية من الغرب.. الغرب الذي أغرقته المادة وأعمته زخارف العصر.. الغرب الذي أدار ظهره لكل الأشياء الجميلة؛ فلم يعد يحسّ بالجمال المسفوح من حوله، جمال الخلق والخالق في كل شيء. ويعرّي الكاتب المدنية الغربية، يعرّي الزيف والتشويه الذي لحق بالحياة الإنسانية وبالقيم الجمالية، ويناقش من خلال هذه القصّة العديد من المذاهب والاتجاهات الفكرية التي هزّت المجتمع الغربي هزًا عنيفًا، ومع ذلك، فلم تستطع أيّ من هذه الاتجاهات أو المذاهب أن تحل مشكلات الإنسان فيها.

الكاتب يدين الغرب بجرأة، يتّهم أبناء جلدته بالزيف والاستغلال، ويؤكد أنّ الحياة الحقيقية ليست فيما وصلوا إليه من تقنية ومستحدثات واكتشافات وأزياء وصرعات وشذوذ وانحلال، إنّما هي في نقاء الروح والإحساس العميق بجمال الكون والأشياء، واحترام الإنسان وتحرره من كل إسار.

ولكنْ.. أليست هذه النغمة شاذة غريبة؛ في الوقت الذي ننظر مندهشين مبهورين إلى كلّ ما يصدر عن الغرب من مستحدثات، ونترامى في المظاهر الخدّاعة، والأضواء البّراقة، مبتعدين من الحقيقة والجوهر؟!

www.ahlaltareekh.com

طريق الهدى

فضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

صحة حديث

ما صحة حديث «جلسة الاستراحة»؟

ب. م. اللحيدان، البكيرية.

حديثها صحيح عن مالك بن الحويرث وغيره، وهو أن يجلس المصلي بين الركعتين جلسة خفيفة جدًا، وإن ترك فلا بأس، إن شاء الله تعالى.

واختلف أهل العلم فيها، فقال قوم: واجبة، وقال آخرون: مستحبة، وهناك من توقف.

مراجعة الزوجة

ما حكم مراجعة الزوجة بعد سنتين من الطلاق إذا كانا يودان بعضهما بعضًا؟

محمود. م، نيجيريا.

إذا كان قد طلقها طلاقًا بائنًا بينونة كبرى: ثلاث طلقات، فلا تحل له إلا بعد زواجها من آخر بشرط أن يحصل الجماع، ودون اتفاق بينهما لإحلالها لزوجها الأول، لصحة ما ورد من النهي في هذا. وإن كان قد طلقها طلاقًا رجعيًا، فلا بد بعد هذه المدة أن يخطبها من وليّ أمرها من جديد كخاطب من الخطاب.

ربا الجاهلية

رجل أسلف آخر مالاً، لكنه لم يُسدِّد حسب الاتفاق فزاد عليه مالاً، فما حكم هذا؟

سليم. م. م، جدة.

هذا هو ربا الجاهلية، وهو كبيرة من كبائر الذنوب لا يجوز فعله بحال. والربا ليست هذه صورته فقط، بل له صور كثيرة، لكن ما تسأل عنه هو ما كان يفعله أهل الجاهلية.

الزواج بزوجة الخال

ما حكم نكاح زوجة الخال بعد طلاقها؟

ع. ع. ع، سورية.

زوجة العم وزوجة الخال وزوجة الأخ أجنبيات يجب احتجابهنَّ عنك. فإذا طلقها الخال ولم يعاودها بمراجعة؛ فيجوز لك الزواج بها بعد انتهاء العدة: ثلاث حيضات.

ميراث العم

هل يرث العم مع الابن والزوج والأم؟

سلمان. ب. ب، الرياض.

العم لا يرث شيئًا لأن الابن يحجبه عن الإرث فتكون الحال هكذا:

للزوج الربع، وللأم السدس، والباقي للابن. ولا شيء للعم إلا عطاء الصلة والبر.

صعود جبل النور

هل دلّ دليل صحيح على صعود جبل النور؟

عدنان بن بكر دابا، ساحل العاج.

ليس ما يفعله بعض العوام أو بعض مدّعي العلم حجة في عبادة من العبادات أو في معاملة ما من المعاملات فيها تجاوز بصورة من الصور.

فصعود «جبل النور» أو «ثور» لم يثبت فيه دليل قط؛ فمن صعده من باب التعبد فهذا ابتدع وضلَّ. لكن من صعده من باب العبرة فلا شيء فيه. وأرجح عدم صعوده خشية الوقوع في المحظور مع الأيام.

تشييع الجنازة

العادة المتبعة في بلدتنا عند وفاة أحدهم أن يسير الناس بالجنازة وهم يردّدون: لا إله إلا الله محمد رسول الله حتى وصولهم إلى المقبرة، فهل هذا يصح، أم يجب أن تسير الجنازة بصمت وخشوع؟

د. غنوم محمود غنوم، يبرود، سورية.

مثل هذا بدعة يجب تركه، فلم يُنقل عن النبي صلى الله عليه وسلم شيء من هذا، وكذا الصحابة، ويسعنا ما وسعهم. والعبادة الأصل فيها المنع إلا ما شرعه الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقد قال تعالى: وما آتاكُم الرَّسولُ فخذُوه وما نهاكُم عَنهُ فانتهُوا. الحشر: ٧.

والعبادات كافة لا يجوز الإحداث فيها بشيء ما لأنها قطعية القول والعمل، وما يحدثه الناس، خاصة الجهال وبعض المتصوفة، ليس حجة؛ بل الحجة ما ورد النص به.

ردود خاصة

الأخ د. مصطفى م، القاهرة:

هذا بينك وبين الزوجة فيتم الاتفاق عليه بينكما.

الأخ سليمان بن مبارك آل جرعان، الكويت:

عد إلى العدد ٢٦٤ من مجلة الفيصل، جمادى الآخرة ١٤١٩هـ، وجريدة الجزيرة: محرم ١٤٠٢هـ، «فتاوى إسلامية».

الأخ: أبو ناصر، الدوحة، قطر:

لا يحسن تكرار العمرة في العام الواحد.

الأخ: فهد ب. ب. أ، الطائف:

- في ربع العشر لا يكون زكاة، لكن في أحد عشر مثقالاً من الذهب ربع العشر إذا مضى الحول.
- لا تحل زوجة الأب لأبناء الأبناء فهي من المحرمات المؤبدات.

www.ahlaltareekh.com



ميكروب يسبب مرض القلب!



أكثر من خمسمئة ألف أمريكي يموتون سنويًا بسبب أمراض الشريان التاجي! وهذا لا يعني أنهم جميعًا يتناولون الأطعمة الدسمة أو يمارسون عادة التدخين. فلماذا يعانون إذن؟ قد يكون لعامل الوراثة والإجهاد دور في ذلك. ولكن في السنوات الأخيرة أخذ بعض الباحثين يميلون إلى نظرية جديدة لم تستقر بعد، مفادها أن أمراض القلب قد تعود جزئيًا إلى ميكروب معد. والميكروب موضع الشك هو كلاميديا نومونيا CHLAMYDIA PNEUMONIA، الذي ينتشر في الهواء، وحالما يتواجد في الرئة يدخل في خلايا جهاز المناعة التي تجري في الدم وتعمل على التهام الميكروبات. وهناك دليل على أن هذا الميكروب يتجمع بشكل متكرر في الترسبات الدهنية المتكلّسة التي تعمل على تضييق الشرايين التاجية وتسبب تصلبها. ولكن هل هذا الميكروب يسبب أمراض القلب؛ أم إنه مجرد متفرج بريء يقبع هناك ويجد راحته داخل وسادة الكوليسترول؟

تؤكد ليزا جاكسون وجي توماس كرايستون، المختصان بعلم الأوبئة في جامعة واشنطن، اللذان قاما بدراسة دور هذا الميكروب في أمراض القلب أن أحدًا لم يستطع أن يثبت علاقة هذا الميكروب بأمراض القلب حتى الآن، ومع ذلك، إذا كان الميكروب متورطًا بأمراض القلب حقًا فيمكن معالجة ذلك بالمضادات الحيوية. وقد أظهرت دراسة حديثة، أشارت إليها مجلة ديسكفر DISCOVER في عددها الصادر في سبتمبر/الماضي أن جرعات وقائية من مضادات حيوية تؤخذ مدة شهر قللت من حدوث أزمات قلبية ومن عدد الوفيات بين بعض المنوَّمين في المستشفيات؛ إلا أن الباحثين منقسمون حيال أهمية تلك الدراسة.

لقد أظهر عدد من الدراسات خلال عشر السنوات الماضية أن مرضى الشرايين التاجية يمكن أن يحملوا ضعف ما يحمله الأصحاء من الأجسام المضادة لميكروب كلاميديا نومونيا. وقد كشفت الدراسات المختلفة أن الأوعية الدموية المنسدة يمكن أن تحمل دليلاً على وجود هذا الميكروب أكثر من الأوعية الخالية من البليك PLAQUE بمقدار عشرين ضعفًا.

وقد توصل فريق من الباحثين في مستشفى القديس مايكل ST. MICHAEL في تورنتو إلى أن الأرانب غير المصابة بضيق الشرايين ظهرت عليها أعراض أمراض القلب؛ بما في ذلك آثار الدهون في الشريان الأورطي (الأبهر)، وذلك عندما أصيبت بميكروب كلاميديا نومونيا من طريق الأنف. أما الأرانب التي لم تتعرض لذلك الميكروب فبقيت في حالة صحية جيدة.

كيف يمكن أن يؤدي ميكروب كلاميديا نومونيا إلى الإصابة بأمراض القلب؟ تتصور ليزا جاكسون أنه بعد الإصابة المبدئية تلتقط الخلايا التي تلتهم الجراثيم في الرئة تلك الميكروبات، ومن ثم تحملها معها إلى جميع أجزاء الجسم من خلال الدورة الدموية. ومن المعتاد أن تقوم تلك الخلايا بقتل جميع الميكروبات التي تواجهها، إلا أن ميكروب كلاميديا نومونيا قادر على مقاومة الأنزيمات الهاضمة لتلك الخلايا، وعندما تصل تلك الخلايا إلى الشرايين التاجية فقد تستقر تحت سطح تلك الشرايين وتبدأ بامتصاص الدهون. ولا يعرف أحد لماذا تفعل ذلك، ولكن ينتج من ذلك خلايا رغوية منتفخة تصنع مادة البليك PLAQUE. هناك عدة أدلة تدعم تصور ليزا، فعلى سبيل المثال وجد أن شرايين الأورطي في الفئران قد أصيبت بعدوى من خلال الأنف. كذلك عندما قامت ليزا بالاشتراك مع كرايستون بمعاينة ٣٩ جثة تم تشريحها لمرضى القلب وأمراض أخرى وجدا أن وجود الميكروب في الشرايين التاجية يفوق وجوده في الكبد والطحال والرئة بمقدار يراوح بين ٣-٤ مرات.

www.ahlaltareekh.com

الطيران بالإشعاع

أظهرت التجارب، التي أجريت في وايت ساندز ميسل رينج WHITE SANDS MISSILE RANGE في نيو مكسيسكو، مدى سهولة صنع مركبات خفيفة، وهي عربات يتم تزويدها بالطاقة بوساطة أشعة ليزرية من مصادر مقرها على الأرض أو في مدارات في الجو، حسب ما ورد في مجلة بوبيولار سينس في عدد يوليو ١٩٩٨م. ويشكل الجزء الخلفي من المركبة مرآة مطوَّلة تشبه القطع المكافئ تعمل على تركيز أشعة الليزر على حافة العربة. تنتج هذه الطاقة المركزة وميضًا من بلازما حارة ذات لون أبيض ضارب إلى الزرقة يعمل على دفع المركبة إلى الأمام.

ويتوقع ليك ميرابو (من معهد البوليتكنيك في رينسلير) وفرانكلين ميد (من إدارة قوة الدفع لمختبر سلاح الجو الأمريكي)، أنه خلال خمس سنوات من الآن يمكن إطلاق مركبة خفيفة تزن كيلوغرامًا واحدًا إلى مدارها بتكلفة ٢٥٠ دولارًا من الطاقة الكهربائية. ومن طريق استخدام مرآة تلك المركبة، كناقل أو منظار، يمكن تكييف المركبة لمجموعة متنوعة من الاتصالات الهاتفية أو استعمالات الاستشعار من بعد.

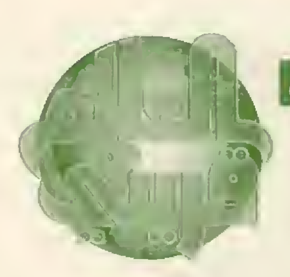
وفي سلسلة من التجارب أجريت خلال العام الماضي في مرفق اختبارات أنظمة الليزر ذات الطاقة العالية في وايت ساندز عمل شعاع ليزر قدره ١٠ كيلو وات من ثاني أكسيد كربون معالج بالنبضات والأشعة دون الحمراء على إطلاق مركبة خفيفة تزن من ٣٠-٤٠ جرامًا بعلو ٢٣ مترًا في الهواء. ويأمل ميرابو وميد - في الاختبارات المخطط لها أن تُجرى في وقت لاحق من هذا العام - أن تصل تلك المركبة إلى علو ٦٠٠م. وللوصول إلى ارتفاعات أعلى يحتاج الباحثون إلى شعاع ليزر أكثر قوة.

يحشد جهاز ليزر يدعى (الدافع، السواق) DRIVER ذو قدرة ١٠٠ كيلو وات قوةً ضخمة تكفي لرفع مركبة خفيفة مسافة مئة كيل. وإذا استطاع ميرابو وميد تأمين الأموال الضرورية لتطوير هذا الجهاز واختباره فسيصبح بوسع الناس ذات يوم أن يسافروا جواً على طرق سريعة من الأشعة تأخذ طاقتها الشعاعية من محولات تعمل بالطاقة الشمسية في الفضاء.

يقول ميرابو: إن المركبات الخفيفة تقدم مزايا بيئية بالإضافة إلى توفير في التكلفة؛ إذ لا تنفث المركبة الخفيفة سوى هواء حار وتستمد طاقتها من فوق الأجواء.



www.ahlaltareekh.com



ثقب الأوزون يزداد اتساعًا!!

أعلنت وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا) أن اتساع ثقب الأوزون فوق منطقة القطب الجنوبي بلغ في العام الماضي مساحة قدرها تسعة عشر مليون كيل مربع، وازداد هذا العام ليصل إلى ٢٦ مليون كيل مربع؛ مما سيزيد من وصول الأشعة فوق البنفسجية التي تسبب سرطان الجلد والماء الأزرق في العين، وتؤثر في بعض النباتات والأحياء البحرية. وهذا كله من إطلاق الإنسان غازات الكلور فلورو كاربون CFC . وإذا لم يعمل الإنسان خلال السنوات القادمة على التقليل من هذا الغاز فسيزداد ثقب الأوزون اتساعًا وتزداد آثاره المدمرة. ولكن إذا استطاع الإنسان التقليل من إطلاق هذه الغازات في الجو، فهناك أمل أن يتحسن الوضع خلال مدة تراوح بين ١٠ و٢٠ سنة.

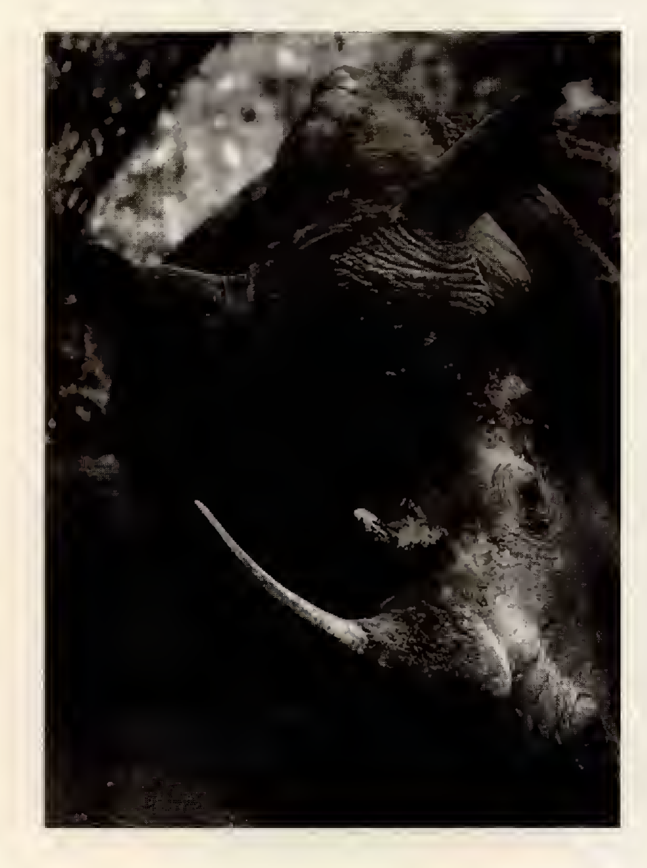
تجارة بغيضة !!

بعثت مجلة إكسبريس Express فريقًا من مراسليها لمرافقة بعثة إحدى الجمعيات البريطانية لرعاية الحيوانات البرية سافرت إلى المثلث الذهبي الآسيوي لكشف أبعاد تجارة تظهر مدى أنانية الإنسان وتعدّيه السافر على الحياة البرية. وهي تجارة تراها الشرطة الدولية (الإنتربول) ثاني تجارة رائجة بعد تجارة المخدرات.

وقد عبر الفريق إلى بورما مرورًا بتايلاند حتى وصل إلى سوق تاكيليك التي تعُجُّ بالصيادين غير الشرعيين، والتجار، والمهربين، وحتى الصيادلة. ووجد الفريق أن التجارة في تلك السوق وصلت إلى مستوى فاق كل تصور. وقد لاحظ الفريق عدم وجود آثار طلقات نارية في أجسام الحيوانات لأن الصيادين يوقعونها في حفر تُعد بعناية.

اصطحب تيم ردفورد مسؤول جمعية رعاية الحيوانات البرية الفريقَ الصحفي إلى الجهة الأخرى من المدينة؛ حيث يقبل الأثرياء - من جنسيات مختلفة - على شراء تلك الجلود، ويدفعون فيها ثمنًا يكفي لأن يجعل من صاحب دكان صغير إمبراطورًا محليًا.

تحتفظ بعض المحلات التجارية بتلك الجلود والأجزاء في خزائن أشبه بخزائن النفائس والمجوهرات، وقد وُجدت أجزاء من أجسام الحيوانات، مثل جماجم النمر وأفراس البحر وعاج الفيلة ومخالب الدببة، معروضة للبيع في الدكاكين والدهاليز وعلى قارعة الطريق، ومنها ما يُثبت بمسامير في الجدران. ومما يدعو للاستغراب أن أصحاب تلك المحلات لا يتحرَّجون من التقاط صور لهم مع تلك الأجزاء. وردًا على سؤال من الفريق لأحد أصحاب الدكاكين عن طريقة تهريبها عبر الحدود أجاب بأنه إذا دفع المشتري ٢٠٠ جنيه إضافة للسعر الأصلي، فإنه سيقوم بإيصالها إلى بانكوك خلال يومين، أما إذا دفع أكثر من ذلك بقليل فسيقوم بإيصالها إلى أمريكا!!



www.ahlaltareekh.com

أضواء على فكر توفيق الحكيم



أحمد بيوض

توفيق الحكيم الغائب عنا بجسده، الحاضر بيننا بفكره، يستوقفنا في أكثر من محطة فكرية، فهو ليس أديبًا عالميًا فحسب، بل هو مفكر كبير لم يسلط عليه ما يستحقه من الأضواء بوصفه مفكرًا عاش جل أحداث القرن العشرين (١٨٩٨-١٩٨٧م)، واختلط بأعلامه من رجالات الفكر والأدب.

ولهذا وإيمانًا منا بضرورة الاعتناء بأدبائنا ومفكرينا، نسلط في هذا المقال المزيد من الأضواء على فكره النيِّر.

على مستوى العالم العربي والإسلامي

- دعوته لإنشاء جامعة عربية ثقافية:

اهتم الحكيم، رحمه الله، بقضايا عديدة تهم العالم العربي والإسلامي، ومنها: قضية شغلته طويلاً وأثارها في العديد من المناسبات والأحاديث الصحفية هي: إنشاء جامعة عربية ثقافية للنهضة الحضارية. الفكرة قد تبدو مستحيلة التحقيق، على الأقل في الوقت الراهن، للتشرذم الذي تعيشه الدول العربية؛ ولكن الحكيم كان مؤمنًا بها، داعيًا لها، لإيمانه بأن السياسة لا توحِّد الشعوب العربية وإنما الذي يوحِّدها هو «الوجدان». هذا الشعور الجماعي بالانتماء الواحد والعيش من أجل المصير المشترك هو الذي جعله يوجه نداءه عام ١٩٨٣م للقادة العرب قائلاً: «خذوا العقل واتركوا لنا الوجدان». لقد قال رحمه الله: «أتمنى لدولة الأدب والثقافة في عالمنا العربي أن تنشأ لها جامعة عربية ثقافية تكون في منطقة بعيدة عن الجامعة العربية السياسية، وتعلو على أي خلافات بين الحكومات». ويستدل الحكيم بحادثة عاشها في «الهايد بارك» بلندن حيث يقول: «لقد مرت علينا فترة ضيق شديد بعد حادث الأديب يوسف السباعي. وكان قد نصحه البعض بعدم السفر إلى خارج مصر حرصًا على حياته.. ومن جهتي أخذت أحلل الموقف، لأن التحليل عند المفكر يجعله يرى ما لا يراه أي إنسان آخر. فقلت لنفسي: ممَّ أخاف؟ من القتل؟ أليس القتل بهذه الطريقة أسهل من الموت على الفراش بسكتة قلبية؟ وقررت السفر، واتجهت إلى لندن حيث ذهبت إلى الهايد بارك، وجلست وفوق رأسي «البيريه» وفي يدي العصا، فإذا بي فوجئت بجماعة من مختلف الجنسيات العربية يتجمعون حولي، وقد قربوا مني جدًا، ولكن بدلاً من أن يلحقوا بي ضررًا وجدتهم يأخذونني بالأحضان مرحبين بي كل الترحيب قائلين لي: أهلاً بك شيخنا وأديبنا. إن الخلافات السياسية شيء، والحب والكره الثقافي والإبداعي شيء آخر، يرجع لشعور الأدباء والمثقفين. ولقد أحسست من ذلك الوقت أن السياسة أوجدت بلبلة، وإننا إذا استطعنا أن نجمع العروبة على الأساس الثقافي والفني، فنحن بذلك نقيم وحدة عربية حقيقية، وتظل السياسة حرة فيما تراه لنفسها». فالحكيم - كما رأينا هنا - دافع عن دور الأدب والفكر في تقوية الوجدان العربي لقيام وحدة عربية تعلو على كل الخلافات السياسية، والنظرة القطرية الضيقة، فهو غير ميّال للسياسة بطبيعته. حيث يقول في مقام آخر: «لقد اكتشفت أن الخلافات بين العرب جميعًا هي خلافات سياسية في الأساس. ولذلك فإن قضية العروبة والوحدة العربية لم يُكتب لها النجاح من قبل لأنها تعتمد على العمل السياسي وحده. إن الخلاف السياسي الراهن هو خلاف بين الحكومات فقط، والخلافات السياسية العربية دخان طائر، ولكن الأدب والوجدان العربيين باقيان. إن هذا يؤكد قضية الوحدة في أعماقي. وهناك أساس متين وخالد لهذه الوحدة اسمه التراث العربي الواحد». هكذا يتضح لنا جليًا أن الحكيم نادى، في عصره ولغير عصره، بإنشاء وحدة الوجدان والفكر العربيين استعدادًا للنهضة الشاملة التي لا يخفى على أحد أنها مسألة أجيال. والحضارات العتيدة تعد بالقرون كما هو الحال بالنسبة للحضارة العربية والإسلامية حيث يقول الحكيم في هذا الشأن: «لابد من الاتجاه إلى التكاتف والعمل من الآن للحصول على القوة الفكرية والحضارية إلى جانب ما يمكن من قوة مادية، وانتظار الظروف المناسبة لأمة العرب للحصول على حقها بيدها القوية... وأعود فأقول: إن الإعداد للتفوق الفكري والحضاري لا يمكن أن يقوم به رجال السياسة، إنهم مختلفون دائمًا. ومن يقوم بهذا العمل هم رجال الفكر والثقافة الذين عليهم أن يتجمعوا في جامعة ثقافية قوية، مستقلة، تمهد لقوة العرب على أساس تراثهم المجيد وما يضيفون له من أدوات الثقافة العالمية المتقدمة استعدادًا

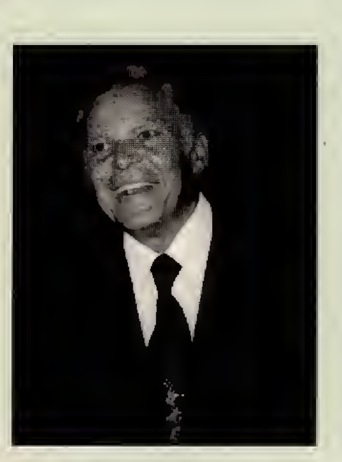
www.ahlaltareekh.com

للتحديات المنتظرة». وفي اعتقادي أن الحكيم أطلق صيحته هذه ولم يستمع إليها أحد، وإلا فما مرد تركيزه على فكرة إنشاء هذه الجامعة تركيزاً كبيراً وترداده إياها في العديد من المرّات، حتى إنه قال أيضًا: «أنا واثق أن الأدب العربي المعاصر قد تكونت فيه العناصر المبشرة بالمستقبل المشرق. وأرجو ممّن يمتلك القدرة على الاطلاع على هذا الأدب العربي العظيم أن يلقي عليه الأضواء المشعة التي تنير الطريق إليه، وهذا سيحدث ضمنًا نتيجة لتقارب العرب وتماسكهم وعودتهم إلى العهد الذي كان فيه الأدب العربي معناه الأدب الشامل لبلاد العرب جميعًا، وأي أديب عربي هو ممثل للأدب العربي كله. ولا يصبح الأدب الإقليمي مفرقًا ومباعداً وشاطراً لوحدة الأدب العربي الذي كان في يوم من الأيام لا يعتبر شعراء مصر ولبنان وسورية وتونس من جنسيات مختلفة؛ بل كلهم في نظره واعتباره ينتمون إلى جنسية واحدة هي الأدب العربي. إن هذا ما جعلني أحلم بإنشاء جامعة إلى جانب جامعة الدول العربية السياسية، جامعة ثقافية وأدبية أساسها ليس السياسة بل الأدب العربي والثقافة العربية الأقدم والأشمل، والرباط الوحيد لأمة العرب جميعًا. ولكن من يقوم بإنشاء هذا الكيان الشامل لكل الجنسيات العربية؟ قطعًا ليس رجال السياسة، بل هم رجال الفكر والأدب». فموقفه ثابت من السياسة ورجالاتها كون السياسة ونظمها متغيرة؛ بينما الفكر والأدب العربيان يُعدّان - في نظره - عنصراً ثابتًا لقوله: «إن السياسة رمال متحركة لا تصلح لأي أساس ثابت. فمن الناحية السياسية هناك أزيد من عشرين دولة، وهناك أمم وخلافات في أنظمة الحكم، وفي المواقف من كافة القضايا المطروحة، ولكن تعال إلى الثقافة، اللغة العربية واحدة وتراثها واحد، ولذلك عندما تُطرح الوحدة العربية على أساس سياسي تفشل. وهذا ما جعلني أتمنى وأتمسك وأسأل الله تعالى أن يهيئ لنا النهوض نحن العرب على أساس أومن به، وهو: الوحدة العربية الثقافية. ويدخل تحت كلمة ثقافة: لغتنا العربية وتراثها وعقيدتها الواحدة. بهذه الوحدة الراسخة الخالدة، لن نختلف ولن نفترق أبدًا».

- دعوته لإنتاج الحضارة:

وهناك قضية أخرى شغلت الحكيم طويلاً أيضًا، هي مسألة إنتاج الحضارة؛ إذ إنه حين يتحدث عن ذلك، يتناول الموضوع من موقع العالم بخباياه، فهو يعتقد اعتقاداً راسخًا أن الحضارة ليست استهلاكًا أو ترفًا؛ بل هي عمل وإنتاج لجهود أجيال متواصلة حيث يقول عن ذلك في سياق حديثه عن حضارتنا وعلاقتها بالحضارة الغربية: «إن ما يثير في نفسي الشجن والحسرة هو أن الغرب سرق حضارتنا واستفاد منها بل وطور جوانب منها في حالات عديدة، في حين أننا فشلنا في استيعاب جزء مهم من حضارتهم وتخزينها واستغلالها لخيرنا. إن حضارتنا العربية الإسلامية معلبة في (أرشيفاتهم) ومكتباتهم ومتاحفهم وجامعاتهم، إنهم يعرفون كل شيء عنّا وعن ماضينا وتراثنا وخططنا للمستقبل. فماذا نعرف نحن من علوم الغرب وأسراره الحضارية؟ لقد اكتفينا باستيراد النتاج واستهلاكه. وهذا ليس بفعل حضاري. إن الحضارة شيء أعمق من ذلك وأطول وأرحب، لأنها لا تقوم على الاستهلاك وإنما على الإنتاج وأساليب الإنتاج وتقنياته».

ويضيف الحكيم قائلاً: «إننا لا نعرف من نهر الحضارة الغربية، لا المنبع ولا المصب؛ فلقد اكتفينا بالسباحة بالقرب من شط النهر المتدفق. فلم نسع إلى السباحة في تياراته باحثين، مرتادين، مستكشفين ومنقبين. إن الخطأ الذي وقع فيه عرب كثيرون هو ظنهم أن الحضارة استهلاك صرف وتقليد ومجاراة، فانصرفوا عن تجديد تراثهم وبذل الجهد وتجشم المشقة في اتخاذ المراكب يخترقون بها نهر الحضارة الكبير، واكتفوا باللعب ببعض نتاجاته عند الشط فحسب». هكذا يرى الحكيم أزمتنا الحضارية في تعطيل آلية الإنتاج الفكري والمادي، حيث يقول: «نحن نستهلك ما يريدون لنا أن نستهلك من حضارتهم، وهم يجددون فيها على الدوام، أما حضارتنا فهي واقفة يعيث فيها الإهمال والتراخي كالسوس، أو هي حائرة كاليتيم بين فئة من رجال السياسة والدين لا شأن لهم بالفكر النير ولا بالعلم. إن بعض السطحيين يتساءلون: كيف نستهلك؟ وهذا موقف يدعو إلى العجب، لأن السؤال الحقيقي يجب أن يكون: كيف ننتج؟ نعم كيف ننتج الحضارة، ذلك هو السؤال الوجيه الذي يستدعي البحث والتفكير قصد تطوير السبل والأدوات لتحقيق النهضة الحضارية المرجوة». وهذا الحكيم يجيب قائلاً: «أنا لا أدعو إلى تقليد العظماء وانتهاج الطريق الذي انتهجوه، إنما إلى الرد على هذا السؤال المحدد: كيف حققوا ما حققوا من إنجازات؟ فما يهمني هو الإحاطة بأسلوب العمل وتطويره عند اللزوم واكتشاف سر الإنتاج الحضاري، فضلاً عن الخلق والإبداع. فليس مهمًا أن نعرف كيف كان يحكم عمر بن الخطاب، بقدر ما هو مهم أن نعرف كيف توصل إلى فهم الإسلام بصورة مرنة تمكنه من تفسيره وتطويره حسب متغيرات الظروف، على الرغم من أن هذا العبقري لم يكن متعلمًا، مما أثار إعجاب النبي صلى الله عليه وسلم». وهي في رأينا تطوير الأساليب برؤية نقدية تعتمد على العقل كآلية للتفكير والخلق والإبداع. فالحكيم من هذه الزاوية فتح النار على دعاة الاستهلاك واستخدام الأساليب المستهلكة حضاريًا لفسح المجال للتجديد. هذا التجديد، يتطلب، حسب رأيه، إجماعًا عربيًا، ولا يمكن أن يتحقق ذلك في ظل الانقسامات.



يوسف السباعي

- دعوته لتنمية الجانب العلمي في الإسلام وتعليمه:

قضية تنمية الجانب العلمي في الإسلام قضية أخرى شغلت الحكيم. فقد كان يدعو إلى فهم الإسلام فهمًا صحيحًا لاعتقاده الراسخ أن «الإسلام أرقى من المسلمين». وللنهوض بالمسلمين ليكونوا في مستوى هذا الدين العظيم يجب القيام بعمل جبار قوامه التجديد على أسس الفهم الصحيح حيث يقول الحكيم: «والتجديد يتطلب أيضًا

www.ahlaltareekh.com

اتساعًا في الأفق وبعدًا في النظر. إن مستقبل الإسلام كله في القرون المقبلة مرتبط بذلك إلى حد بعيد، ولاسيما أن الإسلام - كما سبق أن قلت: هو أرقى من المسلمين أنفسهم. وقد وصلت الأمور إلى حد إقدام بعض الفئات على استغلال موسم الحج لغايات سياسية ودنيوية رخيصة. ولهذا لا بد من ترشيد للأجيال الطالعة. وهنا يبرز واجب الأزهر في نشر الثقافة وتعميم العلوم في أوساط هذه الأجيال». الحكيم، كعادته، لا يكتفي بطرح القضية، بل يقترح الحلول من منظوره الخاص حيث يقول: «واقتراحي في هذا الشأن هو أن يعمق الأزهر النزعة العلمية في دراساته وأبحاثه. وأقترح هنا أن تتفرغ مجموعة من رجال الدين على الدوام لتدارس شتى مناحي العلم كالفيزياء والكيمياء والذرة وغيرها.. لإثبات أن العلم والدين لا يتعارضان، لأن الإسلام هو لكل الأزمان». نعم إن الإسلام صالح لكل زمان ومكان، ومن ثم يجب ألاّ ينغلق على نفسه ما بقي باب الاجتهاد مفتوحًا وسيبقى كذلك، ولذا يرى الحكيم اتخاذ الحيطة والحذر من أن يتسبب بعض الدعاة من قصيري النظر في تشويهه بعجزهم. لقد دعا، رحمه الله، إلى إنشاء مراكز بحوث في هذا الشأن حيث يقول: « وأقترح أيضًا على الأزهر أن يقوي النزعة العلمية عند الطلبة والدارسين والدعاة بإنشاء مراكز البحوث والعلوم التي من شأنها أن تغذي الفكر الديني بإضافات لا يمكن أن تتعارض والثابت في الدين». ويخلص الحكيم في هذه النقطة إلى القول: «نحن إذا فكرنا قليلاً فإننا نجد أن نصرة الإسلام تكمن في قدرته على التكيف مع شتى إضافات العلوم، ويجب أن نثبت ذلك بالممارسة العملية؛ أي تشجيع الاتجاهات العلمية في أوساط رجال الدين».

على المستوى الإنساني

- دعوته لحماية الإنسان:

يرى الحكيم أن التقانة (التكنولوجيا) التي قطعت أشواطًا رهيبة، أصبحت تهدد مصير الإنسان، ولهذا أطلق صيحته في مؤتمر اليونسكو المنعقد عام ١٩٨٣م، داعيًا العلماء والحكومات لحماية الإنسان الآدمي من قوى الردع النووي، وزحف الإنسان الآلي حيث يقول: «إن العالم كله اليوم أصيب بمرض خطير هو الكسل العقلي،وقد ذكرت ذلك في مؤتمر لليونسكو منذ عامين (أي عام ١٩٨٣م)، والسبب في ذلك هو تقدم التكنولوجيا؛ مما جعل كل شيء يتم بواسطة أزرار يكفي الضغط عليها فتتحرك، حتى إنه تم اختراع الإنسان الآلي ليحل محل الإنسان الآدمي في أغلب النشاط الذي كان يحرك الإنسان الآدمي. وقلت إن الإنسان الآدمي قد مات. ولكن الثقافة لم تمت كلها في الغرب. هناك جامعات وعلماء وعقول كبيرة لم تزل تفكر وتبدع وتخترع». ويضيف الحكيم في الحلقة الحادية عشرة من خريف العمر قائلاً حول هذه النقطة: «قلت إن الحياة دورة، ومعنى هذا أن عصرنا يتأهب اليوم لوثبة عجيبة لسنا ندري متى ستتوقف، ولكننا نعرف إلى أين ستؤدي، فلو اعتمدنا منطق الدائرة التي تتحكم في الكون - كما سبق أن بيّنت - لأصبح في مقدورنا أن نتنبأ بما سوف تتمخض عنه هذه الوثبة، وأعني بها حضارة الإنسان الآلي (الروبوت). إننا نعيش اليوم في عصر يدور فيه كل شيء بسرعة عظيمة، ولاسيما في مجال العلوم والتكنولوجيا، مما بدأ يؤدي وسيؤدي بنا إلى سيطرة الآلة وتحكم الإنسان الآلي بمقادير عديدة. وإنه ليبدو لي أن هذا الروبوت أمسى يسير بسرعة مجنونة محطمًا كل من يقول له: قف مكانك ولا تتحرك أو تدور. وصفوة القول: إن الصراع في القرن الحادي والعشرين، أو في القرون المقبلة عمومًا، سيكون صراعًا بين الحضارات. ولكن أكثر دقة، ولنقل إنه الصراع مع حضارة الإنسان الآلي. وأضيف أن الإنسان الطبيعي ألفى نفسه مهددًا بالموت أمام وثبة الروبوت؛ بل سوف نصل إلى مرحلة من «الدورة» نقول معها إن الإنسان الطبيعي قد مات فعلاً». ويستطرد الحكيم قائلاً: «ألا يسعون اليوم إلى حقن الإنسان الآلي بالمشاعر العاطفية، وجعله يحب ويكره كما الإنسان الحقيقي؟ ألا يقومون بإنجاب الأطفال عبر الأنابيب والآلة؟ فعلاً، إن الحضارة القادمة هي حضارة الروبوت الراكضة. وهكذا فإني أخشى على الحضارة الحقيقية التي لا بد أن تقوم في نظري على حرية العقل وخشوع القلب وحرارة الإيمان، وليس على المعلبات أو الأنابيب».

ويواصل الحكيم شرحه لفكرة الدورة حول الحضارة فيقول: «على أن نظام الدائرة أو الدورة لن يسمح بسيطرة «الروبوت» إلى الأبد، ففي الوقت المناسب سوف تتلاشى هذه الهجمة، وتنتهي حضارة الآلة في صيغة حرب نووية على الأرجح لتبدأ الحياة دورتها من جديد، ويعود الإنسان الطبيعي مرة أخرى، إلى الحياة البدائية، إلى الزراعة على المنوال القديم. إنها كارثة عصرنا. فحضارة الإنسان الآلي تحمل في طياتها مقومات الفناء. ذلك أنها تقوم أساسًا على آلات الدمار والفوضى والتدمير». وسواء اتفقنا مع رؤية الحكيم الاستشرافية أم لم نتفق، إلا أننا نقر سلفًا أننا أمام مفكر - هو حر فيما يراه - ولكنه مفكر يعد من كبار مفكري عصره. والدليل على ذلك نبذه لقوى الشر المتنامية في إنسان اليوم حيث يقول: «فبدلاً من استغلال الذرة وتسخيرها لتوفير الطعام للأفواه الجائعة، وزرع الصحارى، واستثمار البحار؛ بدلاً من ذلك كله، فإن الإنسان يُلوِّح بتوجيه الطاقة النووية نحو الشر، فإذا به يتخلى تدريجيًا عن آدميته ويكشف عن مخالبه وأنيابه، ويقترب من الوحوش والفناء».

بهذا نكون قد تعرضنا لجوانب من فكر الحكيم النيِّر حول العالم العربي والإسلامي وحول الإنسان بصفة عامة. وإننا لعلى يقين من أن الكثيرين من علمائنا ومفكرينا يحملون أفكارًا عظيمة وجديدة بالاهتمام، إلا أننا في أغلب الأحيان نستشهد بآراء مفكري الغرب، وكأننا أمة عقيمة. فلنوجه اهتمامنا نحو تنمية هذا الاتجاه خدمة لثقافتنا ودفعًا لنمونا وتطورنا نحو الأفضل، دائمًا نحو الأفضل. والله الموفق.

مراجع المقال:

١- مجلة المستقبل: عدد ٤٣٢ ليوم ١ يونيو ١٩٨٥م.
٢- مجلة الوطن العربي: عدد ٣٦٩ للأسبوع الواقع بين٩ و١٥ مارس ١٩٨٤م.
٣- صحيفة الصباح التونسية: عدد ١٥٩٧ ليوم ١٦ يناير ١٩٨٥م.
٤- صحيفة الأهرام: عدد يوم ١٩٨٥/١/٢٢م.
٥- صحيفة الصباح التونسية: عدد: ١٠٣٠ليوم ١ أبريل ١٩٨٣م.

www.ahlaltareekh.com

إلى الجحيم أيها الليلك: انفتاح النص

سليمان حسين

إنّ إعادة قراءة نصّ أدبي ذي اتجاه فكري ما (أيديولوجي)، محمولة تعني إعادة فتح النص على مرجعياته الواقعية والتخيلية، وتعني أيضًا الكشف عن مضمراته النصّيّة؛ فتكون المرجعية الواقعية للنص هي الفائت (الماضي)، والمرجعية التخيليّة هي (راهن) النصّ عند إنجازه وعند انفتاحه على كل قراءة؛ سواء أكانت مقاربة تذوّقية أم مقاربة نقدية.

وفي كلتا الحالتين يمتدّ أفق النص إلى خطاب ثالث ندعوه: المستقبل، إضافة إلى انفتاحه على الفائت والرّاهن، ويكون هذا الخطاب مبنيًا على الرّمي إلى العالم الغائب في الواقع كما في النص، ويوصف هذا المضمر (بالمعنى الحقيقي) بأنه الوضع التنبّئي للخطاب، وهو دائمًا يهبه فحوى تميزه وارتقائه فوق مستويات الخطاب الأخرى.

عندما نتحدث عن اجتماعية الأدب وواقعيته ومرجعيته التاريخية والكونية والثقافية والنفسية والفنية؛ وعن وثائقيته وعلاقته - كمُنتج إنساني - بالمبدع والعالم واللغة، وعن خصوصية الرّواية (النوع الأدبي الأقدر) في التعامل مع جميع هذه المضمرات، وفي مجادلتها لاحتوائها في سياق مبدع هو النص؛ فإننا نتناول النصّ الرّوائيّ نصًّا منجزًا منفتحًا على العالم (الواقع، الفائت)، ومنفتحًا على العملية النقدية أو عملية المقاربة في علاقتها المنضبطة بهذا الفائت، ومتكئًا على واقع منجز فائت أيضًا أو متخيَّل منجز، أقصى انفتاحه هو تراسله بين راهن النصّ وراهن المتخيَّل؛ وهذا إغفال لمرام أخرى للنصّ وتجاوز لبعض الامتدادات الدلالية لآفاقه واكتفاء برؤيته نصًا منغلقًا على راهنه وراهن متخيله.

في المقاربة التالية للخطاب المحمول في نصّ سميح القاسم: «إلى الجحيم أيّها الليلك» سنتعدى جميع المضمرات (الأيديولوجية) المنجزة المنقضية إلى رؤية النصّ في حالة تكوّن مستمر، يعطي فرضيّات جديدة لبناء عالم مستقبلي، منفتحًا على راهنه المتخيَّل الذي يشكل الواقع الافتراضي فيه، وعلى فائته الذي يشكل المرجعية الواقعية له، وأخيرًا على مستقبله الذي يشكل واقعه التنبُّئي، لأن النص الروائي الذي نحاول مقاربته مُزوّد بخصوصية نصيّة شعرية ترميزية انتحت به منحى التنبُّؤ والاستشراف.

١- الانفتاح على الواقع

الواقع الرئيسي الذي يؤكده الخطاب هو واقع تاريخي يرصد آفاقًا متعددة، أولّها: الأفق السياسيّ وبالذات الأفق السلبي لحرب عام ١٩٤٨م، وثانيها: الأفق الحضاري ببعديه الاجتماعي والتطوري، والأفق الثالث ينزع منزعًا كونيًا عبر التساؤل الغيبي عن مجريات العالم، وعبر البحث عن هذه التساؤلات؛ ولكنّ الشرط النفسي والروحي لهذا التساؤل لا يكتفي بانتظار الإجابة، وإنما يحسم الأمر لصالح تمرده على الإجابة ومصدرها ويحلُّ محلَّ الحلول الغيبية قدرة الإنسان وقوه الواقع؛ أي إنه يلغي علاقته بالغيب ويرسخ علاقة روحية تكتفي باقتيات ذاتها وذلك مصدر قلقها الرئيسي، وهذا لا ينفصل عن الأفق الذي كان تمهيدًا كمقدمة للنتيجة؛ فالأفق الأوّل يرصد بحس إنساني فجائعي العجز العربي عن الفعل ويُظهر جيش الإنقاذ العربي، الذي أرسل عام ١٩٤٨م لإنقاذ الفلسطينيين، حكاية أسطورية مبتذلة وأُلهية صبيانية؛ إذ تحوّل الجيش العربي إلى أكداس تتّخذ من المدارس ثكنات لها. هذا إذا لم تتكدس داخل سياراتها عائدة نحو الشمال: «المدارس مسكونة بالجنود اسمهم جيش الإنقاذ، جاؤوا لينقذونا من اليهود. هكذا قال لنا الناس الكبار».

ويعمق الخطاب مأساوية الوضع العربي ووضع جيش الإنقاذ؛ إذ ينفتح النص نفسيًا على الهاوية المكوّن الرئيسي للواقع: «جموع من النازحين تتدفق على الرّامة من الشرق والغرب والجنوب... جداول آدمية باهتة تصب في هذه البحيرة الراكدة.. نحو الشمال نهرًا بشريًا داكنًا يلهث يعوي وينتحب» ص٤٠. وتظهر واقعية القدرة العاجزة للتكوين العربي البنائي من خلال ما يعرضه الخطاب: «أفرغتم أمشاط رصاصكم القليلة وعدتم قطيعًا مذعورًا إلى البركة الراكدة..»، «..كان ذلك نهارًا رائعًا، الشمس فاترة، العشب متألق، الضباط يهربون إلى الشمال مسترخين على مقاعد سيّاراتهم المهيبة..»، «..الجنود مكدّسون في الشاحنات.. مساكين هؤلاء

www.ahlaltareekh.com

الجنود جاؤوا ليدافعوا عنّا فلماذا حولوهم إلى مجرد خيارات مكبوسات في سيارة هاربة إلى الشمال.. بعض الخيارات لم تجد لها مكانًا في الشاحنة فراحت تهرول متخففة من السلاح والأوسمة والشارات والماء المنسكب من المطرات المفتوحة يطرطش بناطيل الكاكي» ص٤٢. يعدّ هذا التصوير تمهيدًا استراتيجيًا لعرض فرضيات الرّواية التي سنعرضها، وهي الفرضيات التي ينفتح بها النص انفتاحًا مشتركًا؛ وليس ذلك وحده ما أحضره الخطاب من عمق التاريخ لاستنطاقه وتعريته منطقيًا وشعوريًا وعرضه على منطق التاريخ وجدله لفحصه والحكم عليه.

إن الخطاب يدين منطق الواقع (التاريخ) الذي لا يتحرك وفق سيرورته الحرّة، وإنما يخضع لتدخلات خارجية ناظمها سيطرة الشر على العالم: «.. سام أو حام أو يافث هذه الأمور الإتنولوجيَّة لا تعنيني كثيرًا.. المهم أنني فقدت وطنًا كاملاً وحقيقيًا بترابه وصخوره وأشجاره، بناسه ومُدنه ودكاكينه.. لم يذهب الوطن إلى كوكب آخر.. إنه على الأرض وتعرفون أنتم موقعه.. تعرفون جيّدًا وطني الذي ضاع بلا أيّ منطق في زمن من المفروض أن ينتصر فيه المنطق» ص١٤.

هذا هو التساؤل الذي يطرحه الخطاب على العالم، على الحضارة، وهو سؤال يمكن أن ندعوه: السؤال الحضاري الفلسطيني، والصراخ في وجه التاريخ الذي لا يسير وفق حتميته المفترضة؛ فكثير من أدباء القضية الفلسطينية طرح مثل هذا التساؤل. ولم يكتف الخطاب بإلقاء هذا السؤال في وجه التاريخ؛ بل يرفقه بالتساؤل الكوني الذي يطرح أيضًا في وجه الغيب الذي يُفترض أنه يمتلك الحلّ ويفترض أن يكون المتضامن بل الفاعل الذي يمثل الخير في الكون ضد الشرّ، وعندما تسقط جميع هذه الطروحات يظهر الإنسان وحيدًا في عالم يحاول اقتناصه في مناخ من المذابح والقتل الجماعيّ وانعدام المنطق وانتفاء العزاء المصطنع (وهم الخلاص). ولا يكتفي الخطاب، في انفتاحه على الواقع، بتصوير الذّات في علاقاتها بالعالم وفي رؤيتها لعالمها الدّاخلي؛ وإنما يصوّر الآخر (العدو) في صورة تساؤل طفليّ بريء:

«ـ من هم اليهود يا جدّي؟

ـ هم ناس شريرون يريدون قتلنا واحتلال أرضنا.

ـ لماذا هم شريرون يا جدّي؟

لأنهم لا يحبون الناس والله لا يُحبهم» ص٩٢.

يأتي هذا التوصيف في افتتاحية الخطاب لأنه صورة استراتيجية يريد أن يجعلها ارتكازًا في انفتاحه القادم على المستقبل.

٢ـ الانفتاح على الراهن

في ضوء ما بيّناه من تفريق بين راهن الواقع وراهن النص، ومستقبل النص والواقع نجد أنّ انفتاح النصّ على راهنه وراهن الواقع مستغرق في الانفتاحات الأخرى كالانفتاح على الواقع (وقد تابعناه)، وكالانفتاح على المستقبل وهو ما سنقوم بقراءته لاحقًا.



سميح القاسم

٣ـ الانفتاح على المستقبل

يتركز تميّز الخطاب الذي حملته رواية «إلى الجحيم أيُّها الليلك» في قدرته الفائقة على الرّمي إلى المستقبل ومدّ أفقه (الهدف) إلى ما بعد عالم النصّ، أو ما يمكن أن نسميه «راهن النّصّ»؛ فالمتخيَّل لم يتوقف عند راهنه وإنّما تجاوزه إلى مستقبلين: أحدهما: المستقبل التّقليدي (الحتمي) للخط الزّمني لأي خطاب (فائت، راهن، مستقبل)، والآخر: مستقبل تنبُّئي يشي برؤية العالم المقبل. وما يحدّد قدرة أي خطاب على التنبُّؤ هوالواقع؛ أي الاتكاء على الواقع برؤية إبداعية واعية عميقة.

المستقبل الأوّل

الفرضية المقدّمة في النصّ هي إمكان قيام علاقة من نوع ما بين ما هو عربي ممثلاً بما هو فلسطيني من جهة، وما هو صهيوني من جهة أخرى؛ لذلك يقوم الخطاب بمحاولة طرح جميع إمكانات هذا اللقاء وفحصها في ضوء منطق التاريخ وفي ضوء الحتميات الحضارية في أكثر أبعادها قابلية (القضايا الإنسانية). وأيضًا يختار من القضايا الإنسانية الجانب الأكثر قابلية على الإطلاق وهو الجانب العاطفي (وعلاقة الرّجل بالمرأة) بالذات، ولكن هذه الفرضية في النهاية تحمل نفيها في ذاتها وتظهر في النصّ ضربًا من المحال، إنها كخطوط التوازي لا تلتقي إلا خارج منطق التاريخ ومنطق التطور الحقيقي والحتمي للتاريخ، وخارج منطق العالم والمنطق البشري الإنساني، إنها النقطة المستحيلة: «إن العدوين المتجابهين هما من العرب واليهود، وهذا ما يبدو لك على السطح. لكنّ الجبهة أعمق بكثير وأكثر تعقيدًا وتركيبًا. هنا يدور القتال الحقيقي بين الليل والنهار، بين عناصر الزمن ومكوناته المتناقضة، بين الخير الذي في الإنسان والشرّ الذي فيه، بين البناء والهدم، والحبّ والكراهية» ص٩١، ٩٢.

مشاهد المستقبل

يعرض الخطاب مشاهد المواجهة بين الفلسطيني والصهيوني براهين نفي ودحض لإمكان اللقاء، فليس هناك سوى واحد من الطرفين يمكن أن يكون، فعلى أحدهما أن ينفي الآخر.

ـ المشهد الأول: الفرضيّة:

يقدّم النصّ محاولة إقامة علاقة بين بطل الرواية والمرأة الصهيونية «إيلانة» التي قُتل حبيبها «أوري» في الحرب التي اشترك بها (معتديًا) على بطل الرّواية ممثل الشعب الفلسطيني، في مواجهة ترميزية قدّمها الكاتب ضمن شكل نصي متداخل سيطر عليه الحلم والرمز: «لديّ كلام كثير أقوله لها، أحسُّ بمسؤولية خاصّة تجاه إيلانه، لقد فرضت عليّ إيلانه وشغلتني بها رغم انشغالي الجارح بحبيبتي اللاجئة دنيا، حضور إيلانة حكم على دنيا بالغياب» ص٦٩. وتجري مناقشة هذا اللقاء من منظور إنساني معزول عن ظروفه الخارجية وعن مكملاته وسياقاته؛ فيُظهر الكاتب الطرفين ضحية. ولكنّ هذه الفرضية الثانية لا تصمد حتى النهاية إذ تنهار وتنتقض في النهاية: «تراها تتهمني بمقتل أوري؟ أنا لم أقتل أوري. نحن قُتلنا معًا برصاصة واحدة. لم تكن تلك الرصاصة من هنا. كانت رصاصة قراصنة العصر ولصوص العالم القديم، أعداء الإنسانية ورسل الهمجية، نحن العرب لم نقتل أوري.. رصاصة حملها أوري عبر البحار قتلتنا معًا. أوهموا أوري أنّه لا يمكن أن يعيش إلا بموتي فمات هو قبل أن

www.ahlaltareekh.com

انفتاح النصّ

يستوعب استحالة موتي» ص٦٩.

إذًا فالعلاقة الفرضية تحمل نفيها في ذاتها وهي بمجرد فرضها تعدّ تمهيداً لتفجير المواجهة مرّة أخرى.

- **المشهد الثاني: الاكتشاف (الانشقاق):**

بعد الفرضية التي مهدت لهذا الاكتشاف الذي يعدّ البرهان الأول على نقض الفرضية، يقوم الخطاب بتظهير الصورة ومحاولة الكشف عن مكوّناتها وعناصرها، وفصل هذه المكوّنات المتداخلة بفعل الواقع القسري، ظهر ذلك في أكثر من مكان في الرّواية حيث حدثت تداخلات كثيرة قام بها الليلك (اللون الرمز) بين سمير الفلسطيني وإيلانة الصهيونية ضمن مخطط قصدي، ومرة أخرى بين أوري الصهيوني ودنيا الفلسطينية ضمن تصوّر حلمي رمزي؛ فكل من الأربعة يخدعه الليلك ويجعله يرى في عدوه حبيبه، ولكن الليلك ينقشع في النهاية ويتبدد برصاص الصهاينة: «أسابيع عديدة ضاعت هباءً ونحن نحاول اللقاء، إيلانة في السابعة وأنا في السابعة غير أن ساعات عديدة كأنّها قرون بكاملها ظلت تفصل بيننا، ظلت الساعة السابعة موعداً مستحيلاً، في الساعة السابعة يضمحل لون ساعتي. تضمحل أرقامها يضمحلُ مؤشراها. على ظاهر يدي الأيسر يتموّج ليلك سادي» ص٧٥.

هذا هو الإخفاق على المستوى الأوّل: مستوى اللقاء بين سمير وإيلانة عند نقطة المستحيل. ويكون الإخفاق على المستوى الثاني ذريعًا ويتحقق الانشقاق، ويبدو العالم مكسواً بالحقيقة:

«واندفع أوري نحو إيلانة ليضمّها بكلّ قوته حتى تفيق إيلانة من غيبوبتها، حتى تخرج إيلانة من (دنيا).. حتى تنفصل عن قميصها هذا الغريب.. زخات رصاص تنصبُ من بنادق المحتلين.. تنصب على الشبحين الراكضين.. أصابع أوري تكاد تلمس أصابع إيلانة.. يدا دنيا تبحثان عن يدي سمير.. أين أنت أيتها النقطة المستحيلة.. تنهار الأعمدة، تنهار الأشجار، تنهار الجدران، وتسقط الجثثان» ص٩٥، ٩٦.

- **المشهد الثالث: المواجهة (القيامة):**

عندما يفقد الزّمن لونه ويسيطر عليه الشرّ فلا بد من البحث عن وسيلة لترويضه وإعادته مرّة أخرى إلى سيرورته، وإعادة البريق إلى روحه. وعندما يتجلّى وعي الفاصل التاريخي وذلك الركام الزمني من التنافر ومن تضاد التكوين فلا بدّ من المواجهة (القيامة): «ذات يوم التقيت بأوري، كان ذلك شمالي البحر الميت. بعد اشتباك عنيف أصبت بجراح بالغة فزحفت إلى ظل شجرة.. بينما أنا منهمك بدمي خشخشت عيدان القصب القريبة وإذا بأوري يزحف نحو ظل شجرتي النادرة والدّم يتدفق من ثقوب جسده.. طلب ماءً فأعطيته.. حدثني عن هتلر فحدثته عن هتلر وموسوليني ودير ياسين ثم سألته بأدب جمّ: هل أستطيع أن أعلم لماذا أطلقت عليّ الرصاص؟ قال: لأنني أكرهك، قلت: لماذا تكرهني؟ قال: لأنّك تكرهني.. قلت: هل حاولت مرة أن تعثر على جذر الكراهية؟ قال: تكرهني لأنني أحبّ إيلانة، قلت: لا، أنا أعرف دنيا وأحبها، فلماذا لا ترى أيها الفتى المسكين أنني أملك المبررات للدفاع عن حبي وأنك لا تملك المبررات للدفاع عن كراهيتك، صاح ساخراً: (دنيا) هذه التي تتحدث عنها لا وجود لها البته، الحقيقة الوحيدة هنا إيلانة» ص٧٠، ٧١.

> **يتركز تميُّز الخطاب الذي حملته الرواية في قدرته الفائقة على الرمي إلى المستقبل ومد أفقه إلى ما بعد عالم النص!**

- **المشهد الأخير: ما بعد القيامة:**

من الذي سيكسب في نهاية هذا الحوار؟ إن التاريخ الذي لا يمكن أن يقسر في سيرورته الطبيعية بتدخلات همجية من الخارج هو الذي يجيب عن هذا السؤال، فمن كان في البدء سيبقى إلى الأبد «في البدء كانت دنيا وستبقى دنيا إلى الأبد» ص٧٣.

وليرفع الصهاينة «الأعلام المستحيلة للنصر المستحيل، فوق القمة المستحيلة» ص٧٤.

المستقبل الثاني: الهاوية

المستقبل الثاني الذي رمي إليه الخطاب (وهو مستقبل استنتاجي نسبي) يوصف فيه الحدث السلبي في مسيرة الصّراع، بل في المسيرة الحضارية العربية وفي مسيرة منطق التاريخ؛ النكسة التي يعايشها المجتمع العربي في كل مراحله، فكأن الخطاب بامتداداته وانفتاحاته كان شاهد الماضي على المستقبل، وقام بوضع مناقشة للحدث قبل قيامه وأصدر حكمه بسقوط المستقبل في الهاوية.

٤- ترميزات الخطاب

من أهم تجلّيات الخطاب الرئيسية على المستوى الفني: التجلي الرمزي، ويقوم النصّ على مجموعة من الرموز أهمها ترميز الليلك وترميز الفصول التي قسم إليها روايته. ونستطيع القول: إن جميع التجليات الخطابية الأخرى كانت تعتمد الرّمز في عرض دلالاتها، وكان النصّ الرّمزي بكل وحداته الرمزية (سواء ما كان منها في أدنى الوحدات النحوية وما كان في أعلاها) غنيًا بالحالة الشعورية والمنطقية والعاطفية.

قسّم النص بنياته الدالة إلى مجموعة بنيات عنونها بعناوين ذات دلالات خطابية متوازية مع دلالات الخطاب الرئيسية، وكانت العناوين ذات أبعاد كونية تنزع إلى الرموز الغيبية العليا؛ ففي البداية نجد «الانشقاق» عنوانًا لفصل الافتتاح وهو مرتكز للوصول إلى الفصل الأخير «القيامة». وتلخص هذه العناوين سيرورة الفعل الرّمزي الذي يرمي إليه الخطاب وهو الانشقاق القيامي بين العرب والصهاينة والوصول إلى القيامة في هذه العلاقة؛ إذ لا يمكن أن يقوم الليلك الضبابي بالجمع بين المتضادين الطبيعيين (العرب، والصهاينة). ويبدو أن الخطاب استفاد في هذه العناوين من الرموز الدينية ووظفها بنجاح ضمن سلسلة؛ بل ضمن خطٍ بيانيٍ تطوّريٍ ابتدأ بالانشقاق الذي لم يسبقه اتّصال؛ وهو كما يبدو انشقاق عن الذات وليس عن الآخر، وانتهى بالقيامة، وقد قام الليلك بوصفه رمزاً بمحاولة التوسّط في هذا الانشقاق وإعادة المنشقات غير المتجانسة إلى التآلف. ولكن القيامة تُعلن ضدّ الليلك؛ وهنا يعلن الخطاب انتصار الفلسطيني على ذاته عندما يضبط الليلك في لحظة وضوح ويرسله إلى الجحيم.

(*) إلى الجحيم أيها الليلك: رواية في السيرة الذاتية (أوتوبيوغرافية) للشاعر سميح القاسم، منشورات دار ابن رشد، سلسلة من أدب الأرض المحتلة.

www.ahlaltareekh.com

لمحات من تكويني وتجربتي الأدبية

نجيب سعيد باوزير

بدأت علاقتي بالأدب منذ وقت مبكّر، ولأمرٍ ما ظلت راسخة في ذهني بشكل واضح - على الرغم من أنني كنتُ صغيراً - ذكرى إحدى الجولات التي كان والدي يصطحبني فيها في بعض الحقول التي تحيط بالغيل انتظاراً لمدفع الإفطار في رمضان. فقد أسمعني في تلك الجولة بيتًا للشاعر الفيلسوف أبي العلاء المعري يقول فيه:

عوى الذئبُ فاستأنستُ بالذئب إذ عوى
وصوَّت إنسانٌ فكدت أطيرُ

هذه الواقعة تلخص - كما أعتقد - عدة أمور تتعلق بشخصيتي:

فهي من ناحية تصور أسلوب الوالد، رحمه الله، في تربيتي، ومحاولته تعويد أذني سماع بعض الأقوال العربية الرصينة، وأخذه كأمر مسلَّم أنني يمكن في تلك السن أن أستوعب مثل هذه الأقوال. ويبدو أنني فعلاً كنت متجاوبًا معه وحفظت البيت السابق مثلاً منذ تلك التاريخ. ومن ناحية أخرى لم يكن الأمر مجرد أصوات لغوية وجرس موسيقي وحسب؛ ولكن الوالد ربما كان - بشكل غير مقصود تمامًا - يبث في نفسي روح فلسفة المعري ونظرته إلى الحياة، تلك الفلسفة والنظرة التي أدركت عندما كبرت أنه كان معجبًا بها، وإن لم يكن بالضرورة مؤمنًا بها أسلوب حياة.

ومن ناحية ثالثة ربما كان هذا البيت عنوانًا على بداية اكتسابي للحس الموسيقي وتربية الملكة والاستعداد لتذوق الإيقاع الشعري واللغوي، هذه الملكة التي ظلت تنمو فيما بعد من خلال النصوص الشعرية أو المحفوظات، كما يسمونها، التي كنا ندرسها في المدرستين الابتدائية والوسطى، ومن خلال الاطلاع الخارجي الخاص على بعض الأشعار القديمة والحديثة التي كانت تصل إلى يدي. فقد كنت أقلب باستمتاع كتاب «تاريخ الأدب العربي» لأحمد حسن الزيات أو لعمر فروخ، وأقف عند بعض النماذج التي تصل إلى قلبي لسلاستها وقربها إلى فهمي مثل معلقة عنترة، وإن كنت أجد متعة كذلك في ترجيع بعض الأبيات ذات الألفاظ العويصة مثل مطلع معلقة لبيد بن ربيعة العامري:

عَفَت الديارُ محلّها فمقامها
بمنًى تأبّد غولُها فرجامها

كما كانت توجد في مكتبة الوالد نسخة من مختارات الشاعر البحريني إبراهيم العريض من الشعر الحديث، والتي تغطي فترة زمنية تمتد من مطلع القرن حتى عام ١٩٥٠م، كما هو مذكور على غلاف الكتاب، وتضم مختارات لعدد من الشعراء العرب ابتداءً من إسماعيل صبري والبارودي إلى الشعراء الذين بدؤوا بالبروز مع منتصف القرن مثل نزار قباني ونازك الملائكة وبدر شاكر السياب. وقد احتوى الكتاب على شاعرين فقط من اليمن هما محمد عبده غانم ومحمد محمود الزبيري. وعلى الرغم من أنني لا أزعم أنني قرأت هذه المختارات بكاملها؛ إلا أنها كانت من الكتب التي فتحت لي كوة على هذا العالم الجميل.. عالم الشعر. وأظن أنه كانت لديّ في ذلك الوقت بداية قدرة على التذوق وتخير القصائد والمقطوعات التي تروق لي فأقف عندها طويلاً، وربما حفظت بعضها أو بعض الأبيات منها، ومن ذلك مقطوعة الزبيري المسمّاة في الكتاب «لحظات الإشراق» ويقول فيها:

www.ahlaltareekh.com

أحس بريح كـــريح الجِنان
تهب بأعـــماق روحي هبـــوبا
وأشــعــر أن القــوافي تدبُّ
كـالنمل ملء دماغي دبيــبا
فـــهـــذا يزوغ وهذا يروغ
وذلك يذعن لي مستجيبا
وذاك يفـــارقني يائسـا
وهـذا يواعــــدني أن يؤوبا
ومنهـــا أوزع للعـــالمين
طهـرًا وأنشـر في الأرض طيـبا
إذا لمست مـهـجـتي لمسة
توثب قلبي بصـدري وثوبا
أخلف فـيـهـا لقـاح المنى
وأنجب للأرض منها شعوبا
أسلم نفـــسي لهـــا ذاهلاً
حريصًا عليها بشوشًا طروبا
وأصـــغي لهـــا هادئًا تارة
وأنصت حينًا عبوسا غضوبا
ولولا اهتدائي لسـرِّ النبوغ
وأعـراضـه لطلبت الطبيـبا

ومنها قصيدة ميخائيل نعيمة «النهر المتجـمـد»، وقصـائد إيليا أبي ماضي والشابي وغيرها.

ولكن سبقت هذه المرحلة التي تتزامن مع الدراسة المتوسطة مرحلة الانتقال بين الابتدائية والمتوسطة، وكانت مدة كل مرحلة من المرحلتين أربع سنوات. في تلك المرحلة المبكرة كان زادي من القراءة كتب الأطفال لمحمد عطية الأبراشي وكامل كيلاني، ثم تلك المقتبسة من «ألف ليلة وليلة» و«كليلة ودمنة»، والسِّير الشعبية مثل «سيرة الأميرة ذات الهمة» و«سيرة سيف بن ذي يزن» التي كانت تتكون من عدة أجزاء كما أذكر، وكنت أعتز بها ضمن مكتبتي الصغيرة آنذاك، إلى جانب بعض كتب سلسلة (أولادنا) مثل «جزيرة الكنز» و«دون كيشوت». ثم عـرَّفني والدي، رحمه الله، عالَمَ المنفلوطي وقدم لي كتبه التي تستدر الدموع. وعلى الرغم من أن أسلوب المنفلوطي البليغ الرصين قد يبدو أكبر مما هو مناسب لسني؛ إلا أنني استطعت أن أنجح في محاولة قراءة تلك الكتب بتشجيع الوالد الذي لم يكن يقسرني على شيء، ولكن كانت الرغبة موجودة عندي، وكان يكتفي بالإيحاء والتوجيه الهادي فقط. فقرأت «العبرات» ورواية «الفضيلة أو بول وفرجيني» وهما أبرز كتابين أذكرهما تمامًا للمنفلوطي لأنهما كانا أثيرين لدى الوالد نفسه، وما زالت نسخة «العبرات» التي آلت إليّ من مكتبة الوالد موجودة في مكتبتي وعليها إهداء من مستشرق اسمه «وطس».

ومن ناحية أخرى كنت أجد لدى والدي اهتمامًا بالاستماع إلى الموسيقى والغناء دون أن يتعارض ذلك مع اهتماماته الجادة في مجالات مختلفة، أو مع التزامه الديني والأخلاقي. وسرى إليّ هذا الاهتمام؛ فتعرفت وأنا صغير من خلال المذياع إلى كلِّ المشهورين من المطربين في ذلك الوقت وأغانيهم الذائعة، سواء أكانوا من المحليين أم العرب. وربما كان بيتنا أول بيت في البلدة (غيل باوزير) يدخله جهاز المسجل في شكله القديم ذي البكرات الدائرية في أواخر الخمسينيات قبل ظهور الكاسيت. بل أذكر أنني رأيت في بيتنا منذ عهد بعيد جهاز الجراموفون أو الفونغراف الذي كان أسبق من المسجل، واستمعت عليه إلى بعض أسطوانات الأغاني المصرية الشهيرة. ومعلوم أن الغناء يرتبط أو يعتمد على الكلمة الرقيقة المنغّمة، وقد ساعدتني هواية الاستماع إلى الموسيقى والأغاني على تكوّن أذن موسيقية عندي، وقدرة على حفظ الألحان وأدائها بشكل جيد. ولعل ذلك مما ساعد أيضًا في تنمية ملكة الشعر عندي التي أفصحت عن نفسها في السنة الأخيرة من المرحلة المتوسطة، أو ربما قبلها، بتشجيع من مدرس اللغة العربية الفلسطيني الأستاذ نعيم عودة الذي كان هو نفسه شاعرًا رقيقًا. أذكر أنه نشر مرة إحدى قصائده في صحيفة «الطليعة» التي كانت تصدر في المكلاّ، وقد عرضتُ عليه تجاربي ومحاولاتي الأولى وأثنى عليها وصحح بعض عثراتها. كما عرّفني مع بقية الصف بحورَ الشعر من خلال منظومة معروفة يرد في الشطر الأول منها اسم البحر وفي الشطر الثاني تفاعيل البحر، فمثلاً لبحر الطويل:

طويل له بين البحور فضائل
فعولن مفاعيلن فعولن مفاعل

ولبحر الوافر:

بحور الشعر وافرها جميلُ
مفاعلتن مفاعلتن فعولُ

كذلك درّسنا في السنة الأخيرة الأستاذ الراحل عبدالله الملاحي، وهو شاعر أيضًا، وكان يختبر محفوظنا من الشعر بإجراء مساجلات شعرية داخل الصف. ومن الطريف أن مدرس اللغة الإنجليزية السوداني في السنة الأخيرة، الأستاذ الإمام، وهو مقتدر في مادته، كان كذلك مولعًا باللغة العربية وبالشعر، وفي إحدى المرات أسمعنا من حفظه قصيدة الحطيئة التي تروي قصة مكتملة العناصر والتي يقول في مطلعها:

وطاوي ثلاث عاصب البطن مرملٍ
ببيداء لم يعرف بها ساكنٌ رَسْما

وكان ذلك كله يسهم في دفعي إلى الاهتمام بالشعر وتذوقه.

ذلك كان عن المؤثرات ومرحلة التكوين الأولى، وتواصلاً معها واستكمالاً لامتلاك الأدوات المؤهلة لكتابة سليمة متماسكة جاءت مرحلة الدراسة الثانوية عندما انتقلت إلى مدينة المكلاّ. وفي بدايتها كنت متعلقًا بديوان شعر للشاعر صالح جودت اسمه «ليالي الهرم» أدخلني بعمق في دائرة التأثير الرومانسي، ولاسيما أن تلك الطبعة الأولى الأنيقة من الديوان كانت تحوي مقدمة جميلة يتحدث فيها صالح جودت عن مكوناته، ويذكر رفقته ومصاحبته للشعراء علي محمود طه وإبراهيم ناجي ومحمد عبدالمعطي

www.ahlaltareekh.com

الهمشري، وكلهم من أعمدة الرومانسية برقتها وتحليقها وحزنها الجميل؛ مما جعلني أتتبع ما يمكنني أن أصل إليه من نماذج شعرية لهؤلاء الشعراء. وكانت مقالات صالح جودت نفسه التي كان ينشرها في مجلة المصور ومجلة الكواكب وغيرهما من صحف دار الهلال مثار إعجاب ومتعة لي في تلك المرحلة بما تقدمه من خواطر وأحاديث في الأدب والشعر والفن، وما يتخللها من أبيات شعرية كان جودت بذوقه المرهف يُحلّي بها مقالاته تلك.

وفي المدرسة الثانوية، لا أدري في أي سنة بالتحديد، أعلن الأستاذ السوداني محمد المقبول عن مسابقة في كتابة الشعر، فما كان مني إلا أن تقدمت بإحدى قصائدي وفزت بالجائزة الأولى، وكانت ديوان الشاعر الأندلسي العظيم ابن زيدون، طبعة دار صادر، وما زلت أحتفظ بهذه الذكرى العزيزة وعليها توقيع الأستاذ المقبول. وأذكر أنه تعاقب علينا في المدرسة الثانوية في السنوات الأولى من عهد الاستقلال مدرسون عرب من جنسيات مختلفة؛ فمن سعودي إلى سوداني إلى سوري إلى مصري إلى جانب المدرس المحلي، وكلهم كانوا من المتمكنين في اللغة العربية وفي النحو. وتحضرني في هذا الصدد ذكرى مدرس محلي كبير الحجم خفيف الدم كان معتداً بنفسه اسمه جعفر المحضار.

وفي أثناء الدراسة الثانوية بدأت أحاول الخروج من الدائرة الرومانسية ومن دائرة الشكل العمودي عندما تعرّفت إلى رائد الشعر الحديث بدر شاكر السياب واقتنيت معظم دواوينه التي عثرت عليها في مكتبة بمدينة سيئون في أثناء زيارتي لها في عام ١٩٦٩م، تقريبًا، عندما كان أخي الأكبر يعمل هناك. وقد كانت تلك المكتبة، كما أذكر، زاخرة بالعديد من الإصدارات التي تمثل حركة الثقافة والأدب في الوطن العربي في ذلك الوقت، مما يجعلها ـ أي المكتبة ـ تمثل شيئًا من حالة الازدهار في عملية التواصل التي أخذت تنحسر بعد ذلك حتى الوقت الحاضر.

وكان أن كتبت أول تجربة لي في شعر التفعيلة، ثم تلتها محاولة أكثر نضجًا أتيت فيها على ذكر السياب بالاسم، وكانت تعبر عن الرغبة في الانعتاق من حالة الغيبوبة الرومانسية ـ إذا جاز التعبير ـ سواء أكانت حقيقية أم متخيلة، إلى خوض غمار التجربة ومعاناة الواقع. وربما كان من المستحسن أن أورد هنا المقطعين الأخيرين من هذه القصيدة التي أسميتها «.. وتراب!»:

الجنس الآخر
لحن ينساب بأغنيه
أو أمنيه
يدحوها وهم الشاعر
كرة بللوريه
تتراءى فيها كل الشطآن المجهولة
تكسوها بالورد خدود مطلولة
وجبين تنسدل عليه ألوف النغمات
من ليل الشعر الساحر
وهم وسراب
روحي شحبت لم يبق عذاب
ليذيب القلب الواجف والعقل المرتاب
وأنا ما زلت أغني.. أحلم
لم أسأم
لم يتند جبيني بالدم
أو ينشف مني الفم
لم أعرف لسع البرد الناشب في عري العريان
لم أعرف جوع الجائع أو عطش العطشان
لم أعرف إلا أشعار السياب
كل الناس وكل الأشياء الأخرى ما زالت
كوى حالمة في دنيا موصدة الأبواب
على طفل وكتاب
شيخ وكتاب
كتب وتراب..!

وقد ظلت هذه الرغبة وهذا التوق نزوعًا داخليًا يحرك فعاليتي فيما بعد للمشاركة في صنع الحياة من خلال الأدب نفسه، بينما ظلت علاقتي الأساسية دائمًا بالكتاب وبالكلمة، ولم أحاول أن أترجم أفكاري وتأملاتي إلى عمل على صعيد الواقع كالانخراط في نشاط سياسي منظم مثلاً، كما فعل السياب شاعري الأثير. كما أبعدتني دراستي للهندسة عن أن أنظر إلى موهبتي الأدبية نظرة جدية وأستثمرها منذ وقت مبكر في خلق علاقات وخوض مواقف تغني تجربتي وتعطيها أبعادًا جديدة. ومن المفارقات أنني بقيت أكثر من أربع سنوات في مدينة البصرة وعلى مقربة من أبي الخصيب



عبد العزيز الرفاعي

حيث تقع قرية جيكور ونهر بويب اللذان تغنّى بهما السياب في شعره، دون أن أفكر في زيارة هذه المواقع أو زيارة بيت الشاعر الذي كانت ابنته زميلة لي في كلية الهندسة ولكن في قسم آخر غير القسم الذي كنت أدرس فيه، ولم يحدث أن سعيت إلى التعرف إليها.

وعلى الرغم من ضياع كثير من مثل هذه الفرص من يدي.. وأهم هذه الفرص والخيارات الضائعة هو الالتحاق بكلية أدبية لدراسة الأدب العربي أو الإنجليزي وصقل موهبتي بالدراسة الأكاديمية، أقول: على الرغم من ذلك فقد كان من حسن الحظ أن استعدادي

www.ahlaltareekh.com

الأدبي وما اكتسبته من خلال تربيتي الأولى من معرفة وخبرة، كان هذا الاستعداد من الأصالة والقوة بحيث ساعدني على ألا أقع فريسة للحسرة. وكنت أشعر أن الأدب أو اللغة عندي أشبه بالسليقة التي تجري في دمي، إذ إن قراءاتي، في حقيقة الأمر، لم تكن مكثفة ولا منهجية، وما زال في نيتي وفي برنامجي أن أفرغ إن شاء الله لقراءة كثير من الكتب، ولاسيما كتب التراث إذا مد الله في عمري. وقد عبَّر والدي عن هذه النزعة الأدبية الفطرية عندي في تعليقه الشعري على صورة


إبراهيم العريض

لي أرسلتها إليه من البصرة وكان مقيمًا في مدينة جدة في ذلك الوقت، حيث قال:

شع في وجهه هدوء عجيب
ليس بدعا فإن هذا نجيب
نشأة صانها الإله وغـ
ـذاها بحب العلا مُرَبٍّ أريب

ثم يقول:

سوف يُدعى مهندسًا وهو با
لفطرة عندي مفكر وأديب

ومن ذكريات هذه المرحلة عندما فرقتنا الأيام وابتعدنا من الوطن الأم فذهبت أنا إلى العراق للدراسة ثم ذهب هو إلى جدة بالمملكة العربية السعودية فرارًا من جحيم الشيوعية، وكنا نتواصل أدبيًا من خلال المراسلة، أنه أرسل لي في إحدى المرات هدية تتكون من بعض المطبوعات الأدبية السعودية كان من بينها ديوان جميل للشاعر محمد عبدالقادر فقيه، من سلسلة المكتبة الصغيرة اسمه «أطياف من الماضي»، كتب مقدمته صاحب السلسلة الأستاذ الكبير الشيخ عبدالعزيز الرفاعي يرحمه الله. وهي مقدمة بديعة وقطعة من الأدب الرفيع تتناسب مع روعة شعر الأستاذ فقيه وعذوبته في الديوان الذي كتب والدي على ظهر غلافه هذا الإهداء:


صالح جودت

«إلى نجيب سعيد

من مهد البيان في الحجاز.. إلى حفظة اللسان في البصرة

ولو أن شوقي رحمه الله بُعث حيًا من قبره لقرّت عينه وهو يرى الحجاز قد عاد إليه قسه وسحبانه، ولعاد إلى مضجعه مطمئنًا إلى أن صرخته المدوية قد أحدثت صداها حين قال:

يا عكاظًا تجمع الشرق فيه
من فلسطينه إلى بغدانه
افتقدنا الحجاز فيه فلم نعثر
على قسه ولا سحبانه

س. ب

١٥ شعبان ١٣٩٥هـ».

تكويني وتجربتي الأدبية

ثم أنهيت دراستي للهندسة المدنية في البصرة دون أن أكون راضيًا عن تلك السنوات من عمري التي سلختها في تلك الدراسة، ولكنني حمدت الله على أي حال، وسعيت إلى تعويض ما فاتني من خلال الإصرار على ممارسة الهواية الأدبية والكتابة وتعريف نفسي من هذه الزاوية. وكان من ثمرة ذلك إصدار ديواني الأول «حلم الشاعر» في أواخر عام ١٩٨٣م.

وكان صدور هذا الديوان فرصة لأن يطّلع على شعري ناقد وأديب كبير مثل الدكتور عبدالعزيز المقالح، ويضمني مع الشعراء اليمنيين الشبان الذين تناولهم في كتاب «البدايات الجنوبية»، وهذا بحد ذاته إنجاز طيب.

وعلى الرغم من محاولتي كتابة القصة القصيرة والبحث النقدي وبعض الترجمات عن الإنجليزية، إلا أن الشعر ظل هاجسي الأول. وربما كان من الأشياء الإيجابية أنه ظل هواية عندي لا أقسر نفسي عليها. وكنت في بعض الأوقات أشعر أنني لن أتمكن بعد من كتابة شيء جديد. ثم فجأة وبشيء من التوجه أجدني بدأت قصيدة جديدة أسترسل فيها إلى أن أكملها وأجد في ذلك سعادة غامرة. وتركت نفسي على سجيتها فلم أحاول أن أساير الموجة التجريبية أو الحداثية، كما يسمونها، ووجدت أنني أميل إلى الكتابة بالطريقة العمودية بعد عدد من المحاولات التي كتبتها في شعر التفعيلة، وحاولت أن أختط لنفسي ضمن هذا الإطار التقليدي أسلوبًا خاصًا وشخصية متميزة، ولا أدري هل نجحت أم لا؟ وهذ يطرح إشكالية وجود النقد الحقيقي المواكب لحركة الأدب وقدرته على التقويم والتوجيه.

www.ahlaltareekh.com

الكتاب: النظام السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية.
المؤلف: د. أحمد بن عبدالله بن باز.
الناشر: دار الشبل للنشر والتوزيع والطباعة، الرياض، ط٢، ٣٦٠ص.

غلاف الكتاب

الكتاب دراسة وتحليل لتطور النظام السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية منذ قيامها حتى الوقت الحاضر.
ويقع الكتاب في بابين رئيسيين، شمل الباب الأول ثلاثة فصول، وتضمن الباب الثاني خمسة فصول، ثم خاتمة وعشرة ملاحق، وقائمة بالمصادر والمراجع.
الباب الأول: تحدث فيه المؤلف عن نظرية الدولة وأصولها وأركانها وخصائصها ودستورها. وقد جاء هذا الباب في ثلاثة فصول: تناول الفصل الأول الأسس القانونية والسياسية العامة لقيام الدولة، مثل مفهوم الدولة وتعريفها وأركانها والاعتراف بها. وتحدث الفصل الثاني عن أشكال الدول من بسيطة ومركبة. وتناول الفصل الثالث الدستور الذي يحكم الدولة، وأنواع الدساتير والرقابة على دستورية القوانين من سياسية وقضائية وغير ذلك.
أما الباب الثاني فجاء بعنوان: التطور السياسي والدستوري للمملكة العربية السعودية، وقد تناول فيه النهج الذي اتبعه مؤسس الدولة الملك عبدالعزيز، رحمه الله، والذين جاؤوا من بعده من أبنائه الميامين.
ويتكون هذا الباب من خمسة فصول: تحدث في الفصل الأول عن بناء الوطن، وتوحيده السياسي، ومرحلة بناء المؤسسات السياسية والإدارية والدستورية، والمقومات القانونية لقيام المملكة العربية السعودية. وركز في الفصل الثاني على النظام الأساسي للحكم، وبيّن فيه الهوية العربية والإسلامية للدولة والمجتمع، ونظام الحكم المتوارث بين أبناء مؤسس الدولة وأبناء الأبناء، وأن البيعة تتم للأصلح منهم على أساس الشريعة الإسلامية. كما تحدث عن مقومات المجتمع السعودي، وصلاحيات الملك، وسلطات الدولة القضائية والتنفيذية والتنظيمية، وحقوق الدولة وواجباتها تجاه العقيدة الإسلامية، وتجاه الفرد والمجتمع، والشؤون الاقتصادية والمالية، ووضع الأجهزة الرقابية المالية والإدارية، وأوضح خصائص النظام الأساسي للحكم.
وناقش في الفصل الثالث أعمال السلطات القضائية التي تسير وفق أحكام الشريعة الإسلامية، واستعرض نشأة النظام القضائي وتطوره في الحجاز أولاً، ثم في نجد وملحقاتها، والمبادئ العامة للنظام القضائي السعودي، وعلى رأسها استقلال القضاء، وتنظيمه واختصاصات المحاكم المختلفة، والقضاء الإداري بكل فروعه.
وخصص الفصل الرابع لمجلس الوزراء، وكيفية تشكيله واختصاصاته وصلاحياته، وشروط العضوية، والنظام الداخلي للمجلس، وديوان المجلس وأمانته العامة. واستعرض الوزارات واحدة واحدة وبيّن اختصاصاتها.
وعقد الفصل الخامس لمجلس الشورى، وبيّن نشأته وتطوره، وناقش تكوين المجلس ودوره، وعدد أعضائه واختصاصاته وصلاحياته، والتعديلات التي طرأت عليه، ونظامه الداخلي وتشكيل لجانه، والعلاقة بين المجلس والحكومة، وشروط عضويته، وحقوق الأعضاء وواجباتهم، وصلاحيات رئيس المجلس ونائبه.. وختم الكتاب بخاتمة أوجز فيها موضوع الكتاب ورؤيته الخاصة، وختم الكتاب بفهرس للمحتويات.

الكتاب: حداء الصحراء (ديوان شعر).
المؤلف: خالد بن محمد الخنين.
الناشر: دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ٢٢٥ص.


خالد بن محمد الخنين

غلاف الكتاب

هذا هو ديوان الشعر الثاني للشاعر خالد بن محمد الخنين بعد الديوان الأول الذي صدر قبل ثلاثة أعوام بعنوان: «الرياض العشق الأول». وتفوح من هذا الديوان نسمات شعراء البادية العذريين، ويبدو تأثير البيئة واضحًا في صور الشاعر وأخيلته وموضوعاته.
والذي يقرأ الديوان يلمح فيه مزجًا بين الحديث عن حبه لمحبوبته التي قصر عليها حبه وما تطلعت نفسه إلى غيرها، وما عشق سواها، ولعلها رفيقة العمر الطويل، والحديث عن حب وطنه وأرضه، وطن

www.ahlaltareekh.com

الآباء والأجداد بكل ما تشيعه هذه اللفظة من عظمة ومجد وعزة وكرامة وإباء وشموخ. وكثيرًا ما نراه يفخر بهذا الوطن وبرايته الخضراء، وبأهله الأباة الذين ما لانت قناتهم لباغ ولا انكسر جناحهم يومًا؛ بل هم دائمًا، وبكل زهو وحماسة، يتطلعون إلى العلا فوق ذرا المجد. ويتذكر الشاعر أمجاد الأمويين الذين شادوا الصروح في كل مكان، ويفخر بمكة المكرمة وطيبة المنورة التي انطلقت منها أمة المجد والفخار.

ونراه كثيرًا يحن إلى محبوبته، ويمتزج هذا الحنين بالحديث عن الغربة والبعد المبرح والشوق المستعر في ضلوعه إلى اللقاء القريب. كما يتحدث عن العودة القريبة والانتظار واللقاء والرسائل. ونراه يشبه محبوبته بالوردة والنجمة والقمر المنير والبدر الوضيء والعصفور المغرد.

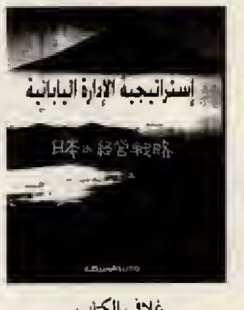
وفي الديوان حديث عن مسقط رأسه «الدلم»، وحبه لهذه المدينة الشماء الجميلة الفاتنة، كما يصفها، وحديث عن ذكرياته فيها.

وفيه أيضًا حديث رقيق عن حبه للشام وورودها وياسمينها ورقتها وعذوبتها، وكلام طويل على أصحابه الأوفياء في تلك الديار التي ارتبط بها وجدانيًا.

ونلمح حديثًا قويًا مدويًا عن القدس الجريح، وفلسطين العاتية علينا. والشاعر يدعو إلى رفع راية الجهاد، وصهيل الخيول، وصليل السيوف؛ فهو يرى أن القدس لن تتحرر إلا بالجهاد، ولن تعود الأرض إلا إذا عُطِّرت بدماء الأباة.

وفي الديوان قصيدة عن الأندلس تفيض باللوعة والأسى والحزن على تلك البلاد الضائعة، والمشتاقة إلى العرب المسلمين، ويطلق صرخة مدوية لإعادة الأندلس.

هذا أهم ما يستوقفنا في ديوان الشاعر من أغراض. ولا تغني هذه الكلمة الموجزة عن قراءة الديوان بطبعته الأنيقة.



غلاف الكتاب

الكتاب: استراتيجية الإدارة اليابانية.
المؤلف: د. إبراهيم عبدالله المنيف.
الناشر: مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ٣٥٥ص.

يحاول المؤلف، من خلال الفصول الأربعة التي اشتمل عليها الكتاب، الإجابة عن سؤال محوري: كيف نشأت المعجزة اليابانية في التنمية والبناء؛ تلك المعجزة التي وقف العالم أمامها مشدوهًا، ولا يزال؟ وهو يرمي بذلك إلى تعريف الإداريين العرب من أين جاء اليابانيون بوسائل إدارية مبتكرة ونابعة من الجغرافية والتاريخ والديموغرافيا والقيم الاجتماعية، والقراءة الذكية للتراث.. أدت إلى بروز ما أصبح معروفًا بالمعجزة اليابانية.

وفي سبيل الإجابة عن هذا السؤال المحوري قام المؤلف بطرح جملة من الأسئلة الارتكازية التي تسلط الإجابة عنها الضوء على موضوع الكتاب. ومن تلك الأسئلة: كيف تحققت لليابان التنمية والتطوير مع ندرة الثروات الطبيعية؟ من أين جاء اليابانيون بأسلوبهم الإداري المحلي والمختلف عن المفاهيم والنظريات الإدارية الغربية؟ ما القوى الدافعة التي أسهمت في نجاح التجربة الإدارية اليابانية؟ لماذا تحققت المعجزة اليابانية ولم تتحقق لدول أخرى توافرت بها الموارد الطبيعية؟، هل يمكن بناء نماذج ومناهج إدارية عربية نابعة من استراتيجية إدارية عربية من البيئة العربية؟.

ولما كان موضوع الكتاب هو كشف أبعاد الاستراتيجية الإدارية اليابانية ومضامينها وأسرارها؛ فقد ناقش المؤلف مصطلح الاستراتيجية الذي ظهر في القرن التاسع عشر في كنف العسكريين، وعرّف المصطلح، وكيفية انتقاله من ذهن القادة العسكريين إلى الدراسات الأكاديمية وحقول المعرفة الأخرى.

وهو يصف الإستراتيجية الإدارية بأنها «أسلوب أو وسيلة تنبع من تفكير خلاق ابتكاري وإبداعي، وتُبنى من جراء تصنيف الأحداث ومزج المتضادات بطريقة قيادية ونقلها إلى حيز التنفيذ عن طريق إعداد الأهداف والأغراض والخطط والسياسات والإجراءات»؛ فالاستراتيجية الإدارية وفق هذا التعريف «بصيرة وإرادة قبل كل شيء.. وهي مهمة قيادية موجهة ضمن إطار محدد للخيارات المبنية على قوة الدفع لدى القائد وشركته الإدارية».

وبعد التأسيس بطرح الأسئلة وتأطير مفهوم الاستراتيجية الإدارية، كثّف المؤلف تناوله الاستراتيجية اليابانية التي انبثقت من بيئتهم المحلية، وأوصلت اليابانيين إلى المستوى العالمي في التنمية الشاملة، وانطلق في ذلك من عبارة موحية عميقة الدلالة أوجز فيها أحد وزراء التنمية اليابانيين سر تجربتهم المعجزة إذ قال: «إننا أتينا بأساليب متضادة بالكامل مع ما ذهبت إليه النظرية الاقتصادية، أو مع ما ذهب إليه المنهج الأمريكي».

ثم تناول الكاتب الثوابت والمتغيرات الأساسية في البيئة اليابانية، وركز على القيم الاجتماعية للإنسان الياباني التي حددها في الانتماء إلى الأرض والثقة المتبادلة والجماعية والجدية في العمل وبناء القدرة الذاتية وديمومة الوظيفة والاهتمام بتقويم الأداء. بعدها تناول الاستراتيجية الإدارية، ثم أفاض في الحديث عن المفاهيم والأسس الإدارية اليابانية. وفي الخاتمة قدم خلاصة لأهم ما في الكتاب من أفكار، وما خلص إليه من استنتاجات، وأورد في نهاية الكتاب بعض المصطلحات اليابانية، وقائمة بالمراجع العربية والأجنبية.

www.ahlaltareekh.com

نتعلم لكي نعيش كرماء

نحتاج

إلى

مكتب الرياض



تحفيظ القرآن الكريم

كفالة داعية

دعم المدارس والمعاهد

كفالة طالب علم

حقيبة مدرسية

كفالة المعلم

٤٩٣٠٠٣٣

www.ahlaltareekh.com

عندما يدور الشهر.. أو يستدير القمر

أنت على موعد دائم مع

الجيل

«الصحافة الشابة لكل الأجيال»

AL JEEL







تقرأ فيها باستمرار:

- معالجات عميقة وجادة وشيقة لأحداث الرياضة السعودية والعربية والعالمية.
- لقاء مع نجوم الرياضة في مختلف الألعاب.



- تحقيقات في مختلف المشكلات والقضايا الاجتماعية الشبابية.
- حوارات مع كبار المفكرين والأدباء والفنانين.
- دراسات نقدية لروائع الأدب، ومتابعات لأحداث الفن والثقافة.
- إبداعات الشباب في مختلف الفنون الأدبية.
- كل ما يهم الأسرة من طب وعلوم وتربية واقتصاد.

لكل ذوق.. ونحن نرضي كل الأذواق

مع «الجيل».. أنت تقرأ في كشكول الحياة

www.ahlaltareekh.com

صناعة الزجاج في الحضارة الإسلامية

د. علي جمعان الشكيل

لا يُعرف بالضبط تاريخ اكتشاف الزجاج(١)، كما هو الحال بالنسبة لكثير من المواد التي نستعملها في هذا الزمان، وقد قيل: إنه عُرف منذ أكثر من خمسة عشر قرنًا من الزمان قبل ميلاد المسيح عليه السلام. ويُذكر أن اكتشاف الزجاج تم مصادفة عندما كان بعض التجار الفينيسيين يطبخون وجبة على ساحل البحر، في إناء وضع دون قصد على كتلة حجر رملي في وجود القلي. وقد استرعى اتحاد الرمل مع القلي انتباه الرجال مما أدى إلى محاولات لتقليده حتى تطورت صناعته.

عرف الفراعنة الزجاج منذ خمسة أو ستة آلاف سنة قبل الميلاد، وصنعوا منه فصوصًا وزينات تميزت بدقة الصنع وغاية الجمال. أما زجاج النوافذ فقد ذُكر منذ سنة ٢٩٠ ميلادية واستعملته العامة في أوربا منذ القرن الخامس عشر الميلادي، واستُخدم قبل ذلك بعدد من القرون في العالم الإسلامي.

احتكرت فينسيا صناعة الزجاج في أوربا خلال القرون الوسطى، ومن الغريب أن الزجاج لم يُصنع في إنجلترا ولا في ألمانيا حتى القرن السادس عشر(١، ٢)؛ بينما ظهرت أعمال الزجاج في الولايات المتحدة في سنة ١٦٠٨م في مدينة جيمس تاون بولاية فرجينيا، وفي سنة ١٦٣٩م في مدينة سالم بولاية مساشوسيتس. وظلت الصناعة مدة ثلاثة قرون بعد ذلك يدوية.

من الناحية الكيماوية كان التطور الوحيد في صناعة الزجاج منحصرًا في تقنيات المواد الأولية، وزيادة اقتصاديات الوقود، وبقيت صناعةالزجاج قبل ١٩٠٠م فنًا بخلطات سرية، وكان إنتاجه يعتمد أساسًا على الخبرةالشخصية.

في عام ١٩١٤م طور «فوركولت» في بلجيكا السحب الآلي لألواح الزجاج، فبدأ عصرٌ جديدٌ في تقنيات إنتاج الزجاج المسطح. ثم توالت الاختراعات للإنتاج السريع للقوارير وانتفاخات المصابيح الضوئية، وهلم جرًا.

عمل آلاف الأشخاص في مجال صناعة الزجاج منذ بداية معرفته، منهم الحرفي والفنان والصانع، كما يُرى في تاريخ الزجاج. ولعل أحسن مرجع لتاريخ الزجاج هو آلاف القطع الزجاجية الموجودة في متاحف العالم اليوم، والتي تحكي كل منها قصة رائعة عن نفسها، وتعكس فكرة صاحبها وتقنياته، وطريقة حياته، ونوعية عصره في الفترة التي صنعت فيها، حيث تُرى عصور من الخبرة وعدد لا حصر له من الاختراعات التي طورتها أجيال بعد أجيال في عصور البشرية المختلفة.

واليوم لامس الزجاج كل لحظة من لحظات حياتنا، وصنعنا منه أكوابًا وأباريق للشرب، وآنية وقوارير لحفظ العطور والسوائل والجوامد، وصنعنا منه أدوات الإضاءة، واتخذناه في النوافذ والأبواب ليحمينا من عاديات المناخ، وأدخلناه في صناعة أدوات اللهو والطب والزينة كالتلفاز والسيارة والأدوات الطبية والنظارات وأجهزة الاتصالات والطائرات ومركبات الفضاء.

www.ahlaltareekh.com

فهل يمكن تصور سهولة الحياة من دونه؟

الزجاج الإسلامي

انتهى تأثير الرومانيين في صناعة الزجاج باضمحلال الإمبراطورية الرومانية، وأنتجت أوربا بعد ذلك بعض أنواع القطع الزجاجية الرديئة، لعدد من القرون هي ما سموه بعصور الظلمات. ازدهرت في ذلك الوقت حضارة غرّاء في مكان آخر من العالم، حيث كان المولد الأول لصناعة الزجاج، هي الحضارة الإسلامية، التي أنتجت في ربوعها أصناف راقية من المصنوعات الزجاجية.

خلال مئة عام من قيام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة قامت دولة إسلامية مترامية الأطراف، ضمت فارس والهند والصين في الشرق، وحوت إسبانيا والبرتغال وصقلية غربًا. انصهرت تلك المدنيات القديمة وشعوبها في بوتقة الإسلام، وأنتج ذلك التزاوج والتلاحم أصنافًا من العلوم والمعارف والمهارات والتقنيات. وأخذ المسلمون من كل مدنية أحسن ما عندها، وتطورت علوم إسلامية راقية ومتقدمة جدًا، بالموازنة مع أوربا، في مجالات الرياضيات والطب والهندسة والكيمياء والبصريات والفلك وغيرها.

غرق العالم الإسلامي في بحور من الترف والمال. وازدهرت صناعة الزجاج، واقتنت ربات القصور أدوات فخمة من الأطباق والقناني

إبريق من البلور (الكريستال) الصخري، مصر، القرن العاشر الميلادي، موجود في سان ماركو بالبندقية (فينيسيا)

www.ahlaltareekh.com

والمزهريات والكؤوس وأدوات العطر والزينة المصنوعة من الزجاج الفاخر. وجمع الأمراء أدوات من الزجاج تشبه الأحجار الكريمة، أغلى من الذهب والفضة، نحتت عليها المناظر الجميلة والآيات القرآنية والنباتات المتكررة وبعض الحيوانات والأسماك والأشكال الهندسية بعد رسمها وحفرها بدقة لتترك المناظر والآيات بارزة وجميلة.

وتطور في مصر خلال الحقبة الإسلامية طلاء الزجاج بالميناء بلون فضي لامع. بعد طلاء الزجاج بمركبات الفضة يُسخَّن الإناء الزجاجي للحصول على ألوان بنية وصفراء.

وقد أنتج في دمشق أجمل الأدوات الزجاجية في العصر الإسلامي، وما زالت آثار براعة الشعب السوري الصناعية واضحة حتى الآن. وقد زار أحد الأوربيين دمشق في القرن الرابع عشر الميلادي ووصف أحد أهم مراكز صناعة الزجاج في العالم في ذلك الزمان كالآتي(٣):

«فيما يتعلق بشراء هذه المدينة... التي تبدي ثروة من الذهب والفضة وملابس الذهب والحرير وأدوات الذهب والفضة والبرونز، تبدت في أجمل صورها بفن عظيم على الطريقة السريانية في الزجاج، الذي زُخرف بطرق رائعة، وصُنع في دمشق، والذي لا أستطيع الكتابة عنه لعدم إمكانية اصطياده على الورق أو رسمه بالكلمات».

ربما كان الكاتب يتحدث عن تلك الفازات والمزهريات المطعمة والمطلية بالميناء، وقناني العطر وكؤوس الشراب التي صُنعت أولاً في حلب، ثم انتقلت صناعتها إلى دمشق، والتي بلغت ذروتها في العصر الإسلامي، ثم لم يُر مثلها بعد ذلك إلا بعد النهضة الأوربية.

وأبدعت صناعة الزجاج في سورية في العصر الإسلامي في صناعة مصابيح المساجد من الزجاج المطلي بالميناء، والذي يمكن أن يُرى في مسجد آيا صوفيا في إسطنبول (تركيا)، وفي جوامع كثيرة أخرى، في جميع أنحاءالعالم الإسلامي، والتي زُيّنت بمئات المصابيح المدلاة من سقوفها، حتى بدت كأنها سقوف من نور. وتحوي مصابيح المساجد إناء للزيت تطفو عليه ذبالة قطنية، تضيء المساجد وتزينها.

وانتهى عصر الزجاج الإسلامي عندما اجتاح تيمورلنك إمبراطور منغوليا العالم الإسلامي، ودمر مدينة دمشق؛ ففر بعض صانعي الزجاج إلى الغرب، واقتاد بعضهم الآخر إلى عاصمته سمرقند.



ساعة سويسرية عُملت لها هذه القاعدة الرائعة: حصان من البلور الصافي

www.ahlaltareekh.com

براعة الكيميائيين المسلمين في صناعة الزجاج

صناعة الزجاج من الصناعات الكيماوية(٤) المهمة التي سجل فيها علماء المسلمين نبوغًا وبراعة. وصناعة الزجاج من أدق الصناعات الكيماوية وأعقدها، ومن حيث موادها الأولية، وطرائق صنعها، وحاجتها إلى أيد ماهرة مبدعة وفنانة. انتشرت صناعة الزجاج في الحضارة الإسلامية، خاصة في فارس والعراق وسورية ومصر بشكل عجيب. وقد ذكر أبو الريحان البيروني (ت: ٤٤٠هـ) أن الزجاج يُصنع من الرمل مخلوطًا مع مادة القلي، وتسخن على النار وتصفى وتبرد حتى تكون على شكل بلورات(٥، ٦).

ومن مآثر المسلمين تفننهم وبراعة كيميائييهم في صناعة الزجاج بالألوان المختلفة، حتى أصبحت القطع المنتجة تُستعمل كأحجار كريمة، كما أنهم أدخلوا عليها تحسينات كثيرة بوساطة التزيينات الفسيفسائية.

وكانوا يصنعون الألواح الزجاجية الملونة وغير الملونة، وكذلك الصحون والكؤوس والقناني والأباريق والمصابيح وزجاجات الزينة لحفظ العطور، وغير ذلك، وافتنّوا في زخرفة هذه الأدوات زخرفة رائعة، وبألوان جميلة، وكُتب عليها أبيات من الشعر الرقيق(٧).

وابتكر المسلمون التزجيج، وما زالت روائع من أعمالهم في التزجيج باقية في واجهات المساجد والجوامع، وكذلك في الأبنية الأثرية، إضافة إلى ما هو محفوظ في المتاحف العالمية.

لقد استُخدمت الأصباغ المعدنية في هذه الصناعة الفنية، فلم تتأثر بالتقلبات الجوية، ولم تؤثر فيها حرارة الشمس المحرقة طوال مئات السنين الماضية(٨).

وعرف علماء المسلمين البلور وهو الزجاج الممتاز (الكريستال بحسب التعريف الكيماوي الحديث) الذي يحتوي على نسب مختلفة من أكاسيد الرصاص، وصنعوه بإتقان، وعرفوا منه نوعًا طبيعيًا. وما زال يُستعمل - كما استعمله المسلمون من قبل - في صناعة الأقداح والأواني والثريات، وكذلك في صناعة الخواتم وأدوات الزينة وكثير من الأدوات المنزلية. واشتهرت مدن عربية ببلورها الطبيعي مثل النجف وحلب، وصنعوا منه نظارات العيون، وكانوا يسمونها منظرة(٩).

ومن المعروف أن المسلمين استعملوا الأدوات الزجاجية في مختبراتهم وابتكروا الأنبيق والأثال، كما تدعى الأجزاء السفلى من آلة التقطير الحديث. واستعمل الكاثي في عملية التقطير فرنًا خاصًا تتجدد فيه مواد الاحتراق تلقائيًا، ويثبت الأنابيب الداخلية بعضها ببعض بوساطة قطع من القماش(١٠).

من أنواع الزجاج عند المسلمين

سماه المسلمون زجاجًا وقزازًا وقوارير، وعرفوا منه المعدني والمصنوع، وكانوا يسمون الزجاج الصافي بالبلور، وأجوده الشفاف الرزين، الكثير الأشعة، الكائن بجزيرة البندقية، فحلب. وقد صنعوا الزجاج بخلط جزء من

قنينة من زجاج بلا لون مع تصميمات مينائية وذهبية، سورية، الربع الثاني من القرن السابع الهجري

www.ahlaltareekh.com

القلي مع نصف جزء من الرمل الأبيض الخالص يُسبكان حد الامتزاج.

وعرف كيميائيوهم نوعًا من الزجاج يصير في كيان المنطرقات يُلف ويُرفع، وقد احتفظوا لأنفسهم بأسراره، وأشاروا إليه بالرموز، ويُعرف عندهم بالملوح به والمطوي(١١)، وصنعته: أن يؤخذ من المطلق والكثيراء ومكلس قشر البيض وثابت العقاب ومحرق الرصاص الأبيض والحلزون أجزاء متساوية تُسحق حتى تمتزج، وتُعجن بماء الفجل والعسل، وتُرفع ويضاف العشرة منها إلى مئة وتُسبك وتُقلب في دهن الخروع ويعمل.

أما البلور فقد صنعوه بخلط الأجزاء الآتية:

زجاج منطرق (١٠ أجزاء)، أسفيداج (٣ أجزاء)، زنجفر (جزءان)، شب (جزء واحد)، نوشادر (جزء واحد).

يُسحق الكل ثم يُسبك ليعطي بلورًا يُعمل فصوصًا، فإن وجد فيه نمش سُبك بالقلي ثانيًا.

والأسفيداج هو أكسيد الرصاص، ومن المعروف حديثًا أن الرصاص هو أهم مكونات الزجاج البلوري المعاصر، الذي يسمى بالكريستال.

وصنعوا زجاجًا فضي اللون بمزج كميات متساوية من كل من اللؤلؤ والنوشادر والتنكار والملح الأندراني يذاب بالخل، ويُطلى به الزجاج، ويدخل النار.

ومما يجعله عقيقًا أي بلور العقيق اليماني أن تذاب الخلطة التالية وتطلى به، ثم يدخل النار، والخلطة كالآتي:

مغنيسيا (٥)، فضة محرقة (٥)، زاج (٢.٥)، زنجفر (٢.٥)، كبريت (١).

أما إذا ضوعفت كمية الزاج في الخلطة المذكورة أعلاه، وأضيف بعض القلقند، كان لونه خلوقيًا.

ويُصنع الزجاج المعروف بالفرعوني بإضافة أربعة دراهم من قشر البيض المنقوع في اللبن الحليب أسبوعًا كاملاً، مع تغييره كل يوم وكل ليلة، إلى مئة درهم، وقد يضاف إلى ذلك مثله من المغنيسيا الشهباء والقلعي والفضة المحرقين، فيأتي فصوصًا بيضاء شفافة.

أما الزجاج الخارق الصفرة فيصنع بإضافة خمسه قلعي محرق بالكبريت الأصفر، وكذا المرتك، أما إذا أضيف مثل ربع القلعي أسربًا محرقًا، أو روستختج كان اللون أترجيًا.

وإن تم استبدال المغنيسيا ودم الأخوين وقليل الزاج بما سوى القلعي، وأبقيت القلعي على حاله كان أحمر، فإن تركت القلعي أيضًا على حاله وضممت إليه كربعه لازورد، كان سماويًا غاية(١١، ١٢).

وتستعمل الحبيقة أو الحبيقالة، تصغير حبق، وتسمى أيضًا حشيشة الزجاج، في



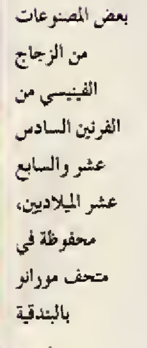
كأس زجاجية من صنع البندقية مموهة بالميناء، أواخر القرن الخامس عشر الميلادي (من محفوظات المتحف البريطاني)



قارورة من الزجاج المطلي بالميناء، سورية، ١٢٥٠-١٢٦٠م (من محفوظات المتحف البريطاني)

www.ahlaltareekh.com





بعض المصنوعات من الزجاج الفينيسي من القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين، محفوظة في متحف مورانو بالبندقية

جلي الزجاج. وكيفية عملها أن تُقطع وتُرمى في أواني الزجاج مع الماء وتحرك، فتجلوه بخشونتها وتنقيه(١٣).

التراكيب الزجاجية

يعرف العالم حاليًا قرابة ٨٠٠ نوع من التراكيب الزجاجية المختلفة، يتميز بعضها بخاصية واحدة، وبعضها الآخر يتميز بمجموعة من الخواص المتوازنة. وعلى هذا الكم الهائل من التراكيب إلا أن ٩٠٪ من جميع أنواع الزجاج المعروف يصنع من المواد نفسها التي استُعملت في صناعة الزجاج في الحضارة الإسلامية، وربما ما قبلها، وهي: الرمل والقلي بصورة أساسية. ويجب ألا يُفهم من هذا أنه لم يحصل اختلاف في التركيب خلال هذه الفترة، بل ما حصل هو تغير طفيف في المكونات الأساسية، وتغير كبير في المكونات الثانوية. فالمكونات الأساسية هي الرمل والكلس والقلي، وما غير ذلك



فهي مكونات ثانوية، حتى لو كان تأثيرها كبيرًا في النتائج.

وقد أعطت تحاليل الزجاج الإسلامية المثالية النسب التالية: ٦٥٪ أوكسيد السيلكون (السيليكا)، ١٥٪ أوكسيد الصوديوم، ٩٪ أوكسيد الكالسيوم وأكاسيد أخرى كأوكسيد المغنسيوم.

وقد استُخدم أوكسيد المغنسيوم لإنتاج زجاج شفاف نظيف لا لون له. ويبدو أن هذا التفسير معقول لأن أغلب الرمال تحتوي على أكاسيد الحديد التي تعطي الزجاج لونًا أخضر أو بنيًا. يؤكسد ثاني أوكسيد المغنسيوم الحديد، ويعادل اللون الأصفر الناتج

www.ahlaltareekh.com



بصبغته البنفسجية. ولعل هذا لم يكن معروفًا قبل أن يلحظه جابر بن حيان (ت: ٢٠٠هـ) ويظهر بعد ذلك في مؤلفات المسلمين. ومنذئذ أصبحت المغنيسيا مكونًا مهمًا في صناعة الزجاج كالقلي والرمل.

وأدخلت أكاسيد المعادن لإعطاء الزجاج اللون الأسود والأزرق والكحلي والأحمر والأصفر والأخضر(١٤).

انتقال صناعة الزجاج إلى أوربا

أدت عدة عوامل(١٥) إلى انتقال الزجاج الإسلامي إلى الغرب، منها أن فنيين مصريين أنشؤوا مصنعين للزجاج في اليونان، وبهذا أدخلت تقنيات الزجاج الإسلامي إلى الغرب، ولكن المصنعين حطما في عام ١١٤٧م، عندما اجتاح النورمانيون مدينتهم ففر الفنيون إلى الغرب؛ مما ساعد على النهضة الغربية في مجال صناعة الزجاج في العصور الوسطى.

وقد ذكرنا سابقًا أن بعض الفنيين قد فروا من دمشق إلى الغرب إبان اجتياح المغول للعالم الإسلامي وتهديم مدينة دمشق. وإضافة إلى هذا تم نقل بعض تقنيات صناعة الزجاج من المسلمين إلى الأوربيين في أثناء الحروب الصليبية وبعدها.

وأخيرًا تلك المعاهدة السرية التي وقعت في حزيران/ يونيو ١٢٧٧م بين بهموند السابع - أمير أنتيوش - وملك فينيسيا لنقل أسرار تقنية صناعة الزجاج إلى فينيسيا، وتم استيراد كل شيء من سورية؛ بدءًا بالمواد الأولية وانتهاءً بخبرة الفنيين السوريين أنفسهم. وحافظت فينيسيا بعدئذ على أسرار الصناعة بعناية فائقة، واحتكرت صناعة الزجاج في أوربا عدة قرون، حتى القرن السابع عشر عندما علمت فرنسا بالتقنيات المطلوبة وأسرارها، وانتقلت إليها صناعة الزجاج وأصبحت أهم مراكزها في العالم.





مجموعة من المزهريات الزجاجية من تصميم جوزف فنجر وريتشارد فيرزر (ألمانيا)

الهوامش:

1-Shand "Glass ENGINEERING Handbook,2nd Edn McGraw Hill N. Y 1958.

2- Austin Shreve's Chem, Process Ind, 3rd Edn, 1988..

3- A Short History of Glass. p41.

٤- د. علي الشكيل، الصناعات الكيميائية، سلسلة تبسيط العلوم والتكنولوجيا.

٥- د. علي الشكيل، في الحضارة الإسلامية، ص١٦١-١٦٢.

٦- د. علي عبدالله الدفاع، إسهام علماء العرب والمسلمين في الكيمياء، ص٦٤.

٧- د. جابر الشكري، الكيمياء عند العرب، ص٩٥.

٨- د. جابر الشكري، المصدر نفسه، ص٩٦.

٩- د. جابر الشكري، المصدر نفسه ص٩٧.

١٠- د. زيغرد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٣٢٦.

١١- داود الأنطاكي، التذكرة، ١/١٧٥-١٧٦.

١٢- المعتمد، ص٩٦.

١٣- المعتمد، ص٩٧.

١٤- د. علي الشكيل، الصناعات الكيميائية، سلسلة تبسيط العلوم والتكنولوجيا.

١٥- أحمد الحسن ودونالد هل، التكنولوجيا الإسلامية، ص١٥٣.

www.ahlaltareekh.com



حفل التراث العربي بأنواع شتى من التأليف، فلم يدع المؤلفون موضوعاً لم يكتبوا فيه، فقد ألّفوا في الموضوعات الجادة في دقائق العلوم والفنون، ولم يغفلوا الموضوعات الطريفة، كما خصوا كل موضوع بتأليف، وكل مسألة بمصنف، وكل فن بكتاب أو رسالة، في جد أو هزل.

كتاب التحف والهدايا للخالديَّيْنِ

غني عن القول ما للهدية من تأثير طيب في النفس البشرية، لا فرق في ذلك بين الغني والفقير، والصغير والكبير، فكلٌّ يحب الهدية، ويفرح بها، وتقع من نفسه موقعها، فيشكر من أهداها إليه، وتزيد محبته لديه، ولذا أمرنا رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم بتقديم الهدية، لأنه فيها زيادة المحبة بين الناس، فقال: «تهادوا تحابوا».

ولعظم شأن الهدية، فقد حفلت كتب الأدب العربي بالحديث عنها ضمن أبواب مفردة، أو في ثنايا هذه الأبواب والكتب، كما أن بعضهم قد أفرد الهدية بالتأليف، لكن لم يصلنا للأسف إلا النادر من هذه الكتب، مثل كتاب «الذخائر والتحف» لشهاب الدين أحمد المقري (ت:١٠٤١هـ)، وهذا الكتاب الذي نتحدث عنه، وهو كتاب «التحف والهدايا» للخالديَّيْن.

وقبل الحديث عن الكتاب، يحسن بنا أن نتحدث بإيجاز عن مؤلفي الكتاب، وهما الأخوان أبوبكر محمد وأبوعثمان سعيد، ابنا هاشم بن وعلة بن خالد العبدي، المعروفان بالخالديَّيْن. وأنا أنقل شيئًا مما كتبه محقق الكتاب في ترجمتهما ومنهجهما في الكتاب باختصار.

ولدا في الموصل، وتوفي أبوبكر محمد - وهو الأكبر - سنة ٣٨٠هـ، أما أخوه الأصغر أبوعثمان سعيد، فقد توفي سنة ٣٩٠هـ.

وقد اشترك الخالديان في قرض الشعر وصنعه وتفسيره وجمعه واختياره والتأليف فيه اشتراكًا عجيبًا، ندر أن يقع مثله في العصور العربية، وقد قال فيهما الثعالبي: وما كان يجمعهما من أخوة الأدب مثل ما ينظمهما من أخوة النسب؛ فهما في الموافقة والمساعدة يحييان بروح واحدة، ويشتركان في قرض الشعر وينفردان، ولا يكادان في الحضر والسفر يفترقان.

أما كتابهما هذا فقد قرأا من أجله كتب الأدب والأخبار والتاريخ، فأحصيا ما جاء فيها من فصول عن الهدية والعطية، فجمعا عيون ما جاء في ذلك ولطائفه، وسجّلا ما وقع من نوادر وقصص في الهدية، ما بين استحسان واستهجان للهدية أو للحادثة المرافقة لهذه الهدية، أو مدح أو ذم للهدية أو المهدي لها.

وأكثر هذه الأخبار لم يقع في كتب الأدب المعروفة المتداولة، كما أن أكثر الشعر والنثر الوارد في هذا الكتاب لم يصل إلينا في المصادر المطبوعة، فكتاب الخالديين يكمل كتب الأدب، ويحتل مكانًا خاصًا في جملتها، ولا يقل عن غيره من أمات الكتب في الأخبار والنوادر والأمالي.

وقد قسم المؤلفان كتابهما إلى أحد عشر بابًا، الأول: في ذكر من أهدى هدية معها شعر، والثاني: في ذكر من أهديت إليه هدية، فشكر عنها بشعر، والثالث: في ذكر من استدعى الهدية بشعر، والرابع: في ذكر من استدعى الهدية بغير شعر، والخامس: في ذكر شيء من أخبار الهدايا، والسادس: في ذكر من ذمّ ما أهدي إليه بنظم أو نثر، والسابع: في ذكر من استهدى شيئًا فُمنع أو مُطل به، فذمه أو استبطأه بشعر، والثامن: في ذكر من لم يقبل الهدية ترفُّعًا وردها تنزُّهًا، والتاسع: في ذكر شيء من أشعار من قصرت يدُه عن الهدية، فاقتصر على الدعاء، واعتمد على الثناء، والعاشر: في ذكر شيء من هدايا ملوك الأطراف للسلطان وكتبهم إليه، والباب الحادي عشر: في ذكر هدايا النوكى «الحمقى» وتحف المتخلفين.

ونورد هنا طُرفًا مما ورد في بعض هذه الأبواب: ذكر الخالديان أن الأخيطل الأهوازي أهدى إلى ابن حجر في يوم نوروز سهمًا وديناراً ودرهمًا وهذه الأبيات:

قل لابن حُجرٍ ذي السماح الخضرمِ
لا زلتَ كالورد نضيرَ الميسمِ
ونافذًا مثل نفاذ الأسهمِ
في عزّ دينار ونُجْح درهمِ

وأهدى أبو العتاهية إلى الفضل بن الربيع نعلاً وكتب معها:

نعلاً بعثتُ بها لتلبَسها
تمشي بها قدمٌ إلى المجدِ
لو كان يصلح أن أشرِّكها
خدّي، جعلت شراكها خدّي

وأهدت جارية ظريفة إلى فتى كانت تهواه تفاحةً معضوضةً، مكتوبًا عليها بذهب:

ليس هذا العضُّ من عيب بها
إنما ذاك رسول للقبل

ومما قيل في ذم الهدية: أن معمراً السدوسي أهدى إلى أبي الخطاب البهدلي جملاً مهزولاً، فكتب إليه أبو الخطاب:

أهدى إلينا معمر خروفا
كان زمانا عنده مكتوفا
يعلفه الكستج والسفوفا
والغارقون بعده مدوفا
حتى إذا ما صار مستجيفا
أهدى فأهدى قصبا ملفوفا
عظما وجلدا فوقه وصوفا
وكان من أفعاله موصوفا

قام على تحقيق الكتاب سامي الدهان، وجعل في آخره ذيلاً أورد فيه ما جاء في الهدية مما لم يرد في كتاب الخالديين هذا، وقد استقصى في هذا الذيل تسعة عشر كتابًا من كتب الأدب.

ونشر الكتاب في دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٦٥م.

غريب الألفاظ

- الكُستج: على وزن قُنفذ، الحزمة من الليف.
- السفوف: العلف اليابس.

الغارقون: أصله نبات. وقيل شيء يتكون في الأشجار المسوسة، وهو ترياق للسموم.

- المدوف: المذاب.

www.ahlaltareekh.com

دفتر المستقبل

إن ازدياد عدد الأدبيات التي تعالج شؤون المستقبل، إنما يدل على مدى القلق الذي ينتاب المجتمع البشري، ولا سيما القادة والعلماء، من جراء الأخطار الجسيمة التي تهدد مستقبل الإنسان والأرض. ومع أن رسم صورة دقيقة جداً عن اتجاهات المستقبل غير ممكن في الوقت الحاضر، فإن علم المستقبلية أصبح قادراً على إنارة الكثير من الدروب والاحتمالات التي تنتظرنا في العقود القادمة. وبين أيدينا الآن كتاب جديد من منشورات اليونسكو، صدر حديثاً باللغة الإنجليزية، وهو يعالج قضايا المستقبل من خلال محاور التنمية والاقتصاد والبيئة والتعليم.



تأليف:
فيدريكو مايور
عرض وتحليل:
ياسر الفهد

مستقبل التنمية والاقتصاد

يبين الكتاب أن مفهوم التنمية مرّ بعدة مراحل من التطور، منذ أن ظهر عدد كبير من الدول التي نالت استقلالها السياسي دون أن تتمكن من حيازة البنى الاجتماعية والاقتصادية والموارد التي تؤهلها لأخذ الأمور بأياديها، دون الاعتماد على الآخرين.

وفي البداية، أي في الستينيات كانت التنمية تعني تحقيق النمو الاقتصادي للدول المتخلفة، وتزويدها بالمساعدات المالية والفنية. وكان النمو يرتبط بزيادة الإنتاج، ولكن تبيّن فيما بعد أن النمو والإنتاج والمساعدات ليست كل شيء، وأنها لا تقدم لنا سوى أجوبة جزئية؛ ونتيجة لذلك، فإن النتائج المرجوة لم تتحقق، ومن ثمّ لا بد من أخذ عوامل أخرى كانت مهملة في الماضي في الحسبان، وهي العوامل التربوية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

وقد اتضح لرجال الاقتصاد أن المساعدات الخارجية ذات تأثير مؤقت، وأن الإمكانات المحلية هي التي يُعتد بها. وهذا لا يعني الدعوة إلى توقف المساعدات، بل لابد من استمرارها للحفز إلى عملية التنمية، وإن كانت الدولة هي التي تقرر بالدرجة الأولى وبوسائلها الخاصة ومواردها البشرية والطبيعية، طبيعة الحافز لديها؛ وهذا ما يُسمى بالتنمية الداخلية.

وفي عام ١٩٨٦م، وبجهود اللجنة الدولية للبيئة والتنمية، ظهر مفهوم التنمية المستديمة، وبعدها أصبح يشار إليها (بالتنمية المستدامة)، وهي تعني تحقيق الانسجام بين البشر أنفسهم من جهة، وبينهم وبين الطبيعة والبيئة من جهة ثانية. وبموجب ذلك، فإن النشاطات التي يقوم بها الإنسان لأهداف التنمية ينبغي أن تحترم البيئة، لصالح الأجيال الحالية والقادمة، التي علينا أن نورّثها إرثاً مفيداً وغير فاسد، كما أن التنمية أيضاً يجب أن تسير جنباً إلى جانب مع استثمار الطاقات البشرية كاملة، والممارسة العملية لحقوق الإنسان.

وفي الماضي، كانت الدول المتخلفة هي المعنية بالتنمية، وقد امتد هذا ليشمل الدول الآخذة بالنمو، ثم الدول المتقدمة نفسها. وبالنسبة إلى القرن القادم، يرى مايور أن التنمية

www.ahlaltareekh.com

المستقبلية، ينبغي أن تشارك فيها مؤسسات الأمم المتحدة والمنظمات الحكومية وغير الحكومية وجميع المؤسسات والحركات التعاونية وكل أعضاء المجتمع، وهو يعتقد أن الرأي العام في الدول المتقدمة، إذا لم يكن قد وعى في الماضي أخطار التخلف والفقر وتأثيرهما في استقرار العالم، فإنه سيفعل ذلك في العقود القادمة.

وفي نظره، أن المستقبل يعتمد على مدى التعاون بين الشمال والجنوب، وعلى ما إذا كان هذا سيتم بطريقة تأخذ في الحسبان رغبات الجنوب، وهو يشعر بالتفاؤل لأن تحسن العلاقات بين الشرق والغرب، لابد أن ينعكس إيجابيًا على العلاقات بين الشمال والجنوب، والتي لا تزال فجوتها تتسع باستمرار.

ولكن من جهة ثانية، فإن الكتاب ينظر ببعض التشاؤم إلى مستقبل الدول النامية. فهي، بسبب أزماتها الاقتصادية لا تستطيع أن تخصص مبالغ مالية كافية للعلم والتقانة (التكنولوجيا)، أو لتطوير مواردها. ومن المعروف أنه لا يوجد إمكان لتحقيق التنمية من دون إسهام العلم والتقانة.

فما على هذه الدول إلا أن تعمل إذن على استيراد التقانة ولكن تبين مع التجربة أن هذا لا يمكن أن يكون بديلاً عن الاستثمار الوطني في مجال الأبحاث العلمية والتطبيقات التقانية، كما يفسر أحيانًا بأنه نوع من الاستعمار الجديد، فضلاً عن عدم توافر القدرة على استيراد التقانة التي تلائم الحاجات المحلية، بدرجة كافية. ولكن من الوجهة المقابلة، فمع أن التنمية ينبغي أن تناسب الأوضاع الطبيعية والثقافية والتاريخية وغيرها لكل بلد، فإن من غير الممكن تكران المجتمع الصناعي والطبيعة العالمية للعلم والتقانة.

وينظر مايور إلى المستقبل التنموي للعالم بمنظار أخلاقي نبيل: وهو يرى أن جهود التنمية لا يمكن أن تنجح إذا اعتمدت على الموارد فحسب، فلا بد من أن يعترف كل واحد منا بالآخر داخل الأمة الواحدة، وأن تعترف كل أمة بباقي الأمم، وأن يعترف الأغنياء بالفقراء، والعلماء بأولئك الذين لم تتح لهم فرص التعليم، كما لابد من مد يد العون للمهاجرين واللاجئين والنازحين ولجميع الجياع في العالم. أي إن المؤلف يؤكد تأكيدًا خاصًا ضرورة التكافل والتضامن وقبول الشخص الآخر. وهذا يشكل موقفًا إنسانيًا بالغ الأهمية.

مستقبل البيئة

أما المحور الثاني الذي يتصدى له الكتاب فيتعلق بالبيئة. وهو يبين أن الأدبيات والصحافة والإذاعة والتلفاز، التي تعنى بقضايا البيئة، لا تفعل ذلك من خلال الاهتمام بمنطقة معينة أو بلد ما، وإنما على صعيد عالمي شامل. وليست هناك دولة واحدة، مهما كانت إمكاناتها واسعة، يمكنها بمفردها معالجة القضايا البيئية، فلهذه القضايا صفة دولية، وحلها لا يتم إلا بالتعاون والتضافر بين الأمم. وتواجه البشرية اليوم تغيرات عالمية تهدد مصادر الحياة في الصميم، فالدفيئة الغازية، وترقق طبقة الأوزون، وتلوث الأرض والماء والجو بمبيدات الذباب والسماد الكيماوي والنفايات الصناعية وقنوات تصريف المياه ، وازدياد الحوادث النووية والكيماوية التي تهدد المدن والمناطق المختلفة، تشكل جميعها أعراضًا لعدوان وحشي ترتكبه ضد كوكبنا الأرضي نشاطات الكائنات البشرية الذين تزداد أعدادهم وحاجاتهم وتقدمهم (التكنولوجي).

وبالإضافة إلى ما سبق، هناك ملايين الهكتارات من الغابات والأراضي الصالحة للزراعة التي تضيع سدى كل عام. كما لا ننسى مشكلة الاحتراق غير الكفي للوقود الحفري، وتقلص نظم الترشيح والامتصاص المتمثلة بالبلانكتون البحري والغطاء النباتي، مما يؤدي إلى تسخين المناخ الأرضي، ومن ثمّ إلى ارتفاع مستويات البحار، بما يتراوح بين ٣٠ - ١٠٠ سنتمتر خلال الخمسين سنة القادمة، في الوقت الذي يكفي فيه ارتفاع (٤٥) سنتمترًا لإحداث طوفانات في أكبر أنهار العالم مثل الميسيسيبي والنيل والغانج. ومن الواضح أن نماذج عاداتنا في الإنتاج والاستهلاك، وطرق نظرنا إلى الأشياء، هي المسؤولة عن الأخطار الجسيمة التي تهدد حياتنا نفسها، وليس مجرد المظاهر الكمالية فيها.

ويرى مايور أن التكاثر السكاني هو من أكبر عوامل عدم التوازن بين الإنسان والبيئة. وتشير آخر إحصاءات الأمم المتحدة إلى أن عدد سكان العالم يبلغ اليوم أكثر من ستة مليارات نسمة، وأن هذا الرقم سوف يقفز إلى ثمانية مليارات ونصف المليار في العام ٢٠٢٥م، وأن معظم المواليد الجُدد سوف يكونون في الدول الأكثر فقرًا. وهذا من شأنه أن يزيد من فقر هذه الدول وجهلها وتدهورها البيئي، حسب رأيه. أما بالنسبة إلى العلم (والتكنولوجيا)، فإن المؤلف لا يرى أنهما مسؤولان عن تدهور البيئة. وفيما يخص البيئة بشكل عام، فإنه يرى أن على الحكومات وأصحاب القرار والعلماء والفنيين والمنظمات المهنية وأعضاء المجتمع أن يتخذوا في الوقت المناسب؛ إجراءات وقائية وتصحيحية توقف الاتجاهات الحالية المسببة لخرابها. ونظرًا لأن الدول الصناعية هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن الاتجاهات المذكورة، فإن على عاتقها بصورة خاصة تقع مهمة اتخاذ مثل هذه الاجراءات، مهما كانت مُكلفة وغير شعبية.

ويشعر مايور بالتفاؤل لأن التنمية المستدامة Sustainable development لم تعد مجرد حلم يداعب خيالنا، بل أصبحت اليوم أمرًا قابلاً للتحقيق على أرض الواقع. وهي قادرة على تلبية حاجات الحاضر والمستقبل، وعلى حفظ الموارد الطبيعية الأساسية للمحيط الحيوي، دون المساس بالبيئة. وهناك الآن أوضاع مواتية تساعد على رسم خطوط إيجابية للمستقبل، ومنها توافر إمكانات علمية وتقانية كافية لتحقيق توازن أفضل في الطبيعة، كما توجد تجديدات قادرة على تخفيف تأثير

استيراد التقانة لا يغني عن الاستثمار الوطني في مجال الأبحاث العلمية والتطبيقات التقانية، وإلا كان ذلك استعماراً جديداً

www.ahlaltareekh.com

التلوث، وعلى زيادة طاقة الإنتاج. ومن الأمثلة على ذلك الخلايا الكهربيضوئية Photovoltaic التي أسفرت بالفعل عن إنقاص تكاليف الكيلو واط الساعي. ومن جهة ثانية، فإن الزراعة العضوية Organic farming تجد الآن عدداً متزايداً من الأسواق والمستهلكين. كما أن (التكنولوجيا) الحيوية استطاعت تزويدنا بمبيدات حشرية وسمادات طبيعية ذات تأثير إيجابي جداً في المحاصيل. ويذكر مايور تجربة البرازيل التي تجلت في استعمال العضويات الدقيقة Micro organisms من أجل حماية محاصيل قصب السكر والصويا وتحسينها في المناطق الاستوائية، وفي استخدام الميثانول Methanol لتقليص الاستهلاك البترولي، وفي هذه المجالات، فإن الحلول المتبناة تمنح الحاجات البعيدة المدى للسكان الأفضلية على الحسابات الاقتصادية القريبة المدى. وقد حدث الشيء نفسه عندما تمّ تصميم السيارات التي تعمل بالكهرباء، أو بوساطة آلات الاحتراق الداخلي Internal combustion engines، من أجل تخفيف التلوث، وكذلك المواقد العالية الكفاءة التي تعمل بالطاقة الشمسية. فهذه التطورات وما شابهها تنسجم مع مفهوم التنمية المستدامة التي تأخذ مستقبل البيئة في الحسبان.

ويرى الكتاب أن تراجع التوترات في الاتجاهات الفكرية (الأيدلوجية) بين الشرق والغرب، سيجعل من الممكن توفير كميات كبيرة من الموارد التي يمكن توظيفها لصالح سلامة الطبيعة، وإذا أضفنا إلى ذلك تبني مواقف جديدة تجاه الاستثمار في مجال الحفاظ على البيئة، فإن المستقبل البيئي سيغدو أكثر إشراقاً.

مستقبل التعليم

يشبه مايور عالمنا الحديث بقرية تعتمد فيها الأمم بعضها على بعض، ويؤدي العلم والتقانة في ظلها دوراً جوهرياً وقائداً.

وهو يرى أن الأمية من أخطر المشكلات التي نواجهها في الوقت الحاضر، وتشير الإحصاءات إلى أن هناك الآن في العالم مليار أمي من البالغين، كما يوجد مئة مليون طفل لا يتلقون أي شكل من أشكال التعليم، وهذا يشكل هدراً مخيفاً للطاقات البشرية ويؤدي إلى انعدام العدالة وعدم المساواة بين المتعلمين والأميين.

ويرى الكاتب أن الأمية ليست قضاء وقدراً، ولا تحدث مصادفة أو بصورة عشوائية، بل إنها تصيب عادة الدول الفقيرة والفئات المحرومة في شتى المجتمعات، أي إن هناك علاقة وثيقة وجدلية بين خارطة الأمية وخارطة الفقر. فالفقر يورث الأمية، كما أن الأمية تولد الفقر. لذلك، فإننا نجد أن عالم الأميين هو عالم الجائعين والمشردين، والعاطلين عن العمل والمنبوذين، وعالم الذين يعيشون على هامش الحياة من دون أمل. وتشكل النساء أكثر من ثلثي عدد الأميين، وهذا أمر مؤسف، لأن لتعليم المرأة تأثيرات إيجابية في تربية الأطفال وصحتهم وعاداتهم الغذائية وتعليمهم، وكذلك في تحقيق الاستقرار العائلي. أي إن تعليم المرأة بمنزلة تعليم العائلة بأكملها. ويرى مايور أن السنوات السابقة لم تحقق ما كان مرجواً من التعليم، مما يجعل من الضروري التعويض في المستقبل عما فات في الماضي. ومن الضروري في هذا النطاق تهيئة أكبر عدد من الأطفال للتعليم الابتدائي.

علاقة وثيقة وجدلية بين خارطة الأمية وخارطة الفقر، فالفقر يورث الأمية، كما أن الأمية تولد الفقر

أما الذين لن يسعفهم الحظ للالتحاق بقطار هذا التعليم، فيجب تزويدهم بفرص تعليمية أخرى مثل التعليم في صفوف محو الأمية، وضمن برامج التدريب والدورات المتخصصة بالتغذية أو الصحة أو العناية بالأطفال، أوغير ذلك من الترتيبات التي ستمكنهم من توسيع معرفتهم وتكييف مهاراتهم لتلائم الحاجات الجديدة لعالم العلم، مما سيساعدهم على الإسهام في عملية التنمية.

ويرى المؤلف أننا إذا أردنا أن نقهر الجهل مستقبلاً، فلا بد من توافر الموارد المالية والمهارات الفنية والوسائل التربوية المعينة المناسبة. وأكثر من كل ذلك ينبغي قيام ثورة في المواقف الأخلاقية، وإلقاء نظرة جديدة على سلم القيم، وإعادة تكييف طرق تعاملنا مع الأشياء، وتغيير الأدوار التي نقوم بها الآن. ويطلب مايور من الجميع أ. يسهموا في تطوير التعليم، وليس وزراء التربية فقط، وهذا يشمل جميع أعضاء الحكومة والبلديات والمؤسسات المحلية.

ومن جهة ثانية، فإن الدور القيادي في عملية تطوير التعليم، يجب ألا يقتصر على المفكرين والكتاب والفنانين والمبدعين والعلماء والإعلاميين والأساتذة، بل لابد من أن تشارك فيه الأسر والأمهات والآباء. ويوجه مايور رسالة إلى الأغنياء، مفادها أن عليهم أن يعرفوا أن ثرواتهم التي حصلوا عليها من عرق جبينهم وكدهم، ستكون مهددة في المدى البعيد، إذا لم يدعموا جهود أولئك الذين فاتهم قطار الحظ، سواء في مجال الثروة أم في مجال التعليم. كما يوجه رسالة إلى الذين وضعتهم الظروف التاريخية والجغرافية غير العادلة في أوضاع صعبة يضطرون معها إلى طلب المساعدة، ويبشرهم بأنه يجب ألا يغيب عن أذهانهم أنهم في نهاية المطاف سوف يحصلون على حقوقهم المعاشية والتعليمية، وأنهم سيمسكون بأياديهم المفاتيح الموصلة إلى التنمية والتعليم مستقبلاً، وإن كان عليهم أن يفيدوا من المساعدات التي يحصلون عليها بطريقة رشيدة.

ويعلق المؤلف آمالاً خاصة على الجامعات التي تشكل قوة كبيرة لإعادة هيكلة التطورات الحالية في عالمنا المتغير، وتؤدي دوراً حيوياً في صياغة المستقبل؛ فالمعرفة العلمية والتكنولوجية التي يتم تدريسها في الجامعات، تؤثر في عمليات اتخاذ القرارات.

ويشير المؤلف إلى مشكلة هجرة الأدمغة وتأثيرها في مستقبل الدول النامية، مبيناً أن هناك مليوني طالب يدرسون الآن في بلدان غير بلدانهم الأصلية، بسبب الهوة السحيقة في

www.ahlaltareekh.com

المعرفة العلمية بين الدول المتطورة والدول المتأخرة. ويضاف إلى هؤلاء عدد كبير من الباحثين وأساتذة الجامعات الذين يتركون بلدانهم النامية بموجب برامج مبادلة. ولا يُعرف كم عدد الذين يعودون منهم إلى أوطانهم. ولكن من المؤكد أن كثيراً منهم يبقون في الخارج، وهذا يشكل هدراً في الكفاءات العلمية التي تحتاج إليها الدول النامية أكثر من غيرها.

ويبين مايور أن الجامعات كان يطلب منها أن تقوم بالتعليم والتدريب المهني والأبحاث؛ ولكن هذا أصبح مفهوماً قديماً وبات على الجامعات أن تضطلع بمسؤوليات جديدة في عالم تواجهه مشكلات معقدة لا حدود لها.

وهو يذكر، أن عدد طلاب الجامعات في العالم ارتفع من ٢٨ مليوناً في عام ١٩٧٠م إلى ٦١ مليوناً في عام ١٩٩٠م. وقد أدى هذا الارتفاع إلى ازدياد الحاجات التي تجب تلبيتها، وإلى تنويع المناهج في مجال المواد والتخصصات التي ينبغي تعليمها.

وقد مضى الوقت الذي كانت فيه الجامعات تقتصر على القواعد والمنطق والبلاغة والقانون والطب واللاهوت، وأصبحت قائمة تخصصات الدليل الجامعي، بسبب التفجر المعرفي، تضم ما هو أكثر من ذلك بكثير. أما المسؤوليات الجديدة التي يشير إليها المؤلف، فتشمل الإبداع والتجديد والاختراع والأبحاث المتعلقة بالمستقبل، وهو يطالب بدور اجتماعي للجامعات، إلى جانب دورها التعليمي، كما يدعو إلى تحقيق الارتباط بينها وبين عالم العمل والصناعة والخدمات الاجتماعية، وإلى قيامها بتزويد الحكومات بالبيانات العلمية الأساسية التي تحتاج إليها من أجل اتخاذ القرارات الحيوية في المجالات المختلفة، مثل حماية البيئة، كما يطلب منها إطلاق النقاش حول القضايا العالمية الحساسة، ورفع أصواتها أمام صانعي القرار، تمهيداً لقيام ثورة حقيقية في مجال التعليم العالي.

وبعد استعراض مستقبل التنمية والبيئة والتعليم، ينظر المؤلف إلى المستقبل نظرة أخلاقية وإنسانية، داعياً إلى تبني برامج للسلام والتسامح واحترام الآخرين، وتعزيز قيم الديموقراطية، وتشجيع المواطنين في كل بلد على المشاركة في اتخاذ القرارات.

قصة قصيرة

الجمرة

رضا عبدالمنعم إمام

يكتظ الزحام، وفيضان البشر يفور على جانبي الطريق، الذي ينتصب في نهايته خيال إبليس. تفتش الذاكرة عن أي ذنب منسي، تداعبه.. تجرجره.. تصلبه على العمود الحجري، حيث يختبئ الملعون.

تنصب عليه حمم الجمرات، تنهال اللعنات، تختلط أصوات بكاء ونهنهة ونشيج، يتصاعد الصراخ والعويل، حتى إذا ما لفظت القروح كل صديدها، تعود القلوب فتلتئم من جديد. كنت أحمل أمي على ظهري، أربّت بحنوّ على ساقيها النحيلتين، إذ يلتفان حول وسطي كعودي ريحان ذابلين.

كان رأسها يرتاح في المسافة ما بين عنقي وكتفي، بالضبط كما كانت تحملني وأنا طفل صغير، أسحبها برفق إليّ، فتطبع تجاعيد بطنها على ظهري، فأحس بنبضها يرنّ في رئتي وتمتزج أنفاسها بأنفاسي.

ألتفت إليها، فتطالعني عيناها، ساهمتين، وكأنهما تغوصان في بئر الأيام البعيدة، ترتسم في عينيها الأشياء: البيوت الطينية.. الحارات النحيلة.. المصاطب والسّمار.. الترعة والصفصافة والمصليّة.. سنابل الحنطة وشتلات الأرز ونوار القطن.. الأولاد يلؤون الدور بنات وبنينَ.. الأحفاد المهاجرون للبلدان البعيدة.. الذين غابوا وذابوا في طين المقابر.

وأرى في عينيها دارنا المطلية بالتراب الأخضر ، عليها كفوف مطبوعة بدم الأضحية، ورسومٌ لنخل ويمام وباخرة وأمواج وأعلام، وخطوط تلقائية، مزخرفة وكبيرة: الله.. محمد.. حج مبرور وذنب مغفور، كُتبت عند رجوع أبي - يرحمه الله - من الحج، وكأنني لازلت أسمع صوته الرخيم في الصلاة، وكأني أراها بصحن الدار، تفترش حصيرتها الملوّنة تحت الجميزة العتيقة، المنتصبة وسط الدار، وفروعها تخترق السطح وتفترش السماء بثمارها البنية وأعشاش العصافير، وأراها أمام التنور، فأشتم رائحة الوقيد والخبز الساخن، واللبن السائغ بالطواجن الفخار، وزردة الشاي في الأكواب الصاج، وأسمع ثغاء الماعز وهديل الحمام وصياح الديكة وقوقأة الدجاج وصوصوة الكتاكيت، حين تلتقط من حولها الحب الرفيع.

وكأنني أرى الشمس، وهي لا تكف عن مغازلة ضفائرها الذهبية، التي - أبداً - ما رأيتها بعد رحيل أبي.

أحملها على ظهري، والجموع المحتشدة من كل صوب تندفع بعزيمة وإصرار، تتحلّق مكان الخلاص، وكلما اقتربنا من خيال «إبليس»؛ تراجع الأسى من وجهها، وتألق الرجاء.

أحس برثباتها المرتعشة، ونحن نرمي بالجمرات، أسمعها تنهنه، تدعو لكل من مات بالرحمة وللأحياء بالصحة والعافية، ودعت لي بالستر دنيا وآخرة وبالرزق الوفير. وتنسم الريح، تنثال زخات المطر، تغسلنا من كل الأوجاع، وتتصاعد في الأفق روائح المسك والكافور والحنّاء.

حين أخذنا طريق العودة؛ تدلّتْ قدماها ويداها، تدحرج رأسها على صدري، فانتحيت جانباً، وضعتها على الأرض، كان الصمت الأخير والرضا، لاحظت يسراها المتكورة، حين حاولت فتحها؛ طاوعتني اليد، كانت جمرة واحدة متبقية، تتوسط راحتها، لما أخذتها؛ استراحت الابتسامة على شفتيها، والسكينة افترشت الوجه.

«اللهم اكتبها لي وأدفن بجوار النبي حبيبك المصطفى «هكذا كانت - دائما - تتمنى، فاستجاب الله دعاءها.

واريتها التراب المقدس وسط زغاريد الأخريات، ومضيتُ، أعاود الصعود مرة ثانية، وفي يدي جمرتها الأخيرة، ولما تحسست يداي ظهري على حين غرّة؛ تسللت إلى أطراف أصابعي رعشة، سرت في بدني، فلم أغالب البكاء، فقد باغتني إحساس باليتم مفاجئ. كنتُ في زحفي ونشوتي قد دنوت، يواجهني النصب الحجري غير بعيد، فرحت بكل قوتي أرمي في وجهه بجمرتها الأخيرة.

حين رفعت بصري للسماء، أدعو لها، رأيتها تملأ الفضاء المغسول، بوجهها الحليبي، بعباءتها الفضفاضة البيضاء، تطل ضفيرتاها الذهبيتان من طوايا شالها السندسي، تمشي في أرض لم أر لها مثيلا من قبل، بين بساتين من عنب وفاكهة، وأنهار تجري من لبن وعسل شفيف، وبينما هي في مشيها، إذ بها تقترب من حلقة للذاكرين، فتجلس بينهم، والحلقة كان يتوسطها أطباق من ذهب مملوءة بالمسك السحيق، وفيها صحاف من الياقوت الأحمر بها شيء من ماء الورد، وفوقها طيور صغار ترفرف بأجنحتها، تنزل في ماء الورد، تتمرغ في المسك.. تطير.. تنتفض، يتطاير الرذاذ على الحاضرين، فتتداح الأهازيج، وينطلق نهر التسابيح الأبيض، يجري وسط الأرض الحرام.

www.ahlaltareekh.com

الترويح: لماذا نمارسه؟

عبدالله بن ناصر السدحان

يُعدّ الفراغ نعمة من نعم الله العظيمة على الإنسان، وبخاصة إذا اقترن بالفراغ الصحة في البدن، فلقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» رواه البخاري. ولكن وقت الفراغ قد يتحول إلى نقمة على صاحبه، ومن ثمّ على المجتمع بأكمله إذا لم يحسن الإنسان استغلاله والاستفادة منه بشكل إيجابي، ولعل ما يميز العصر الذي نعيش فيها نشوء ظاهرة وقت الفراغ في حياة الأفراد والمجتمعات بشكل يستدعي الوقوف عندها، ودراستها، ورصد متغيراتها ومدى تأثيرها على مستوى الأفراد والمجتمعات على حد سواء.

ولقد صاحب هذه الظاهرة تزايد الوسائل الترويحية وتطورها، واستحداث وسائل جديدة لشغل الفراغ، فأصبح لدى المجتمعات سيل منهمر من الوسائل الترويحية، انطلق معها الإنسان بحثًا عن الراحة والمتعة، وتخفيفًا من العناء الذي يصيبه في هذه الحياة الدنيا. ومما لاشك فيه أن الأصل في الترويح أن يتلازم مع وقت الفراغ، ويمارس فيه، كما يجب أن يكونا متعادلين في الكمية، فلا يطغى أحدهما على الآخر، ففي زيادة وقت الفراغ يتحول الأمر إلى مشكلة، وفي زيادة الترويح على أوقات الفراغ تصبح الحياة لهوًا ولعبًا.

وكلمة الترويح تعني في أصلها اللغوي السعة والانبساط وإزالة التعب وإدخال السرور على النفس بعد العناء، ويقال: رجل أريحيّ، أي: واسع الخلق نشيط، وأراح الرجل أي: رجعت له نفسه بعد الإعياء(١). وتتعدد تعاريف المختصين لذلك المصطلح وفق نظرة من يقوم بتعريفه، ولن نطيل في سرد التعاريف، ويكفينا في هذا التعريف القائل بأنه «نشاط اختياري ممتع للفرد، ومقبول من المجتمع، يمارس في أوقات الفراغ، ويسهم في بناء الفرد وتنميته»(٢)، كما يمكننا تحديد مفهوم أدق لمصطلح الترويح وفق المنظار الشرعي من التعريف الذي يقول إنه: «نشاط هادف وممتع يمارس اختياريًا بدافعية ذاتية، وبوسائل وأشكال عديدة مباحة شرعًا، ويتم غالبًا في أوقات الفراغ»(٣).

المنظور الإسلامي للترويح

والترويح في الإسلام أمر مشروع، ومطلوب، ما دام في إطاره الشرعي السليم المنضبط بحدود الشرع التي لا تخرجه ـ أي الترويح ـ عن حجمه الطبيعي في قائمة حاجات النفس البشرية، فالإسلام دين الفطرة، ولا يتصور أن يتصادم مع الطاقة البشرية الفطرية، والغرائز البشرية في حالتها السوية، ومن هنا فقد أجاز الإسلام النشاط الترويحي الذي يعين الفرد المسلم على تحمل مشاق الحياة وصعابها، والتخفيف من الجانب الجديّ فيها، ومقاومة رتابتها شريطة ألا تتعارض تلك الأنشطة مع تعاليم الإسلام، أو يكون فيها إشغال عن عبادة مفروضة، والأصل في ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يرويه حنظلة رضي الله عنه أنه قال: لقيني أبوبكر الصديق رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة! قال سبحان الله! ما تقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرنا بالجنة والنار حتى وكأنا نراهما رأي العين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر الصدّيق حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: نافق حنظلة يا رسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وما ذاك؟ قلت: يا رسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا نراهما رأي عين، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا كثيرًا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات» رواه مسلم. والحديث الآخر الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم: «إن لربك عليك حقًا، ولنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فأعط كل ذي حق حقه» رواه البخاري.

ففي الأحاديث السابقة وغيرها دلالة على مراعاة الإسلام لحق النفس في الراحة، وإعطائها حقها من ذلك ما دام ذلك ضمن الإطار الشرعي وداخل الحدود المقبولة اجتماعيًا.

ويكتسب الترويح أهميته من الآثار المترتبة عليه، فمن الآثار التي يتجها لنا تكون الدوافع لدراسته والاهتمام به، ومما يلاحظ أن بعض الدراسات تربط دائمًا بين الانحراف والترويح، وكأن الترويح لا يولد إلا انحرافًا، أو كأنما الانحراف نتيجة لازمة من نتائج الترويح وخاصية أساسية من خصائصه، وليس ذلك بصحيح، فبقدر ما يحمل وينتج لنا الترويح من آثار سلبية، فهو في الوقت نفسه ينتج آثارًا إيجابية، هذا إن لم تكن إيجابياته أكبر من سلبياته، وهناك العديد من الآثار الإيجابية المصاحبة للترويح بشتى صوره وأشكاله، إلا أننا نجد أن لكل شكل من الأشكال الترويحية المختلفة التي يمارسها الإنسان فوائد محددة ومن ذلك:

ـ إشباع الحاجات الجسمية للفرد: ويتم ذلك بممارسة الرياضة البدنية، وليس مشاهدتها فقط، كما يحدث بين نسبة كبيرة من أفراد المجتمع.

ـ إشباع الحاجات الاجتماعية للفرد: من المعلوم أن معظم أنشطة وقت الفراغ تتم بشكل جماعي، وهذا

www.ahlaltareekh.com

يساعد الفرد حين ممارستها على اكتساب الروح الجماعية والتعاون والانسجام والقدرة على التكيّف مع الآخرين.

- إشباع الحاجات العلمية والعقلية للفرد: وهذا يتأتى من خلال المناشط الابتكارية، إذ تؤدي البرامج الترويحية الابتكارية إلى تنمية القدرات العقلية والتفاعل الإيجابي مع مختلف المواقف.

- إشباع الحاجات الانفعالية للفرد: أو ما يسمى بالدوافع اللاشعورية أو الدوافع المكبوتة داخل النفس البشرية، وهذه الاحتياجات الانفعالية للإنسان قد تخرج في هيئة تصرفات شاذة وغير مقبولة في حالة كبتها أو عدم إخراجها بشكل منضبط ومتوازن.

- تساعد أنشطة وقت الفراغ على التكيف والاستقرار النفسي والرضا الذاتي وتنمية هوية الفرد الذاتية، مما يؤدي إلى صحة نفسية سليمة، وتكيّف نفسي سوي.

- تساعد الأنشطة الترويحية على اكتشاف العديد من السجايا والطباع التي يحملها الأفراد، إضافة إلى إمكان اكتشاف أن كان هناك ثمة مشكلات نفسية من خلال مراقبة الأفراد في أثناء ممارستهم الأنشطة الترويحية، إذ غالبًا ما يكون الفرد على سجيته ودون تصنع في أثناء ممارسته الترويح.

- تساعد الأنشطة الترويحية التي يمارسها الفرد في وقت الفراغ على إحداث مزيد من الترابط الأسري بين أفراد الأسرة الواحدة في حالة ممارسة أفراد الأسرة أنشطة وقت الفراغ بشكل جماعي، وبشرط أن تكون تلك الأنشطة ذات صبغة إيجابية تفاعلية.

وتلك الآثار الإيجابية المترتبة على الترويح تتضافر عدة جهات في صنعها في حياة الأفراد؛ فلكل من الأسرة، والمدرسة، والمجتمع بشكل عام دور في هذه الآثار.

لماذا نمارس الترويح؟

لقد حاول العديد من العلماء والمختصين بالترويح كشفَ الأسباب الدافعة لممارسة الترويح، وانتهت محاولتهم تلك إلى وضع بعض النظريات، ولقد استفاد بعضها من بعض بسد ثغرة، أو تدارك ما فات النظرية السابقة، وفيما يلي استعراض للنظريات، وما يؤخذ عليها. أما أبرز النظريات فهي:

نظرية الاستجمام أو الراحة:

وتُعدّ هذه النظرية من أقدم النظريات التي حاولت تعرّف الأسباب والدوافع الكامنة وراء ممارسة الإنسان الترويح. وصاحب هذه النظرية هو العالم الألماني (لازاروس)، ويرى أن دافع الإنسان إلى ممارسة الترويح هو إراحة العضلات والأعصاب من عناء العمل، وتخليصها مما تراكم عليها من عبء في العمل(٤).

على الرغم من وجاهة النظرية في بعض جوانبها، إلا أنه يؤخذ عليها الملاحظات التالية:

- حسب مفهوم النظرية سيكون الترويح لدى كبار السن أكثر منه لدى الأطفال، إلا أن الملاحظ أن اللعب والترويح ينتشران بين الصغار أكثر من انتشارهما بين الكبار على الرغم من أن الطاقة المبذولة في العمل خلال الحياة تكون لدى الكبار أكثر منها لدى الصغار.

- كثيرًا ما يمارس الأطفال ترويحهم وألعابهم بعد استيقاظهم من النوم، أو بعد أخذهم قسطًا من الراحة، فلا يوجد لديهم عناء حتى يتخلصوا منه حسب منطوق النظرية.

- أظهرت الدراسات الحديثة أن الجسم يتوزّع كامل الإجهاد الذي يصيبه، ولو كان الدافع وراء الترويح هو الاستجمام والراحة للزم أن يتوقف الإنسان المجهد عن الحركة تمامًا لكي يرتاح.

- يوجد عدد من العاطلين عن العمل، ومع ذلك نجدهم يمارسون بعض الترويح في حياتهم اليومية، فهم في راحة طوال يومهم ومع ذلك يمارسون الترويح.

نظرية الطاقة الزائدة عن الحاجة:

وهذه النظرية على النقيض من النظرية السابقة، ويعد (سبنسر) و(شيلر) من أبرز روادها. وأصحاب هذه النظرية يشبهون الطاقة الكامنة بالجسم، وعلاقتها بالترويح مثل صمام الأمان الذي يسمح للقاطرة البخارية بالتخلص من البخار الفائض(٥). ولما كانت هذه الطاقة الكامنة توجد لدى الأطفال أكثر من وجودها عند الكبار فإنهم أكثر ممارسة للترويح من كبار السن. إلا أن هذه النظرية عاجزة عن تفسير بعض الجوانب في العملية الترويحية مثل:

- استمرار الأطفال في اللعب على الرغم من إجهادهم، بل بعض الأطفال يسقط نائمًا وهو في أثناء ممارسته اللعب، مما يعني عدم وجود طاقة فائضة لكي يتخلص منها كما تقول النظرية.

- يوجد بعض الأفراد من الناس لا يميلون للترويح، ولا يرغبون في اللعب مطلقًا، فأين تذهب الطاقة الفائضة لديهم؟

- قد يمارس بعض الناس ترويحهم بعد انتهائهم من بعض الأشغال الشاقة، أو المجهدة، ووفق منطوق النظرية فإن طاقتهم الكامنة قد استنفدت في الشغل، ومن ثم لا حاجة للترويح.

نظرية الإعداد للحياة:

وقد تسمى نظرية الغرائز، وأبرز أنصار هذه النظرية هو العالم الألماني «غروس»، والعالم الأمريكي «بلدوين». وأصحاب هذه النظرية يرون أن اللعب والترويح ما هما إلا وسيلتان لإعداد الأطفال للحياة عندما يتقدم بهم السن ويكبرون، ويقيسون الإنسان في ذلك على قيام بعض صغار الحيوانات باللعب في أشياء تساعدهم على مجابهة مصاعب الحياة مستقبلاً.

وتقوم النظرية على ركيزتين أساسيتين هما:(٦)

- أن الميل إلى اللعب ينحصر في صغار الحيوانات التي تعجز عن مجابهة مصاعب الحياة دون مساعدة الوالدين.

- أن صغار الحيوانات التي تحتاج إلى اللعب تتمرن في ألعابها على الأعمال الجدية التي تلزمها في معترك الحياة المستقبلية.

وعلى ذلك فالطفل الصغير يمارس في ألعابه ما يقوم به الكبير في حياته، إلا أن الفارق أنها عند الطفل مجرد لعبة وعند الرجل الكبير حقيقة. ويرى «وافي» أن هذه النظرية أقرب النظريات لتفسير دوافع الترويح واللعب، على الرغم من تحفظه على قصر وظائف اللعب والترويح في النظرية على الإعداد للحياة المستقبلية(٧).

نظرية التوازن:

ويُعد العالم «كونراد لانج» من أبرز رواد هذه النظرية التي ترى أن لكل فرد غرائز وميولاً لا يمكن إشباعها في حياته الجدية، أو لا يُشبَع منها إلا جزء يسير، لذا نجد لدى الإنسان ميلاً نحو الممارسات غير الجدية أو ما يعرف بالترويح لكي يتمكن من إشباع غرائزه وميوله الأخرى الكامنة التي عجز عن إخراجها في حياته الجدية والعملية، وبذلك يستطيع الإنسان أن يحقق التوازن المطلوب في حياته من خلال تحقيق

تربط بعض الدراسات بين الانحراف والترويح، وكأن الترويح لا يولد إلا انحرافًا، أو كأنما الانحراف نتيجة لازمة للترويح



www.ahlaltareekh.com

جميع رغباته وغرائزه الكامنة وغير الكامنة في حياته الجدية أو في الترويح على السواء.

وعلى الرغم من سبق النظرية إلى وظيفة من وظائف الترويح لم تشر لها النظريات التي سبقته في الساحة العلمية، إلا أنه يؤخذ عليها عدم إمكان تطبيقها إلا على من جاوز مرحلة الطفولة، وأصبح رجلاً، وتقدم به العمر، ودخل معترك الحياة الجدية.

نظرية التنفيس:

ورائد هذه النظرية العالم «كار»، حيث ينطلق في نظريته من فرضية تتمثل في وجود عدد كبير من غرائز الإنسان قد قُيِّدت بالنظم الاجتماعية السائدة، ولا يمكن له إرضاء هذه الرغبات والميول في ظل النظم الاجتماعية السائدة في مجتمعه، وعلى هذا الافتراض يقوم الإنسان بممارسة الترويح لكي يشبع رغباته وميوله بمعزل عن تلك النظم الاجتماعية الضابطة لتصرفاته وطريقته في إشباع غرائزه وميوله. ومن هنا تحدث عملية التنفيس لتلك الرغبات المكبوتة من خلال ممارسة الترويح.

وهذه النظرية يمكن أن يقال فيها ما قيل في النظرية السابقة من أنها تصلح لتفسير دوافع الترويح لمن جاوز مرحلة الطفولة، ودخل في مرحلة الرجولة. كما يؤخذ على هذه النظرية وجود مناشط ترويحية يمارسها الإنسان ولا يوجد نظم اجتماعية تمنعه من ممارستها في العلن. فهذه النظرية قد تكون دقيقة في تفسير دوافع الترويح لو كان الإنسان يمارس جميع مناشطه الترويحية بمعزل عن الناس، وبعيداً عن سلطة المجتمع الضابطة.

نظرية الألفة أو التعود:

وهذه النظرية ترى أن الأفراد يمارسون المناشط الترويحية المألوفة لديهم أو ما اعتادوا ممارسته، وذلك بسبب حرصهم على الابتعاد عن المخاطرة، ورغبة منهم في زيادة فرصة النجاح فيما يمارسونه من أعمال، وتحقيق شيء من السعادة فيه، وهذا لا يتأتى إلا بممارسة المألوف لديهم الذي سبق لهم التعامل معه وسبروا أغواره، فيفضل أحدهم لعبة كرة المضرب؛ لأنها لا تحوي أية مخاطر أو مجازفة، بينما الآخر يقدم على ممارسة السباحة على الرغم من خطورتها؛ لأنه يجيدها، ويحسن التعامل مع فنونها.

ولكن تبقى هذه النظرية عاجزة عن تفسير سبب ممارسة الفرد الترويح لأول مرة، فقد تصلح النظرية لتفسير سبب الاستمرار على نشاط ترويحي واحد دون غيره من الأنشطة الترويحية الأخرى، إلا أنها لا تصلح لتفسير سبب ممارسة الترويح الابتدائي.

نظرية التقليد (المحاكاة):

ومنطلق هذه النظرية هو أن الفرد يتأثر بجماعة الترويح التي تشاركه في ممارسته للعملية الترويحية، فنجد كثيراً من الناس يندمجون مع مجموعة من الناس لمشاركتهم في ممارسة نشاط ترويحي معين بمجرد رؤيته لهم، وقد لا يرغبون كثيراً في ذلك النشاط.

وهذه النظرية قد يمكن تطبيقها على الأطفال بما يمتازون به من طبع التقليد ومحاكاة غيرهم، إلا أنه يصعب تطبيقها على كبار السن ذوي الإرادة المستقلة. كما يؤخذ على هذه النظرية أنها أغفلت إرادة الفرد الحرّة، وتصورّته مقلِّداً لمن حوله حسب، كما أن هذه النظرية لا يمكنها تفسير سبب بقاء بعض الأفراد من مشاهدي ممارسي الترويح في الأماكن العامة دون ممارسة النشاط الترويحي معهم، إذ لو صحت هذه النظرية لشارك الجميع في ممارسة نشاط واحد يقلّد فيه بعضهم بعضاً.

ومما يمكن ملاحظته على النظريات السابقة أنها حاولت تفسير دوافع ممارسة الترويح من جانب واحد، وفي هذا تبسيط لتفسير عملية الترويح التي تمتاز بأنها عملية معقدة مركبة وتؤثر فيها عوامل عدة، ويصعب النظر إليها بشكل جزئي، لذلك نجد بعض العلماء قد حاولوا الخروج بنظرية تمتاز بالنظرة الشمولية في تفسيرها لدوافع العملية الترويحية، ويسمى مثل هذا النوع من النظريات بالنظريات المركبة ومن ذلك:

نظرية التعبير عن النفس:

وتُعدّ هذه النظرية ردّ فعل للنظريات السابقة التي انطلقت من زاوية ضيقة في نظرها للأسباب الكامنة وراء ممارسة العملية الترويحية، ولقد عرض كل من «ميشيل» و«ميسون» نظريتهما هذه بشكل شامل، ويغطي معظم جوانب النفس البشرية، حيث رأيا أن دوافع الإنسان لممارسة الترويح تعتمد على المتغيرات التالية مجتمعة:

- التركيب الفسيولوجي للجسم: بحيث يؤثر تركيب الجسم من خلال حجم العضلات، ومرونة المفاصل والأربطة العصبية، وقوة القلب وقدرته على التحمل والاستمرار في النشاط...إلخ. في نوعية النشاط الترويحي الذي يمارسه الإنسان، فلا يمكن تصور شخص مفرط في البدانة وهو يمارس لعبة الجمباز، أو الجري مثلاً. وتقرر النظرية أن هذا المتغير لا يتوقف على نوع المشاركة وحسب، بل يمتد أثره كذلك إلى مستوى المشاركة في العملية الترويحية.
- مستوى اللياقة وعناصر القوة والتحمل لدى الإنسان، وما يرتبط بها من شعور بالسعادة والقدرة على الإنجاز: حيث يؤثر ذلك في نوع النشاط الترويحي الذي يمارسه الفرد وزمانه. فقد يكتفي الشخص، الذي لا تسعفه لياقته البدنية، بالاشتراك في أنشطة ترويحية لا تحتاج إلى بذل أي جهد عضلي، ويجد فيها قدراً كبيراً من السعادة. بينما الشخص الذي يملك لياقة عالية يجد سعادة كبيرة في الاشتراك في الأنشطة الترويحية التي يحتاج فيها إلى مجهود عضلي.
- الخصائص النفسية (السيكولوجية): وهذه الخصائص تؤثر في نمط الممارسة الترويحية ومدتها ودرجة المشاركة والاندماج فيها، فرغبات الفرد ودوافعه وخبراته السابقة وحاجاته وعاداته تؤثر بدورها في قراراته في اختيار المنشط الترويحي الذي يقوم به.

وإضافة إلى ما ذكر من متغيرات مؤثرة في ممارسة العملية الترويحية قام العالم «بامل» بإضافة متغيرين آخرين هما(٨):

- البعد الاجتماعي: المتمثل في درجة الاتصال المجتمعي ومداه ومستواه والتقاليد السائدة في المجتمع، حيث تؤدي هذه الجوانب مجتمعة دوراً مهمّاً في مجال اختيار بعض الأنشطة الترويحية من قبل الأفراد، بل قد تكون مصدراً لها.
- البعد المادي: المتمثل في البيئة ومكوناتها الجغرافية وطبيعة المناخ السائد، فالأراضي المنبسطة، والجبال الشاهقة ستؤثر حتماً في طبيعة النشاط الترويحي الممارَس، وكذلك متغيرات المناخ من حرارة ورطوبة وأمطار.

تتأثر الأنشطة الترويحية التي يمارسها أفراد المجتمع في أوقات الفراغ بقيم المجتمع العقدية وثقافته وعاداته وتقاليده

دوافع ممارسة الأنشطة في وقت الفراغ

لقد حاولت عدة دراسات تلمس أسباب إقبال بعض الناس على أنشطة ترويحية دون غيرها، ومحاولة معرفة أبرز الدوافع لممارسة الأنشطة الترويحية في أوقات الفراغ، وذلك من خلال طرح سؤال مباشر عليهم، وانتهت هذه الدراسات إلى أن أبرز هذه الدوافع تنحصر غالبًا في الجوانب التالية، وهي مرتبة كالتالي حسب الأولوية(٩):

- البحث عن المتعة والأنس.
- من أجل الأصدقاء أو المرافقين.

www.ahlaltareekh.com

الترويح: لماذا نمارسه؟

- للتباهي والزهو وإبراز النفس.
- للمنافسة بين الأقران أو التغلب عليهم.
- لسهولة الحصول على ذلك النشاط وممارسته.
- لأن ذلك النشاط الترويحي جديد على الفرد.
- لإفادة الآخرين من خلال النشاط الممارَس.
- للاستفادة من الآخرين من خلال النشاط الترويحي.
- للبحث عن أجر مادي من جراء ذلك النشاط.

وأيًا كانت دوافع الترويح، فمما ينبغي مراعاته أن هناك خصوصية للترويح في كل مجتمع، فلكل مجتمع خصوصيته المتميزة، وتنبع تلك الخصوصية من روافد عدة، أهمها وأبرزها الدين الذي يعتنقه ذلك المجتمع، وغالبًا ما تتشكل، بناء عليه، العديد من العادات والتقاليد والأعراف التي تتكون على آماد طويلة لتصبح جزءًا لا يتجزأ من كيان المجتمع ونسيجه الخاص به، ثم يقوم أفراد المجتمع بممارستها وتبنيها والدفاع عنها.

ومن هنا لا يمكن أن ننظر للمجتمع بمعزل عن خصوصيته التي يتميز بها، كما لا يمكن تجاهلها حين التعامل مع الظواهر الاجتماعية التي يزخر بها. وغالبًا ما يكون لعقيدة المجتمع وثقافته دور في تحديد خصوصية المجتمع، فهناك عملية تفاعل متبادلة بين عقيدة المجتمع وتراثه الثقافي والاجتماعي من جهة والأنشطة الترويحية التي تُمارَس في أوقات الفراغ داخل المجتمع من جهة أخرى. وتعد الأنشطة الترويحية التي يمارسها أفراد المجتمع في وقت الفراغ ظاهرة اجتماعية تتأثر - كغيرها من الظواهر الاجتماعية الأخرى - بقيم المجتمع العقدية وثقافته وعاداته، وتقاليده، وغالبًا ما تكون الأنشطة الترويحية السائدة في المجتمع نابعة منها أو متأثرة بها. وهذا ما يقرره علماء الاجتماع، إذ ينظرون إلى أنشطة أوقات الفراغ على أنها ظاهرة اجتماعية إنسانية، ذات أبعاد فسيولوجية نفسية في الوقت نفسه، وبذلك يتأثر وقت الفراغ بأشكال الظاهرة الاجتماعية، فيتأثر بالعادات الشعبية، كما يتأثر بالأعراف السائدة في المجتمع.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الترويح إذا لم يستمد وسائله من البيئة التي يوجد فيها، فإنه يصبح عاجزًا عن العطاء، وعاجزًا عن تحقيق الأهداف التي يسعى إليها المجتمع؛ ويقصد بالوسائل التي ينبغي أن يستمدها الترويح: الوسائل المادية مثل الموارد المتاحة من البيئة الطبيعية، والوسائل غير المادية المتأثرة بالبعد العقدي والثقافي، والفكري للمجتمع(١٠)، فتؤكد العديد من الدراسات ضرورة مراعاة خصوصية كل مجتمع وعدم التصادم معها عند التخطيط، ففي إحدى الدراسات الرائدة التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية في مجال الترويح كان من أبرز النتائج التي انتهت إليها هي: وجوب مراعاة ظروف المجتمع من حيث الجنس والطبقة الاجتماعية والعمر عند تخطيط المنشآت والبرامج الترويحية(١١).

إننا عندما نراعي قيم المجتمع الذي نخطط برامجه الترويحية، ونضع ذلك في حسباننا حين تصميم منشآت البرامج والأنشطة الترويحية، ونأخذ بالحسبان كذلك العادات والقيم والأعراف السائدة في المجتمع، فإننا نضمن النجاح التام لها. بالإضافة إلى تحقيق أقصى فاعلية في الإنتاجية الاستثمارية لتلك البرامج والأنشطة الترويحية، وبغير ذلك، فإن الأمر لا يعدو أن يكون هدرًا ماليًا وبشريًا دونما تحقيق الحد الأدنى من النجاح. لذلك لا عجب أن نرى إخفاق العديد من البرامج والأنشطة الترويحية التي يُخطط لها في عالمنا الإسلامي، وما ذلك إلا بسبب النقل الحرفي لأنماط غريبة عن مجتمعاتنا الإسلامية، ودونما مراعاة لخصوصية المجتمعات التي نُقلت منها هذه البرامج الترويحية، أو التي نقلت إليها هذه البرامج، فقد يفشل البرنامج الترويحي نفسه الذي نجح نجاحًا كبيرًا في مجتمع آخر، والعكس صحيح، وهذا يعود إلى التباين في المنطلقات العقدية، والخلفية الثقافية للمجتمعات المنقول منها أو المنقول إليها.

أثبتت إحدى الدراسات وجوب مراعاة ظروف المجتمع من حيث الجنس والطبقة الاجتماعية والعمر عند تخطيط المنشآت الترويحية

وحتى يحقق الترويح دوره كاملاً من جميع الجوانب في المجتمع المسلم ينبغي مراعاة عدد من الضوابط الشرعية والأخلاقية العامة، ومما لا شك فيه أن المجتمع المسلم عندما يأخذ بتلك الضوابط فإنه يعمل بشكل مباشر على نجاح برامجه الترويحية، لأنه أخذ في حسبانه الخصوصية التي يتميز بها من غيره من المجتمعات على سطح الأرض، وهذا بدوره يؤدي إلى تحقيق النتائج المتوقعة من البرامج الترويحية، وليس هذا فحسب، بل ستكون في أقصى درجات الإيجابية على الفرد وعلى المجتمع عامة، فضلاً عن تحقيق توازن في حياة الفرد والمجتمع المسلم في أوضح صوره ومعانيه.

وبالجملة، ينبغي أن تراعى بعض القواعد الرئيسة حين التخطيط للأنشطة الترويحية، والبرامج الترفيهية في المجتمع المسلم ومن هذه القواعد والأسس ما يلي:

- يجب أن تكون الأنشطة الترويحية مباحة في الإسلام، وألا تتعارض مع أحكامه وقواعده العامة.
- أن تعمل الأنشطة الترويحية على تحقيق الأهداف العليا للأمة الإسلامية.
- أن تكون تلك الأنشطة الترويحية محققة للمصلحة العامة للأفراد والمجتمع بشكل عام.
- أن تكون تلك الأنشطة سادةً حاجة من حاجات البلاد(١٢).

ففي ظل هذه الأسس والقواعد العامة التي تكون إطارًا عامًا تدور حول محوره الأنشطة الترويحية والبرامج الترفيهية التي يتم تخطيطها وتقديمها في المجتمع المسلم ولأفراده، نضمن نجاح البرامج الترويحية، كما نضمن حسن استغلال الوقت وجعله ثروة تمتلكها الأمة ضمن ما تمتلكه من ثروات، أما بغير ذلك فسنجد أنفسنا في تخبطات يمارسها المخططون لبرامج ترويحية وترفيهية تعجز عن تلبية حاجات المجتمع المسلم وأفراده، فضلاً عن الآثار السلبية التي سيجنيها المجتمع اجتماعيًا واقتصاديًا.. إلخ.

الهوامش والمراجع:

١. لسان العرب، ابن منظور(روح)، وكذلك مختار الصحاح(روح)، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الدعوة.
٢. أوقات الفراغ والترويح، عطيات خطاب، ص٣٠.
٣. الترويح التربوي، رؤية إسلامية - خالد بن فهد العودة، دار المسلم، الرياض، ١٤١٤هـ، ص٢٥.
٤. عوامل التربية، علي عبدالواحد وافي، دار نهضة مصر، دون تاريخ، ص١٠٣.
٥. أساسيات في الترويح وأوقات الفراغ، إبراهيم وزرماس، ص٧٨.
٦. عبدالله الرشدان، علم الاجتماع التربوي، دار عمار، عمان، ١٤٠٤هـ، ص١٠٤.
٧. عوامل التربية - بحوث في علم الاجتماع التربوي والأخلاقي، مرجع سابق، ص١١٥.
٨. أساسيات في الترويح وأوقات الفراغ، مرجع سابق، ص٨٨.
٩. الجنوح والترويح، مركز أبحاث مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، الرياض، ص٩٨.
١٠. الترويح في المجتمع العربي السعودي، إبراهيم خليفة، مركز البحوث، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ، ص١٤٠.
١١. الأوقات الحرة لدى الشباب السعودي، إبراهيم قنديل وآخرون، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ص٦٥.
١٢. استغلال أوقات فراغ الطلاب، محمد رواس قلعه جي، محاضرة ألقيت في الندوة السابعة لعمادات شؤون الطلاب بجامعات المملكة بعنوان: «أوقات الفراغ وكيفية استغلالها» غير منشورة، ١٤٠٦هـ، ص٢.

www.ahlaltareekh.com

علم الأساطير

ترجمة: مجيد الماشطة

يرد النص الأصلي لهذه الدراسة في دائرة المعارف الأمريكية، المجلد التاسع ص٦٩٩ - ٧٠٦، طبعة عام ١٩٧٩م. كتب الدراسة الباحث تشارلز لونغ الذي اشتهر بكتابه المعروف «أساطير الخلق»، وقد اخترت ترجمة هذا النص لما يتسم به من دقة وشمولية، على طابع المحاباة الذي دفعه إلى تضخيم دور الغرب في نشأة الأسطورة وتطورها.

ما الأسطورة؟

الأساطير قصص رمزية تروي حقائق أساسية ضمن مجتمعات لها تقاليد راسخة غير مكتوبة. وتُعنى الأساطير عادة بالكائنات والأحداث غير الاعتيادية، لذا كانت من أغنى مصادر الإلهام للأدب والدراما والفن في مختلف أنحاء العالم.

قد تشمل الأساطير عناصر من الأشكال الأخرى للأدب غير المكتوب، كحكايات الجن والملاحم، غير أن الأساطير تتميز بأمرين:

أولهما: أن الأسطورة تعامل في مجتمعها قصة حقيقية، وهي لا تكتسب المفهوم العام لقصة غير حقيقية إلا عندما يُنظر إليها من خارج مجتمعها، وهي تروي أشمل قصة عن موضوعها سواء أكان أصل العالم أم أصل الموت أم معنى إشارة ما أم بنية معبد.

وثانيهما: أنها تكتسب الشمولية والتناهي لأنها تعود بمجتمعها إلى الحقيقة البدائية التي لا تتصف بالأسبقية في الزمن وحسب، وإنما تختلف نوعًا في الزمان والمكان والصيغة. ويقف هذا الزمن البدائي خزينًا ومستودعًا للنماذج التي تبنى عليها كل المعارف والتعبيرات والفعاليات الأساسية للمجتمع الحالي. وعلى الرغم من أن الأسطورة قد تبدو غير منطقية وغير مترابطة من وجهات النظر اللاحقة للنظامين الاجتماعي والفكري؛ فإنها تصور أصول هذه الوجهات. بهذا المفهوم تكون الأسطورة تعبيرًا عن المبادئ الأولى، أي إنها صيغة مهجورة.

وقد تُشتَق حكايات الجن والملاحم من الأساطير. فلحكاية الجن، شأنها شأن الأسطورة، عناصر خيالية، إلا أنها لا تعطي المعنى نفسه للزمن. وتتضمن صيغة الحكاية عادة عبارة: «كان يا ما كان»؛ أي إن الزمن فيها مركب تركيبًا مهلهلاً دون أية دلالة معينة، في حين أن الزمن جوهري في الأسطورة، وهو يشير إلى فترة محددة قبل الحال الحاضر. وتتعامل الملاحم مع أشخاص يتميزون بالبطولة، غير أنهم يشبهون رواة الأسطورة ومستمعيها، باستثناء مزاياهم الخارقة في القوة أو في الضعف، وباستثناء كونهم يظهرون في حقبة تسبق الزمن الحاضر إلا أنها متصلة به.

أنواع الأساطير

الأساطير محاولات لتمجيد حالات يراها الإنسان مهمة. لهذا السبب فللأساطير أنواع كثيرة كثرة الحالات التي تؤثر في الإنسان. ومن بين أهم الأنواع تلك التي تتعلق بالأحداث الكونية أو باللحظات الحرجة في مجرى حياة الفرد. وتتباين أنواع أخرى من تفسير مرحلة حضارية معينة إلى الحديث عن كائنات غيرعادية.

الأساطير الكونية:

يتعلق النوع الرئيس للأسطورة الكونية بخلق الكون. وفي أساطير خلق كثيرة، كالأساطير البابلية والهندية الأمريكية، كانت المادة الأساسية هي الماء الذي يخرج منه إله أو حيوان يخلق الأرض، ويصوَّر العالم أحيانًا خارجًا من بيضة عظيمة كما هي الحال في الأساطير الهندية والصينية. وبعد خلق العالم، تظهر الآلهة ويظهر البشر. وفي أساطير أخرى يبدأ إنتاج البشر من والدين هما أبسو وتيامت في البابلية، أو ربما ينحدر البشر من جسم عملاق مثل «يمر» الإسكندنافي أو «بانكو» الصيني، أو من بهيمة قربانية كالثور المثري عند الآسيويين. وقد تأخذ هذه الأحداث مجراها بموجب أوامر من إله عَلِيّ. وكانت أساطير النشوء مهمة لاستمرارية طقوس

www.ahlaltareekh.com

السنة الجديدة الشائعة في مجتمعات كثيرة لاستمرارية وجود العالم بشكل عام.

وترتبط بذلك قصص الطوفان، كما هو الحال في المعتقدات البابلية، وقصص أجيال من الآلهة الشابة التي تحطم الآلهة الكبرى، كما في الأساطير الإغريقية والإسكندنافية.

ويصف نوع مهم آخر من أساطير الكون نهاية العالم أو الأشياء الخطيرة؛ إذ تصور جميع الأساطير العالم الحالي على أنه ينتهي بمعركة حاسمة بين الخير والشر ينتصر فيها الخير ممثلاً بمسيح أو منقذ.

أساطير الأزمات الحياتية:

تعني الأساطير المتعلقة بالأحداث الحاسمة في حياة الإنسان بالدرجة الأولى: بالولادة والبلوغ والزواج والموت، وبالتعميد والتسمية وطقوس التنصيب والتكهن. وترافق كل هذه العمليات الشعائر التي تسم انتقال الفرد من حالة إلى أخرى. فغالبًا ماتتضمن طقوس التعميد والبلوغ والتنصيب مفهوم نهاية الحياة القديمة وبدء حياة جديدة. وترمز إلى هذا الانتقال أديان حوض البحر المتوسط ممثلة بأساطير موت أوزوريس وفرسفون وبعثهما. وقد يقر الزواج بوصفه عقدًا اجتماعيًا إقرارًا دينيًا بوساطة التفسيرات الأسطورية للتزويجات الإلهية مثل زواج زيوس وحيرة عند الإغريق وزواج فشنو ولاكشمي عند الهنود.

وقد تصور الأساطير المتعلقة بالموت الروح متنقلة إلى عالم آخر. ففي مصر ارتبطت روح الفرد بإله الشمس «رع» في برجه في السماء، أو ربما نزلت إلى العالم السفلي ليتكفل بها أوزوريس إله الموت. وفي اليونان جَذَّف بها عبر نهر ستكس النوتي الأعمى تشارون.

أساطير الصيد والزراعة:

مارس الإنسان عملية الصيد والتجميع منذ أقدم العصور، ولفترة أطول كثيرًا من فترة ممارسته الزراعة التي بدأت بحدود الألف الأول قبل الميلاد. وقد اختارت بعض الجماعات في العالم الحديث أن تستمر في الصيد والتجميع. وتدور الأساطير في هذه المجتمعات حول الحيوانات والصيد. فالحيوان عندهم رمز للعنف في انفصال الإنسان عن عالم الطبيعة، ورمز للألفة في رغبته في إعادة التحامه بعالم الطبيعة. وتعكس الأساطير المعتقدات الشائعة أن لكل صنف من الحيوان روحًا تحرسه، ويجب إرضاؤها قبل صيد الحيوان، وأن الحيوانات تنحدر من أسلاف مرتبطة بقبائل أو مجاميع معينة.

وعلى الرغم من أن الجمع، وهو عمل المرأة، أهم كثيرًا من الصيد من الناحية الاقتصادية، فإن الصيد، وهو عمل الرجل، هو الذي يحدد اللغة والسلوك في مجتمعات الجمع والصيد. لهذا يطغى الصيد لا الجمع في الأساطير والطقوس.

وتدور أحداث إحدى الأساطير المشتركة حول الصياد العابث الذي يهوى إصابة الحيوانات وجرحها، ثم يقع في غيبوبة يجد نفسه في أثنائها في مقام الأرواح الحارسة للحيوانات، تحيط به ضحاياه الجرحى. ويُخبر الصياد أنه لن يعود إلى بيته حتى يكوي جرحها، فيعِد الصياد أنه لن يقتل حيوانًا في المستقبل لمجرد العبث.

وتأخذ الصيغ الأسطورية في المجتمعات الزراعية شكل الطقوس الموسمية للاحتفال بالزرع والحصد. ويسود هنا الرمز الأنثوي نظرًا لقياس خصوبة الحبوب بخصوبة المرأة. ويذهب الباحثون إلى أن المرأة هي التي اكتشفت الزراعة. أما في مجتمعات الصيد والجمع الأكثر رقيًا فعمل المرأة هو الغالب. وهكذا تلوح آلهات الأم وآلهات الأرض وآلهات القمح جليَّة في المجتمعات الزراعية؛ كآلهة إيزيس المصرية، وديميتر الإغريقية، وسيريز الرومانية، وكالي الهندية (وهي في الوقت نفسه عنصر تدميري)، وكوتليك الأزتكية في المكسيك.

ويخص المؤرخ ثيودور غاسبر بالذكر نوعين من الأساطير والطقوس في المجتمعات الزراعية: نوع المَلْء ونوع التفريغ. يرمز نوع الملء إلى إعادة إحياء الأرض عندما تلد حياة جديدة، ويرمز نوع التفريغ إلى الموت بصفته جزءًا أساسيًا من العملية الزراعية، ويشير في الوقت نفسه إلى كل من البذرة التي تدخل الأرض وتموت قبل أن تهب حياة جديدة، وإلى أوقات الجفاف والحقول الجافة بعد الحصاد. ويتمثل هذا الجانب الدوري للسنة الزراعية بوضوح في أسطورة برسفون - بنت ديميتر - التي قضت ستة أشهر في العالم التحتي مع هادز، بينما كانت أمها تهيم في الأرض القاحلة باكية، ثم تعود برسفون إلى الأرض الزاهرة لمدة ستة أشهر في الربيع.

أساطير الأشخاص غير العاديين:

يركز عدد كبير من الأساطير على الأفراد غير العاديين، الأبطال الأشقياء الكبار والآلهة والمخلِّصين. ومن الحبكات الأسطورية الشعبية حبكة الشقي المتمثل في فرد شبه إلهي متكافئ الضدين يعيش في مجتمع بشري؛ فهو من جهة يمزح ويفعل مايريده بأعدائه، وغالبًا ما يتصرف تصرفات خبيثة غبية مشينة، وهو من جهة أخرى يترك المجتمع الأرضي العادي ليصعد إلى عالم الآلهة ويجلب الخيرات إلى البشر كالنار والضوء والفنون والبراعة في العمل والزراعة والعلم (الأمثلة هي: بروميثوس الإغريقي، ولوكي الإسكندنافي، وموي البولينيزي، ودوغون في غربي إفريقية، وكويوت عند الهنود الأمريكيين).

الحبكة المهمة الأخرى حكاية الملك الإله الذي يقترن

الأساطير محاولات لتمجيد حالات يراها الإنسان مهمة، لهذا فللأساطير أنواع كثيرة كثرة الحالات المؤثرة في الإنسان



www.ahlaltareekh.com

بتحول العالم وتجدده. ففي مصر شُبِّه الفرعون بإله الشمس حورس، واعتقد الناس أنه مسؤول عن رعاية شعبه في هذا العالم وفي الحياة الأخرى. وطبقًا لما يقوله عالم الإنسانيات (الأنثروبولوجي) جي فريزر في كتابه «الغصن الذهبي»، اعتقدت مجتمعات كثيرة أن ملوكهم آلهة، وأنهم مسؤولون مباشرة عن سعادة شعوبهم؛ فقد يُذبح ملك بموجب الطقوس المسموح بها قبل أن يهرم لكي تنتقل سلطاته كاملة إلى الملك الجديد وبذلك تبقى الدولة قوية.

الموضوع الثالث لعلم الأساطير موضوع المخلِّص الذي قد يُرى ممثلاً لتحول الشكل الأسطوري القديم إلى بطل حضارة معينة. فالمخلِّصون يشبهون أبطال حضارة ما في رغبتهم بإفادة كل الناس، غير أن الفائدة تكمن في التخليص الروحي لا في المساعدة المادية. وخلافًا للأبطال الحضاريين فهم ليسوا أشكالاً لأنصاف آلهة يحيطون بالمجتمع البشري؛ بل كائنات تاريخية ترمز إلى الحقيقة

التفكير الأسطوري منطقي وغير منطقي في آن واحد، ومعقول وغير معقول، وهو يؤلف حصيلة صيغ الإدراك البشري

النهائية وتعلمها. بهذا يصبح المخلّصون ركيزة تاريخية رمزية ضمن التقاليد الحضارية للأساطير القديمة، ويصبح المخلّصون العظام مثل زورستر وبوذا وغيرهما بناة معتقدات جديدة.

التفسيرات

يعنى باحثون كثيرون، بالدرجة الأولى، بأصول الأسطورة في الخبرة البشرية، بينما يركز آخرون على دورها في المجتمع.

الأسطورة والحلم:

يعتقد بعض علماء الأجناس أن الأساطير تنبع من قدرة الإنسان على الحلم؛ فيرى آي بي تاتلر - من القرن التاسع عشر - مثلاً أن الأساطير نتاج إيمان الإنسان الأول بالأرواح التي تظهر له في الأحلام؛ أي إن الأساطير فهم مرتبك للحقيقة.

بوسعنا أن نرى مسوّغات هذه النظرية، فعلى مستوى الفرد تبدو الأساطير مرتبطة بطبيعة الأحلام. ففي الحلم يعيش الفرد انعكاس الحقيقة كاملاً ويذوب المفهوم الاعتيادي للزمان والمكان لمصلحة الصور والالتحام الزمانيّ - المكاني للحلم. والفرق بين الأسطورة والحلم أن الأسطورة تؤلف الحقيقة الاجتماعية أكثر مما تتضمن الحقيقة الفردية، وتميل إلى أن تضع معايير اجتماعية. ولايعني هذا الفرق أن صيغ الأحلام لا يمكن أن تعلمنا أي شيء عن الأسطورة؛ إذ غالبًا ما تحمل الأساطير بنية بشكل حلم، وأفضل قياس أو تشبيه لحقيقة الحلم على المستوى الاجتماعي هو الحلم على المستوى الفردي.

وتثير تفسيرات الأسطورة من وجهة نظر الأحلام مسألة عمومية، فمن وجهة النظر النفسية، قد ننظر إلى الأحلام نظرة إيجابية أو سلبية. سي جنغ مثلاً ينظر إليها نظرة إيجابية. فمن خلال الأحلام يجرب الإنسان نماذج عمومية تشير إلى المستويات الأعمق للاشعور الجماعي توصله إلى المصادر الأساسية، وإلى المعاني المرصوصة لصور المجتمع البشري وقيمه.

أما «فرويد» فيرى الأحلام أكثر غموضًا. فعلى الرغم من أنها تمكن الإنسان من الحقيقة العمومية، فإنها تفسر الحقيقة بأنها المشاعر السلبية والمتبقية من التحول من مرحلة الطفولة (أو القصور) إلى مرحلة البلوغ. فمن الناحيتين الحياتية والنفسية يجب إهمال مرحلة القصور ولهوها من أجل الحالة الثمينة، حالة البلوغ الناضج. ويمكن من هذا المنطلق رؤية الأساطير أحلامًا تعبر عن تقلبات هذا التحول. وبما أن الممر من الطفولة إلى البلوغ، فالرجولة أو الأنوثة ممر مشترك لكل الحضارات البشرية، فهناك في الواقع أساطير مشتركة تعبر عن هذا التحول.

الأسطورة وظيفة اجتماعية:

في الوقت الذي درس فيه مؤرخو الأديان وعلماء النفس أصل الأساطير، فقد مال علماء الأجناس إلى تفسير الأسطورة بموجب وظيفتها الاجتماعية. يقول مالينوفسكي: إن الأسطورة تقوي التقاليد وترسيها على حقيقة الأحداث البدائية الأولية.

ولاحظ الكثيرون من علماء الأجناس الحضاريين والاجتماعيين أن الأساطير تقترن بالطقوس، خاصة في الأوقات الحرجة في حياة الفرد أو المجتمع مثل البلوغ أو الموت أو بدء عام جديد. ويسمي فكتور تيرنر مثل هذه الأساطير بالجانب التحديدي؛ لأنها تمكن الناس من المرور من حالة إلى أخرى بالإقرار بالحدود بينهما وبالتعبير بالطقوس عن هذا التحول. فقبل طقوس البلوغ مثلاً، يعدّ المرشح لهذه الطقوس عديم الجنس وغير مخول اجتماعيًا للإسهام في الامتيازات والمسؤوليات المسموح بها للفرد المكتمل، ويترك دوره الحيادي خلال طقوس البلوغ، إلا أنه لا يعبر مباشرة إلى دور البالغ. فكما تُروى الطقوس الأسطورية وتُمثّل، يعيش المرشح في زمان ومكان أزليين يلهج خلالهما بلغة الطقوس ويتصرف بطرائق مختلفة عن السلوك الملائم للزمان والمكان المعينين. وهكذا تعبر الأسطورة عن هذه الحالة الحرجة المربكة.

الأسطورة صيغة للتفكير:

يفسر حاليًا بعض المعنيين بأصول الأسطورة لا بوظيفتها بأنها أسلوب للتفكير. يقول مؤرخ الأديان روفائيل بيتازوني: إن التفكير الأسطوري منطقي وغير منطقي في آن واحد، معقول وغير معقول، وهو يؤلف حصيلة صيغ الإدراك البشري. وبالتوفيق بين وجهة

www.ahlaltareekh.com

علم الأساطير

النظر التاريخية والنظرة النفسية البعيدة عن كل من فرويد وجنغ، يرى بيتازوني أن الأساطير تنبع من الحالة الإنسانية في نص تاريخي ـ حضاري معين. وتزخر هذه الحالة بطبيعتها بالقلق الوجودي، وتكون الأساطير استجابات لهذا القلق معبرة عنه بصيغ متميزة للتفكير والعمل تحددها تلك الحالة المعينة. لقد ميز بيتازوني ثلاث مراحل للتطور الحضاري: مرحلة الصيد والجمع، ومرحلة الزراعة التي بشرت بالتمدن، ومرحلة الصيغة الأكثر تعقيداً من المرحلة الزراعية. لكل مرحلة أساطيرها الخاصة بها، فأساطير الحيوانات للمرحلة الأولى، وأساطير الخصوبة للمرحلة الثانية، وأساطير المنقذ في المرحلة الثالثة.

لم تكن الأسطورة عند بيتازوني، على أية حال، انعكاساً لحالة إنسانية في مرحلة معينة لحضارة معينة، فهي، بالإضافة إلى ذلك، نمط معين من التفكير يشير مضمونها إلى زمان ومكان معينين، غير أن شكلها عام خلال التاريخ الإنساني.

ونجد آراء مشابهة عن الأسطورة بوصفها مصدراً سبق منطق الأشياء للأنواع المختلفة للفعالية البشرية عند كل من الآثاري أ.ج. فرانكفورت، والعالم النفسي لوسين برول، والفيلسوف آرنست كاسيرر.

وبدلاً من التركيز على العناصر غير العقلية للأسطورة، يبين عالم الأجناس كلود ليفي شتراوس كيف أنها تُعَبِّر عن صيغ منطقية، في حين عدّتها المجتمعات الأكثر تطوراً غير عقلية لأنها مصوغة بأشكال محددة للأشخاص والأحداث، لا بمفاهيم منطقية مجردة. تُعنى مثل هذه الأساطير بالعالم المادي الطبيعي وليس بعملية التفكير. ويقدم عالم الأجناس الكسندر مارشاك رأياً مماثلاً فيبين أن الزمان والفضاء والحقيقة في المجتمع البشري متمثلة في التحام الرموز البشرية والحيوانية والفصلية والطقسية. الأسطورة مايتولد عن هذا التلاحم من سرد للرموز.

ولاحظ علماء أجناس آخرون مثل ستنر أنه، مع ارتباط الأساطير عموماً بالطقوس، فإن لها بنيتها الخاصة، فهي تنفع بصفتها ألواناً للفكر الخلاق أو مذاخر حضارية للمعاني والقيم. وكما يبين ستنر في دراسته لدين أسترالي بدائي، فلكل أسطورة شيء تقوله، شيء قيِّم جميل منطقي في تعبيره عن المعادلات الأولى والأخيرة للأشياء والظروف النهائية للكائنات البشرية وطرائق وجودها، وكذلك التواصل بين النظم الأزلية والخبرات الحالية. ويرى ستنر أن الأسطورة ربما لا تكتسب أهميتها من تأثيرها أو وظيفتها لأنها قد تكون عمل عاطفة وخيال.

طبيعة الأساطير

حالما نواجه الأسطورة نجد أنفسنا أمام مشكلتين: المشكلة الأولى مشكلة داخلية تخص الشكل الأسطوري، لكنها ترتبط بطبيعة الخبرة البشرية، ويمكن تحديد المشكلة كما يلي: كيف يصبح ممكناً أن الكائنات البشرية قد خبرت ما يكوّن جوهر التعبير الأسطوري؟ أحد الأجوبة المقبولة مفهوم تطور الفكر والخبرة البشريين، المبني على التطور الحياتي للإنسان منذ الطفولة حتى البلوغ. وبالقياس، يصبح نموذج الفرد نموذجاً لتطور الحضارة البشرية. فالأسطورة تتوافق مع مرحلة الطفولة للحضارة البشرية، مثلما تتوافق الفلسفات العقلية والتقنيات المتقدمة مع مرحلة البلوغ الحضاري بالشكل الذي وصلت إليه في العالم الغربي الحديث تماماً. فالأسطورة في الواقع أكثر الصيغ الأساسية للتعبير انتشاراً في كل المجتمعات القديمة.

وقد يُقبل هذا الحل إن كانت الصيغة الأسطورية مقتصرة كلياً على المجتمعات البدائية القديمة، غير أن هذا ليس ممكناً؛ فالأسطورة صفة مميزة لكل المجتمعات حتى المجتمعات الحديثة. الأسطورة إذن ليست مجرد مضمون لحكاية، إنها صيغة عمومية لإدراك الحقيقة.

يجذب هذا الحديث نظرنا إلى المشكلة الثانية التي تظهر ضمن

الأسطورة تتوافق مع مرحلة الطفولة للحضارة البشرية، مثلما تتوافق الفلسفات العقلية والتقنيات المتقدمة مع مرحلة البلوغ الحضاري

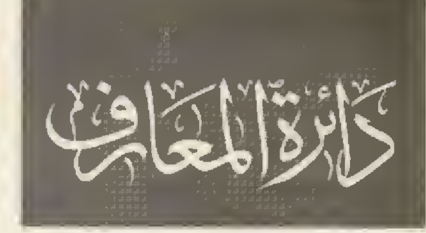
بنية البحث الحديث في علوم اللغة والنقد الأدبي والتاريخ وعلم الأجناس وتاريخ الدين وشعاب علم النفس. فقد وجد الباحثون أن تفهم الصيغة الأسطورية للتفكير ضروري لتفهم سليم للشعور الإنساني الحديث. فهم يؤمنون أن الأسطورة ليست تعبيراً تاريخياً قديماً عن المعاني الإنسانية، إنها شكل بنوي عام للشعور نفسه. وإذا كانت الأسطورة قد وجدت نفسها بكامل تعبيرها في الأزمات الغابرة، فهي لا تزال موجودة بصيغ مقطعة شكلاً ومضموناً في المجتمعات الحالية.

إن الأشكال النظرية والعملية الشائعة في المجتمعات المعاصرة مصوغة بلغة تقنية عقلية لا أسطورية للتعبير عن التجربة الشاملة النهائية للحقيقة.

وفي اللجوء إلى الزمن الأزلي لبدء الوجود أو إلى المستقبل المختلف وجودياً، وهو سمة تفسر الطبيعة الإشكالية للمجتمعات الحديثة بسبب انعدام الإيمان بالتاريخ تفسيراً نافعاً متطوراً للزمن البشري، في هذا اللجوء توجد الأسطورة.

وقد يسمح لنا تفهم الأسطورة شكلاً شائعاً للمجتمعات القديمة أن نفهم التاريخ على نحو أفضل من جهة، وأن نخلق، من جهة أخرى، قيماً ومعاني جديدة من أعماق شكل آخر للشعور.

www.ahlaltareekh.com



الأوائل في الإسلام من الصحابة الكرام

عبدالحميد حسانين



أبو سلمة بن عبد الأسد

أول من قـدم من المهاجـرين المدينـة المنورة هو عبدالله بن عبد الأسـد بن هلال بن عبدالله المخزومي، كان ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وأخـاه من الرضاعة، أرضعتـهما ثويبة، وهو أول من قدم المدينة، وقد هاجر قبل بيعة العقبة بسنة.

شهـد بدرا بعد أن هاجـر الهجـرتين، وجرح يوم أحُد، فـمات بسببه، وذلك في جمـادى الآخرة سنة ثلاث من الهجرة.

وذكـر أن أول من هاجر إلى المدينـة مصـعب بن عمير وعبدالله بن أم كلثوم، وجزم موسى بن عقبة بأن أول المهاجرين هو أبو سلمة.

أسعد بن زُرارة

أول من جمع (إقامة الجمـعة) بالمدينة هو أسعد بن زرارة بن عدُس بن عـبيـد بن ثعلبة، من الخزرج، أحد الأشراف الشـجعان في الجاهليـة والإسلام، من سكان المدينة، قـدم مكة في عـصـر النبـوة فـأسلم وعـاد إلى المدينة، وهو أحد النقـباء الاثني عشـر، كان نقيبًا لبني النجار، مـات في العام الأول بعد الهـجرة، قبل وقـعة بدر، ودفن في البقيع.

وكان أسعد أول أنصاري يعتنق الإسلام، فقد قدم مكة ومعه ذكـوان بن عبد قيس ليتحـاكما في خلاف بينهمـا إلى عتبـة بن ربيعة، فلمـا سمعا أمـر رسول الله صلى الله عليـه وسلم ذهبا إليـه، فقرأ عليـهمـا القرآن، فنسيـا ما كـان بينهمـا من خلاف، ودخـلا الإسلام، وكـان لهـمـا شـرف أول رجـلين يدخـلان المدينة بالإسلام، وأسـعد أيضا أول من جمَّع بالمسلمين، فـقد ذكـر ابن إسحـاق أنه أول من جـمع بالمدينة في أرض واسـعة تسـمى «نقيع الخـضمـات» وقد كـانوا أربعين رجلاً.

أوس بن الصامت

أول من ظاهر من امرأته، هـو أوس بن الصـامت بن قيس بن أصرم بن فِهر الأنـصاري الخزرجي، شهد بدرًا وأحُـدًا وسائر المشـاهد مع رسول الله صلى الله عليـه وسلم، وبقي إلى زمن عثـمـان بن عفان، وتوفي بالرملة في فلسطين سنة (٣٢هـ) وهو ابن اثنين وسبعين عامًا.

وأوس أول من ظاهر من امـرأته خـولة بنت ثعلبـة ووطئها قبل أن يكفِّر، فـأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يُكفِّر بخمسة عشر صاعًا من شعير على ستين مسكينًا.

البراء بن معرور

أول من تكلم وضـرب علـى يد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة، وأول من اسـتقبل القبلة حيًا وميتـا، أول من مات من النقباء الاثـني عشر (ت: ١ ق هـ بشهر واحد)، وأول من صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

هو البراء بن معرور بن صخر الخزرجي الأنصاري، شهد العقبة وكان أحد النقباء الاثني عشر من الأنصار، توفي البراء قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بشهر واحد.

والبـراء بن معـرور أول من بايع الرسـول صلى الله عليـه وسلم يوم العقـبة الثـانية، فـقد خرج مع نـفر من الأنصار إلـى الحج كعادتـهم، وقد واعدوا رسـول الله لمقابلته، فقابلهم الرسول صلى الله عليه وسلم، فبايعهم وبايعـوه، وكـان البـراء أول من أخـذ بيـد رسـول الله وبايعه.

وهو أيضًا أول من استقبل القبلة حـيًا وميتًا، فعندما خرج الأنصـار إلى مكة للحج، ولما كانوا بذي الحليـفة قال البراء لمرافقيه: «والله لقد رأيت ألاّ أجعل هذه البنية (الكعبـة) مني بظهر، وأن أصلي إليـها، وعندمـا سألوا رسول اللـه عن ذلك قال عليـه الصلاة والسـلام: «لقد كنت على قـبلة لو صبـرت عليهـا»، فرجع البـراء بعد ذلك إلى قبلة المسلمين، ولما مات البـراء أوصى بتوجيه قبره إلـى الكعبة، وبهذا يكون قـد استقبل البـراء القبلة حيًا وميتًا.

وهو أيضًا أول من صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد مات البـراء قبل أن يهاجر الرسول إلى المدينة، ولما هاجر عليـه السلام إلى المدينة سأل عن قـبر البراء، فأتاه، فصفَّ عليه، وكـبَّر، وقال: «اللهم اغفر له وارحمه، وارضَ عنه».

أبو بكر الصديق

أول من أسلم من الرجال، وأول خليفة للمسلمين، وأول من جمع القرآن.

هو عبدالله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التـيمي القـرشي، ولد بمكة، ونشـأ سيـدًا من سـادات قريش، وغنيًا من كبار موسـريهم، وكانت العرب تلقبه بعالم قـريش، كان له في عـصر النبوة مـواقف كبيـرة، احـتمل الشـدائد، وبذل الأمـوال، بويع بالخلافـة سنة (١١هـ)، حـارب المرتدين والممتنعين عن دفع الـزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام، وقسم كبير من العراق، توفي في المدينة سنة (١٣هـ)

أبو بكر أول من أسلم من الـرجال وهو رابع أربعـة سبقوا إلى الإسـلام، خديجة أول من أسلم من النساء، وعلي بن أبي طالب أول من أسلم من الـصبيـان، وزيد بن حارثة أول من أسلم من الموالي.

وهو أيضًا خليفة للمسلمين، فقد بويع بالخلافة في اليوم الذي قُبض فيـه رسول الله صلى الله عليـه وسلم سنة (١١هـ).

وأبو بكر أيضًـا أول مـن جـمع القـرآن، فـعندمـا استشهـد كثير من القُرّاء المسلمين في معركـة اليمامة، خاف أبو بكر، فـأمر بجـمع القرآن وكـان في العُسُب والرِّقاع، فأمر الناس فـأتوه بما كان عندهم منه، فأمر به فكتب في الورق.



بلال بن رباح الحبشي

أول من أذَّن في الإســلام، هـو بلال بـن رباح الحبشي، مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخازنه على بيت مـاله، وأحـد الـسـابقين إلى الإسلام، وفي الحديث: «بلال سابق الحبشة»، شهد المشاهد كلها مع رسـول الله، ولما توفي صلى اللـه عليـه وسلم أذّن بلال

www.ahlaltareekh.com

لآخر مرة، ولم يؤذن بعد ذلك، سار مع البعوث إلى الشام، وتوفي في دمشق سنة (٢٠هـ).

عندما أخبر عبدالله بن زيد بن ثعلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رآه وهو نائم من صيغة الأذان، أمره أن يعلمها بلالاً، وقال صلى الله عليه وسلم: «فقم مع بلال فألقها عليه فَلْيُؤذّن بها، فإنه أندى صوتاً منك».



تميم الداري

أول من استصبح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من عمل المنبر.

هو تميم بن أوس بن خارجة الداري، أسلم سنة (٩هـ)، كان يسكن المدينة، انتقل إلى الشام بعد مقتل عثمان، فنزل بيت المقدس، ومات في فلسطين سنة (٤٠هـ)، روى له البخاري ومسلم ١٨ حديثاً، وهو أول من استصبح في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم (استعمل المصباح)، وهو أيضاً أول من عمل المنبر، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشتكي رجله إذا قام وقعد، فقال له تميم الداري: ألا أعمل لك منبراً؟ قال: وكيف المنبر؟ وكان تميم رأى منابر الكنائس بفلسطين، فعمل المنبر.



الحارث بن أبي هالة

أول من استشهد في الإسلام من الرجال هو الحارث بن أبي هالة التميمي، وهو أول من قتل في الإسلام، لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يصدع بما يؤمر قام في المسجد الحرام فدعا الناس إلى الإسلام، فقاموا إليه، فأدركه الحارث بن أبي هالة، فضرب فيهم، فقاموا عليه وقتلوه تحت الركن اليماني (٨ ق هـ).

حاطب بن عمرو بن أمية

أول من أتى أرض الحبشة من المهاجرين هو حاطب بن عمرو بن عبد شمس، كان من السابقين، وقد شهد بدراً، وقيل: إنه آخر من خرج إلى الحبشة مع جعفر بن أبي طالب.

وذكر صاحب الاستيعاب: أن حاطب بن عمرو أول من قدم الحبشة في الهجرة الأولى، وذكر مثل قوله صاحب أسد الغابة.

الزبير بن العوام

أول من سلّ سيفاً في سبيل الله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأسلم وله (١٢سنة)، وشهد بدراً وأحُداً وغيرهما، قتله ابن جرموز يوم الجمل بوادي السّباع بالقرب من البصرة سنة (٣٦هـ).

عندما أشاع المشركون أن رسول الله قد قتل، أقبل الزبير مسرعاً يشق الناس بسيفه، والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة فقال له النبي: ما لك يا زبير؟ فقال: أخبرت أنك أخذت، فدعا له النبي ولسيفه، فكان أول من سل سيفه في الإسلام.

زيد بن حارثة

أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة بن شراحيل (أو شرحبيل)، الكلبي اشترته خديجة بنت خويلد ووهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين تزوجها، وكان النبي صلى الله عليه وسلم لا يبعثه في سرية إلا أمّره عليها، وجعل له الإمارة في غزوة مؤتة، فاستشهد فيها (٨هـ).

وقد ذكر صاحب البداية والنهاية: أن أول من أسلم من الموالي زيد بن حارثة.



سعد بن أبي وقاص

أول من أراق دماً في سبيل الله، وأول من رمى سهماً في سبيل الله، هو سعد بن أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف القرشي، فاتح العراق، ومدائن كسرى، وأحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة، وأحد المبشرين بالجنة، أسلم وهو ابن (١٧سنة)، كان والياً على الكوفة مدة خلافة عمر بن الخطاب، ثم عزله عثما بن عفان فعاد إلى المدينة، فأقام قليلاً وفقد بصره، مات في قصره بالعقيق بالمدينة سنة (٥٥هـ).

وهو أول من أراق دماً في سبيل الله، وذلك عندما ضرب سعد رجلاً من المشركين بعظام بعير، فأسال به دم عبدالله بن خطل دفاعاً عمّن معه من الصحابة، وهو كذلك أول من رمى سهماً في سبيل الله، وكان ذلك يوم خروجه في سرية عبيدة بن الحارث حين بعثه رسول الله إلى رافع، وهو مكان قرب مكة، ليلقى عير قريش ،فتراموا بالنبل، وكان سعد بذلك أول من رمى بسهم في سبيل الله، وفي ذلك يقول سعد:

فما يعتدّ رامٍ من معد

بسهم في سبيل الله قبلي

سلمان الفارسي

أول من دخل الإسلام من الفرس. أصله من مجوس أصبهان، لقيه ركب من بني كلب، فاستخدموه، ثم استعبدوه وباعوه، واشتراه رجل من قريظة فجاء به إلى المدينة، وعلم سلمان بخبر الإسلام، فدخل الإسلام، وأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه، فأظهر إسلامه، وكان صحيح الرأي، عالماً بالشرائع وغيرها، وهو الذي أشار على الرسول صلى الله عليه وسلم بحفر الخندق في غزوة الأحزاب، وفي الحديث: «سلمان منا أهل البيت». جُعل أميراً على المدائن فأقام فيها إلى أن توفي سنة (٣٦هـ).

سنان بن أبي سنان الأسدي

أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان هو سنان بن أبي سنان بن محصن الأسدي، شهد بدراً وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، توفي سنة (٣٢هـ). وقد ذكر صاحب الاستيعاب، وكذا صاحب أسد الغابة أن سناناً أول من بايع الرسول بيعة الرضوان تحت الشجرة.



صهيب بن سنان

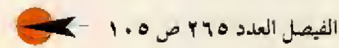
أول من أسلم من الروم، هو صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو بن طفيل، وقيل هو: صهيب بن سنان بن خالد بن عمرو بن عقيل بن كعب، كان أبوه سنان بن مالك أميراً على الأُبلّة، وكانت منازلهم بأرض الموصل، فأغارت الروم عليهم، فسبت صهيباً وهو غلام صغير، ثم باعوه إلى قبيلة كلب، فاشتراه منهم عبدالله بن جدعان وهو من كبراء مكة، دخل الإسلام في اليوم الذي دخل فيه عمار بن ياسر نفسه، شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله، توفي صهيب بالمدينة ستة ثمان وثلاثين وقيل سنة تسع وثلاثين، ودفن بالبقيع.



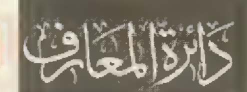
عبدالله بن جحش

أول أمير أُمِّرَ في الإسلام، هو عبدالله بن جحش بن رئاب بن يعمر الأسدي، ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أميمة بنت عبد المطلب، صحابي قديم الإسلام، هاجر إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وهو صهر رسول الله أخو زينب أم المؤمنين، قُتل يوم أحد شهيداً (عام:٣هـ) ودفن هو وحمزة في قبر واحد.

وهو أول أمير أُمّر في الإسلام، فقد أمّر رسول الله عبدالله بن جحش على سرية «نخلة» وكان ذلك بعد سبعة عشر شهراً من الهجرة، وقد ذكر صاحب الوسائل إلى معرفة الأوائل أن أول راية رفعت في الإسلام راية عبدالله بن جحش، وأنه كان أول أمير في الإسلام.



www.ahlaltareekh.com





عبدالله بن الزبير

أول مولود ولد بالمدينة بعد الهجرة هو عبدالله بن الزبير بن العوام، فارس قريش في زمنه، شهد فتح إفريقية زمن عثمان، وبويع له بالخلافة (سنة ٦٤هـ) عقب موت يزيد بن معاوية، فحكم مصر والحجاز واليمن وخراسان والعراق وأكثر الشام، وجعل قاعدة حكمه المدينة، وكانت بينه وبين الأمويين وقائع هائلة حتى سيّروا له الحجاج الثقفي، فانتقل إلى مكة، ونشبت بينهما حروب انتهت بمقتل ابن الزبير في مكة سنة (٧٣هـ).

لما قدم المهاجرون المدينة أقاموا لايولد لهم مولود فقيل: سحرهم اليهود، فعندما ولد عبدالله، كبّر الناس وفرحوا، وكانت ولادته في شوال بعد عشرين شهراً من الهجرة.

عبدالله بن سلام

أول من دخل الإسلام من اليهود، هو حُصَيْن بن سلام، كان رئيساً لأحبار اليهود، وكانت له الكلمة الأولى بينهم، قدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ليتأكد صدق رسالته، فعرف أنه النبي الذي بشرت به الكتب المقدسة السابقة، ولما عرض الرسول عليه الإسلام أسلم، وسماه النبي عبدالله بن سلام، لازم عبدالله بن سلام رسول الله يأخذ عنه العلم والفقه حتى أصبح من كبار علماء المسلمين، حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «التمسوا العلم عند أربعة: أبي الدرداء وسلمان وابن مسعود وعبدالله بن سلام».

توفي عبدالله بن سلام سنة (٤٣هـ).

عبدالله بن مسعود

أول من جهر بالقرآن بمكة هو عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، من أكابر الصحابة، فضلاً وعلماً، وقرباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وكان خادم رسول الله وصاحب سره، ورفيقه في غزواته، ولي بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها سنة (٣٢هـ) عن نحو ستين عاماً.

وعبدالله بن مسعود أول من جهر بالقرآن بمكة بعد رسول الله، فقد أخذ يتلو سورة الرحمن أمام كفار قريش الذين قاموا بضربه في وجهه وهو مستمر في تلاوة القرآن.

عثمان بن مظعون

أول من دفن في البقيع، وأول من مات بالمدينة من المهاجرين هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب الجُمَحي، صحابي كان من حكماء العرب في الجاهلية، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً، هاجر إلى الحبشة مرتين، أراد التبتل والسياحة في الأرض زهداً بالحياة، فمنعه رسول الله، شهد بدراً، ولما مات سنة (٢هـ) جاءه النبي صلى الله عليه وسلم فقبله ميتاً حتى سالت دموعه على خد عثمان.

وعثمان بن مظعون هو أول من مات بالمدينة من المهاجرين، وذلك سنة (٢هـ)، كما أنه أول من دفن بالبقيع.

علي بن أبي طالب

أول من أسلم من الصبيان، وأول فدائي في الإسلام هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، أمير المؤمنين، رابع الخلفاء الراشدين، ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، كان اللواء بيده في أكثر المشاهد، قتله عبدالرحمن بن ملجم المرادي الخارجي في السابع عشر من رمضان سنة (٤٠هـ).

اختُلف كثيراً فيمن أسلم أولاً، فقال بعضهم: أبو بكر،وقال آخرون بل علي، وقد ذكر ابن إسحاق: أن أول ذكَر أسلم بعد النبي علي وزيد بن حارثة، ثم أسلم أبو بكر وأظهر إسلامه. وهو أيضاً رضي الله عنه أول فدائي في الإسلام، فقد نام في فراش رسول الله عندما هاجر عليه الصلاة والسلام مع أبي بكر الصديق.

عمر بن الخطاب

أول من لقب أمير المؤمنين، وأول من كتب التاريخ من الهجرة، وأول من اتخذ الديوان، وأول من اتخذ بيت المال هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، ثاني الخلفاء الراشدين، كان في الجاهلية من أبطال قريش وأشرافهم، وهو أحد العُمَرَين اللذين كان رسول الله يدعو ربه أن يعزّ الإسلام بأحدهما.

أسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد المشاهد كلها، بويع بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة (١٣هـ) بعهد منه، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق والقدس والمدائن ومصر، قتله لؤلؤة فيروز الفارسي غلام المغيرة بن شعبة وهو يصلي الصبح سنة (٢٣هـ).

عمر بن الخطاب أول من سُمي أمير المؤمنين وذلك عندما أتى إليه عاملاه من العراق وهما لبيد بن ربيعة، وعدي بن حاتم، وطلبا الاستئذان على أمير المؤمنين، فبقيت التسمية بأمير المؤمنين منذ ذلك الوقت، وهو أول من كتب التاريخ الهجري في شهر ربيع الأول سنة ست عشرة، وكذلك هو أول من اتخذ الديوان، بعد أن أشار عليه فيروز الديلمي الصحابي الفارسي الأصل، وهو أيضاً أول من اتخذ بيت مال، فقد كان ما يأتي من مال على عهد رسول الله وأبي بكر الصديق يوزّع على الفور، وأول من اتخذ بيت المال عمر بن الخطاب، كذلك فإن عمر بن الخطاب أول من عسّ بالليل، وأول من عاقب على الهجاء، وهو أول من ضرب في الخمر ثمانين، وأول من حرّم المتعة.

م

مُصعب بن عُمير

أول سفير في الإسلام، هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف، القرشي، من بني عبدالدار، من السابقين إلى الإسلام، أسلم في مكة، وكتم إسلامه، فعلم به أهله، فأوثقوه وحبسوه، فهرب مع من هاجر إلى الحبشة، ثم رجع إلى مكة، وهاجر إلى المدينة قبل هجرة رسول الله إليها، أسلم على يده أُسيد بن حضير، وسعد بن معاذ، شهد بدراً، وحمل اللواء يوم أُحد، فاستشهد سنة (٣هـ).

ومصعب هو سفير الإسلام الأول، فعندما انصرف أهل العقبة الأولى الاثنا عشر، وفشا الإسلام في بيوت الأنصار، أرسل الأنصار إلى رسول الله ليبعث إليهم رجلاً يفقههم في الدين ويقرأ عليهم القرآن، فبعث إليهم مصعب بن عمير، يدعوهم إلى الإسلام، ويقرأ عليهم القرآن، فدخل الإسلام ديار الأنصار كلها قبل أن يأتي رسول الله وصاحبه إلى المدينة مهاجراً.



النعمان بن بشير

أول مولود من الأنصار بعد الهجرة (عام:٢هـ) هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري، من أهل المدينة، شهد صفين مع معاوية، وولي القضاء بدمشق، وولاه معاوية اليمن، ثم استعمله على الكوفة، ثم حمص، وبعد موت يزيد بن معاوية بايع النعمان الزبير، ثم قتل (عام ٦٥هـ) بعد تمرد أهل حمص.

ذكر صاحب الاستيعاب أنه أول مولود ولد للأنصار بعد الهجرة، وكذلك ذكر صاحب أسد الغابة، وذكر مثل قولهما أبو هلال العسكري.

المراجع

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب. ابن عبدالبر؛ تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة: مكتبة نهضة مصر، د.ت.
- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، ط١، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ.
- الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، الزركلي، ط٥، بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠م.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ط١، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.
- سيرة بطل، محمد حسين زيدان، ط٢، الرياض، دار الوطن، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- الطبقات الكبرى، ابن سعد، بيروت: دار بيروت، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م.
- المعارف، ابن قتيبة؛ تحقيق ثروت عكاشة، ط٦، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م.

www.ahlaltareekh.com



مجلة العرب الأدبية

تصدر عن دارة المنهل للصحافة والنشر المحدودة

المركز الرئيسي : جدة رمز بريدي ٢١٤٦١ ص.ب ٢٩٢٥ ت : ٦٤٣٢١٢٤ فاكس : ٦٤٢٨٨٥٣

طليعة الصفوة المثقفة

واحرص على اقتنائها

قضايا الحياة الثقافية يتناولها أعلام الفكر والأدب
فتش عن الثمين واحرص على اقتنائه
نحن نضع العالم بين يديك
أكثر من ٦٠ عاما في خدمة المثقف العربي من المحيط الى الخليج

www.arlaltareekh.com

النقد الاجتماعي في شعر المتنبي

د. نوره صالح الشملان

كان المتنبي ساخطًا على مجتمعه، كارهًا له، مترفعًا عنه؛ ويعود هذا إلى شخصية المتنبي المتعالية بطبعها، المعتزة بمواهبها؛ ويعود أيضًا إلى ما كان عليه ذلك المجتمع من سوء يتمثل في ضعف السلطة المركزية، وانحسار قوة الخليفة، وإحلال القواد، وأكثرهم من الأعاجم، محل الخليفة في قيادة سفينة المسلمين. فقد كانت السلطة في زمن المتنبي بيد البويهيين، وانسلخت من جسم الدولة العباسية كثير من الإمارات التي أصبحت شبه مستقلة. ولعل من الأمور التي خففت على المتنبي صعوبة التعامل مع ذلك الوضع ظهور إمارات عربية مثل إمارة الحمدانيين في الموصل وحلب، فوجد في رحاب الأمير العربي سيف الدولة ما يخفف عنه وطأة الغربة التي عاناها في ظل دولة الأعاجم. لقد صور المتنبي مجتمعه بصور مختلفة وكلها تدل على الازدراء والترفع.

يقول:

أذمُّ إلى هذا الزمان أهيلَه
فأعلمهم فَدْمٌ وأحزمهم وغدُ

ويقول:

ودهرٌ ناسه ناس صغارٌ
وإن كانت لهم جثثٌ ضخامُ

وقال عن نفسه:

ما مُقامي بأرض نخلة إلا
كمقام المسيح بين اليهود
أنا في أمة تداركها اللـ
ـه غريبٌ كصالح في ثمود

وكشف عن أخلاق الناس الذين يقولون ما لا يفعلون، ويدَّعون الشجاعة وهم أجبن الجبناء فقال:

غيري بأكثر هذا الناس ينخدعُ
إن قاتلوا جبنوا أو حَدَّثوا شجعوا
أهلُ الحفيظة إلا أن تُجرِّبهم
وفي التجارب بعد الغيِّ ما يَزَعُ

وبلغ في شكه في الناس وتوجّسه من شرهم أن قال:

فلما صار ود الناس خبًّا
جَزيتُ على ابتسامٍ بابتسام
وصِرتُ أشكُّ فيمن أصطفيه
لعلمي أنه بعض الأنام

ويبدو لي أن المتنبي في هذه النظرة يكشف عن شخصية شديدة التشاؤم، فهو يعمم النظرة، وقد رأيناه في الأبيات السابقة يخصص بكلمة (بعض)؛ أو بالأحرى لا يجعل النظرة عامة شاملة، أما هنا فهو لا يترك بصيصًا من الأمل في حسن نية البشر.

ويقدم المتنبي نصائحه المتسمة بالحذر حين يقول:

ولا تَشَكَّ إلى خلقٍ فَتُشمِتَه
شكوى الجريح إلى الغربان والرَّخَمِ
وكن على حَذَرٍ للناس تستره
ولا يغرّك منهم ثغرُ مبتسمِ

إنها دعوة صريحة لوضع جدار سميك من التوجس والخوف والكره بين الإنسان وأخيه الإنسان.

وتشاؤمه من الناس قاده إلى الشك في كل سلوك يصدر عن الإنسان، ولعل أكثر الصفات التي حاربها المتنبي هي التصنع، وجعل من نفسه طبيبًا يشخص المشاعر فيفرق بين الصادق منها والزائف، يقول معبراً عن ذلك:

وفي الأحباب مُختصٌ بوجدٍ
وآخر يدّعي معه اشتراكا
إذا اشتبهتْ دموعٌ في خدودٍ
تبين من بكى ممَّن تباكى

ويدعو إلى ترك التصنع لأن صاحبه سرعان ما ينكشف ولأنه رداء خفيف سرعان ما يتمزق. يقول:

وأسرعُ مفعول فعلتَ تغيُّرًا
تكلُّفُ شيءٍ في طباعك ضِدُّه

ولاشك أن هذه النظرة صائبة بل خالدة، تنطبق على البشر في كل زمان ومكان، فالأقنعة لا تدوم طويلاً، والتكلف لا يلبث أن يتلاشى فيظهر المرء على حقيقته.

ومن أجل رفضه للتصنع رفض كل ما له علاقة بذلك، رفض أن يصبغ شعره، وكان صبغ الشعر عادة منتشرة في زمانه، استمع إليه كيف علل إعراضه عن هذه العادة. يقول:

ومِنْ هوى كلِّ مَنْ ليست مُموَّهةً
تركتُ لون مشيبي غيرَ مخضوب
ومِن هوى الصدق في قولي وعادته
رَغِبتُ عن شَعَرٍ في الوجه مكذوب

www.ahlaltareekh.com

ومن أنماط النقد الاجتماعي الذي حواه ديوان المتنبي ذلك الازدراء الشديد لمن يرضى لنفسه بالإهانة مقابل المال أو الجاه، فهو يرى أن ذلك الإنسان كالميت الذي لا يشعر:

من يَهُنْ يَسهُلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميّتٍ إيلام

والجبن أو الخوف من الموت الذي يقف أمام تحقيق ما يريده الإنسان من مكاسب فيتراجع عن ذلك خوفًا من الموت، والموت حق سيذوقه كل إنسان، وقد عبَّر المتنبي عن هذا المعنى بالقول:

يموت راعي الضأنِ في جهله
مَوْتَةَ جالينوس في طِبّه

ويقول أيضًا:

إذا غامرتَ في شرفٍ مروم
فلا تقنع بما دون النجوم
فطَعْمُ الموت في أمرٍ حقير
كطعم الموت في أمرٍ عظيم

وتأمل الناس الذين يبحثون عن الأخطاء والسلبيات ولا همّ لهم إلا النقد الهادم لا البنّاء فقال:

ومن يك ذا فمٍ مرٍّ مريضٍ
يجد مُرًّا به الماء الزلالا

وفرق المتنبي بين الحلم في حالة المقدرة، والحلم في حالة الخوف؛ فالأول فضيلة والثاني رذيلة، وقد برأ نفسه من ذلك فقال:

إني أصاحب حلمي وهو بي كرمٌ
ولا أصاحب حلمي وهو بي جبن

وقال:

أرى الحلمَ في بعض المواطن ذلةً
وفي بعضها عزًا يسود بصاحبه

وتأمل الناس السعداء والأشقياء، وتساءل عن سعادة هؤلاء وشقاء أولئك فقال:

أفاضلُ الناس أغراض لذا الزمن
يخلو من الهمِّ أخلاهم من الفطَنِ

وهكذا كان المتنبي ناقدًا اجتماعيًا لعصره ولجميع العصور.

مع الفانية

د. محمد بن ظافر الشهري

ويائسةٍ قد كَلِفْنا بها ... لعوبٍ خؤونٍ لأحبابها
ومهما نَهُنْ لطويل المُقام ... ترانا وقوفًا على بابها
فلَم نلتفتْ لسواها ولمْ ... نؤدِّ الحقوقَ لأصحابها
ولسنا نسارعُ إلا لها ... ولا نتشبثُ إلا بها
نُبادرُ جهلاً لإضحاكها ... ونخشى مغبةَ إغضابها
ولو ضحكتْ لخبيرٍ بها ... رآها تكشِّرُ عن نابها
عجبتُ لها كلّما عُمِّرتْ ... شَكتْ من تزايدِ خُطّابها

www.ahlaltareekh.com

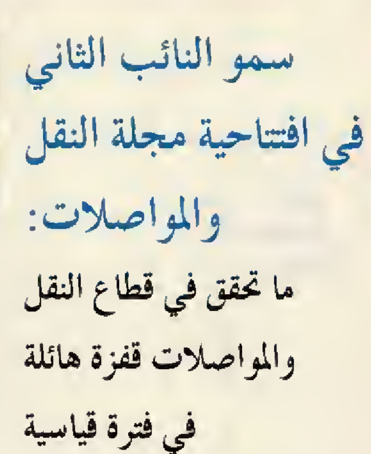


تراث القدس في اجتماعات وزراء الثقافة العرب

إنشاء أول نادٍ ثقافي عربي على الإنترنت

ندوة دولية حول الحضارة الإسلامية في القوقاز

اليوبيل الذهبي لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب



سمو النائب الثاني في افتتاحية مجلة النقل والمواصلات:

ما تحقق في قطاع النقل والمواصلات قفزة هائلة في فترة قياسية


صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز

نوه صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام بما تحقق من قفزة هائلة في كل مرافق قطاع النقل والمواصلات في المملكة العربية السعودية، وقال سموه: «إن من يقارن اليوم بالأمس، والماضي بالحاضر، لايملك إلا الإقرار بأننا قفزنا قفزة هائلة في كل مرافق هذا القطاع الحيوي، من طرق برية معبدة عالية المستوى تشكل شبكة تربط أطراف بلادنا المترامية شرقها بغربها، وشمالها بجنوبها، إلى مرافق بحرية تضم موانئ وسفنًا تجارية عملاقة، وأسطولٍ جويٍ ترعاه مؤسسة من أعرق وأقدر شركات الطيران العالمية، ومطارات محلية وعالمية تربط مناطق المملكة بعضها ببعض، وبالعالم كله، وخطوط للسكك الحديدية تخدم ويعول على خدمتها لهذا القطاع بفعالية أكبر عندما تدعو الحاجة إلى التوسع فيها مستقبلاً».

جاء ذلك في افتتاحية سموه للعدد الأول من مجلة «النقل والمواصلات» إذ أكد أن ما تحقق لم يكن إلا بفضل الله ثم حكمة القيادة وحسن الإدارة.

وضم العدد الأول من هذه المجلة أخبار وزارة المواصلات وأخبار الطرق، وعددًا من التقارير في المجالات المرتبطة بهذا القطاع الحيوي، فتنوعت أبوابه وزواياه ومقالاته بما يخدم الغرض من إنشائها.

ويشرف على هذه المجلة معالي الدكتور ناصر بن محمد السلوم، ويرأس تحريرها الأستاذ محمد بن عمر العامودي.

مسابقة حول شعر الأمير عبدالله الفيصل

أعلن النادي الأدبي بمنطقة الباحة عن فتح باب تلقي المشاركات لمسابقته الأدبية السنوية للشباب، وموضوعها هذا العام دراسة أدبية عن الشاعر صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله الفيصل: نشأته، العوامل المؤثرة في اتجاهاته الأدبية، ألوان الشعر التي طرقها، وأهم أعماله الشعرية، مع دراسة موجزة لبعض قصائده.

والمسابقة مفتوحة للشباب بين ١٥ ـ ٢٥ عامًا على أن يكون البحث في حدود ١٥ صفحة، ويعتمد الأسلوب العلمي مع الاهتمام باللغة الفصحى والتزامها، وتحدد يوم الثاني والعشرين من شهر رجب الجاري موعدًا نهائيًا لاستقبال المشاركات.

الحفظي ينال جائزة أبها للخدمة الوطنية

منح صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل، أمير منطقة عسير ورئيس اللجنة العليا لجائزة أبها، جائزة أبها للخدمة الوطنية لعام ١٤١٩هـ لمدير تعليم رجال ألمع،

www.ahlaltareekh.com

برامج متنوعة في مئوية تأسيس المملكة


صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز

تحـــــدد يوم الخامس من شهر شوال المقبل موعدًا للاحتفال بمناسبة مرور مئة عام على توحيد المملكة.

وأعدت اللجنة التحضيرية العليا للاحتفال برئاسة صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض برنامجًا حافلاً بهذه المناسبة، يوثق أحداث إنشاء المملكة والقفزات التي مرت وتمر بها.

ويفتتح بمناسبة الاحتفال مركز الملك عبدالعزيز التاريخي الذي تنفذه اللجنة العليا للاحتفال، كما بدأ العمل في إنشاء معلم حضاري تحت مسمى «بوابة الرياض الغربية» بغرب مدينة الرياض على طريق مكة المكرمة، وتجرى دارة الملك عبد العزيز استعداداتها لإقامة «معرض الكتاب السعودي خلال مئة عام»، كما تقوم بالإعداد والإشراف على إنتاج خمسة أفلام وثائقية عن الملك عبدالعزيز - يرحمه الله -، والمملكة العربية السعودية، وأهم الأحداث التاريخية التي مرت بها.

وقررت الخطوط الجوية العربية السعودية تجديد أولى الطائرات الخاصة بالملك عبدالعزيز وهي من طراز داكوتا وتأهيلها، وتنظيم رحلة جوية سعودية جريئة ونادرة على طائرة صغيرة من طراز (بيلاتوس بي سي ١٢) ذات محرك واحد تزور ١٩٨ دولة وتقطع مسافة مئتي ألف كيلو متر في خمسمئة ساعة، تعبيرًا عن المشاعر الوطنية بهذه المناسبة، ورصدت وزارة المعارف السعودية مبلغ ربع مليون ريال جوائز لمسابقتين للبحوث العلمية عن تأسيس المملكة والملك عبدالعزيز، أولاهما لمعلمي التعليم العام، والثانية لطلاب التعليم الثانوي وطلاب كليات المعلمين.

وتتواصل حاليًا الاستعدادات لهذه المناسبة التي أعدت لتكون حدثًا من أبرز أحداث القرن العشرين.

وثيقة نادرة يهديها سمو الأمير سلمان إلى دارة الملك عبدالعزيز

أهدى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض وثيقة أصلية نادرة إلى دارة الملك عبدالعزيز، دعمًا لما تقوم به الدارة من دور في المحافظة على المكتبات الوطنية.

وهذه الوثيقة رسالة من الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود إلى سليمان باشا، نسخت في ١٤ ذي القعدة ١٢٢٥هـ، وتحمل ختمه - رحمه الله.

ويتناول نص الوثيقة حقيقة الدعوة الإصلاحية، وهدفها إلى إرشاد المسلمين للتمسك بالعقيدة الصحيحة ونبذ الخرافات والبدع، وتحمل توقيعات مجموعة من علماء مكة المكرمة والمدينة المنورة والشريف غالب.

عبدالخالق الحفظي.

وتمنح هذه الجائزة سنويًا للإداري المثالي والأكثر نشاطًا.

وزارة المعارف تحتفل باليوم العالمي للمعلم

احتفلت وزارة المعارف في يوم ١٥ جمادى الآخرة الماضي باليوم العالمي للمعلم، وذلك في قصر الثقافة بحي السفارات بمدينة الرياض، وحضر الاحتفال عدد كبير من العاملين في حقل التعليم، يتقدمهم معالي وزير المعارف الدكتور محمد أحمد الرشيد.

وألقى معالي وزير المعارف كلمة أكد فيها أهمية اقتران العلم بالعمل بوصفه قاعدة للتقدم ومنطلقًا للحضارة، منوهًا بما يقدمه خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود - يحفظه الله - من دعم ورعاية للتعليم في المملكة العربية السعودية، مشيرًا إلى أن احتفال المملكة باليوم العالمي للمعلم هذا العام يحمل طابعًا مميزًا، لأنه يأتي وبلادنا تحتفي بمناسبة مرور مئة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية على يد القائد المؤسس جلالة الملك عبدالعزيز يرحمه الله، الذي جعل التعليم منهجًا قويمًا، فغرس البذور الأولى للتعليم على أساس متين من العقيدة الإسلامية.

وقد تمّ في هذا الاحتفال تكريم المعلمين المتميزين في مختلف مناطق المملكة، وأقيم بهذه المناسبة معرض «كتاب المعلم»، وندوة «المعلم: المفهوم، الممارسة، الأثر».

مركز الأمير سلمان الاجتماعي يكرم رواد الأدب والثقافة

تحت شعار «لمسة وفاء لأهل العطاء» أقام مركز الأمير سلمان الاجتماعي أول حفل



www.ahlaltareekh.com


صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز

في افتتاح المؤتمر العالمي للتعليم في باريس

سمو الأمير طلال بن عبدالعزيز: الجامعة المفتوحة ضرورة تفرضها التطورات في العالم العربي

ألقى صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبدالعزيز رئيس برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية كلمة أمام المؤتمر العالمي للتعليم العالي بباريس الذي افتتح في يوم ١٤ جمادى الآخرة الماضي (٦ أكتوبر/ تشرين الأول ١٩٩٨م)، أوضح فيها أن الجامعة المفتوحة أصبحت ضرورة ملحة تفرضها المتغيرات والتطورات التي تشهدها المنطقة العربية، وأن التعليم مطلوب منه أن يؤهل إنسان الألفية الثالثة، ليكون قادراً على مواكبة التحولات الكبرى، مشيراً إلى زوال الحواجز التي كانت بين الأمم والشعوب.

وأشار سموه إلى تجربة برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية في السعي إلى إيجاد نظام تعليمي يستجيب لمتطلبات التنمية البشرية المستديمة.

تكريم لكبار الأدباء ورواد الصحافة السعودية الحديثة بحضور معالي الأستاذ عبدالله العلي النعيم رئيس مجلس الإدارة، ويتزامن هذا التكريم مع اليوم العالمي للمسنين.

وضمت قائمة المكرَّمين من رواد الأدب والثقافة في المملكة العربية السعودية الشيخ عبدالعزيز بن عبدالمحسن التويجري، والأستاذ حسين عرب، وعلامة الجزيرة الأستاذ حمد بن محمد الجاسر، والشيخ عبدالله بن محمد بن خميس ، والشيخ عبدالكريم بن عبدالعزيز الجهيمان، والأستاذ عبدالله بن أحمد الشباط.

المؤتمر الثاني للأدباء السعوديين

يعقد الأدباء السعوديون مؤتمرهم الثاني في رحاب مكة المكرمة خلال الفترة من ٢ إلى ٥ شعبان المقبل.

وتتواصل حالياً اجتماعات اللجنة التحضيرية للمؤتمر برئاسة د. محمد مريسي الحارثي لإنجاز البرنامج العام لأعمال المؤتمر وإعداد توصياتها بهذا الشأن.

مجلة «الإعلام»

تعد وزارة الإعلام - حاليًا - بالتعاون مع مؤسسة فكرة للإعلام لإصدار مجلة شهرية تحت مسمى «الإعلام» لخدمة الحركة الإعلامية والثقافية.

محاضرات وندوات

- «صفات عباد الرحمن»، عنوان محاضرة ألقاها في الجامع الكبير في تبوك الشيخ حسين بن غنام الفريدي.

- «الفكاهة في الغناء العراقي»، عنوان محاضرة ألقاها في ديوان الكوفة في لندن خالد القشطيني.

- «نجيب محفوظ ونتاجه الأدبي»، موضوع محاضرة ألقاها في مكتبة الكونجرس بواشنطن مناحيم ميلسون.

- «مشكلات المشاركة السياسية لدى الشباب في العالم العربي»، عنوان ندوة نظمها مركز الدراسات الشبابية والاجتماعية بالقاهرة، تحدث فيها د. وحيد عبدالمجيد.

- «ممارسة الديموقراطية في الجزائر»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر المعهد الملكي للشؤون الخارجية ومركز دراسات الشمال الأفريقي في لندن محفوظ نحناح.

- «الهندسة الوراثية وزواج الأقارب»، عنوان ندوة نظمتها مكتبة القاهرة الكبرى، شارك فيها كل من د. ماهر مهران، ود. سامية الخشاب.

- «مستقبل الاقتصاد في مصر»، عنوان محاضرة ألقاها في فندق ماريوت القاهرة د. يوسف بطرس غالي.

- «مفهوم القصة القصيرة بين آراء النقاد ورؤى المبدعين»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. عبدالعزيز السبيل.

- «تأثيرات الأدب المصري القديم على مأثورات بني إسرائيل»،

www.ahlaltareekh.com

الشارقة في مطلع شهر شعبان المقبل مستقبل الثقافة العربية في القرن الحادي والعشرين، والتراث الثقافي لمدينة القدس، وتأسيس قناة فضائية عربية، وموضوعات أخرى مهمة.

ومن أبرز الموضوعات المطروحة للنقاش دراسة إنشاء صندوق عربي للتنمية الثقافية، وإصدار تشريع عربي لحماية المصنفات الفنية، ودور القطاع الخاص في تمويل المشروعات الثقافية، وبحث نشاطات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في الفترة السابقة، إضافة إلى الموضوعات الأخرى المدرجة على جدول الأعمال.

قرية تراثية في العين

يجري حاليًا اتخاذ الإجراءات التنفيذية للبدء في إنشاء قرية تراثية في مدينة العين، بعد أن انتهت بلديتها من إعداد التصميمات الخاصة بها.

وتتضمن التصميمات بناء قلعة على النمط الأثري وبيوت ومحلات تجارية ذات طابع تراثي وساحات للاحتفالات والفنون الشعبية، وتقام جميعها بمواد محلية كانت تستخدم قديمًا في مشروعات البناء.

سلطنة عمان

معرض خليجي لطوابع البريد

استضافت مسقط ـ مؤخرًا ـ معرض طوابع البريد الرابع لدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية، حيث عرضت مجموعات نادرة من الطوابع الخليجية.

شارك في المعرض ٢٥ هاويًا خليجيًا، وست شركات عالمية وإقليمية متخصصة في تصميم الطوابع وطباعتها من البحرين وفرنسا وسويسرا وهولندا، فضلاً عن مجموعة من الشركات المتخصصة في مجال البريد السريع الدولي.

كتب جديدة

ـ قراءات في فكر الهلافي الرواحي، تأليف مجموعة من الباحثين.

ـ قراءة في فكر أبي الصوفي، تأليف مجموعة باحثين.

صدر الكتابان السابقان عن المنتدى الأدبي بالسلطنة.

الكويت

أول نادٍ ثقافي عربي على الإنترنت

تأسس في الكويت أول نادٍ ثقافي عربي على شبكة الإنترنت ليحقق حلم الأدباء والمثقفين العرب في إيجاد ملتقى يجمعهم دون حضور مناسبات تقليدية.

تترأس النادي د. هيفاء السنعوسي، وهي أكاديمية متخصصة في الأدب العربي، ويرمي إلى تنمية قدرات العقل العربي، وتطوير إمكانات المبدعين، حيث تتاح لهم حرية نشر كتاباتهم على الشبكة دون شروط سوى التزام القيم والأخلاق وتعاليم الشريعة الإسلامية، كما يتيح لهم فرصة الاطلاع على أعمال زملائهم.

ويعتزم النادي الذي تموله د. السنعوسي تقديم جوائز سنوية لأفضل قصة قصيرة تنشر بالشبكة، وكذا للكتابات المتميزة سواء المقالة أم الشعر أم الدراسة والتحقيق.

كتب جديدة

ـ الفرق بين الجنسين، تأليف د. صلاح الراشد، صدر عن مشروع بيت السعادة الوقفي التابع للأمانة العامة للأوقاف.

ـ الدستور الكويتي مع تمهيد في نشأة الكويت، تأليف عبدالعزيز عبدالله الصرعاوي، صدر عن شركة الربيعان للنشر والتوزيع.

ـ مقرر في الترجمة من الإنجليزية إلى العربية، تأليف د. لافي الحربي، صدر عن لجنة التأليف والتعريب والنشر التابعة لمجلس النشر العلمي بجامعة الكويت.

ـ الطب الإمبريالي والمجتمعات المحلية، تحرير دافيد أرنولد، ترجمه إلى العربية د. مصطفى إبراهيم فهمي، وصدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون.

مصر

اكتشاف مخطوطة نادرة لابن خالويه

عثر ـ بالمصادفة ـ خلال عملية فهرسة مخطوطات مسجد أبي العباس المرسي بالإسكندرية على مخطوطة نادرة تعود إلى القرن الثامن الهجري.

المخطوطة للعالم اللغوي القديم ابن خالويه (ت: ٧٣٠هـ) وتدور حول «إعراب ثلاثين سورة»، ويعتقد بأنها النسخة الوحيدة الموجودة في مكتبات العالم.

مصر تتسلم جائزة اليونسكو لمحو الأمية

تحت رعاية قرينة الرئيس محمد حسني مبارك احتفل ـ مؤخرًا ـ بتسليم مصر جائزة منظمة اليونسكو الدولية لمحو الأمية لعام ١٩٩٨م.

وكانت اليونسكو قد أنشأت هذه الجائزة التي تحمل مسمى «جائزة اليوم العالمي لمحو الأمية» عام ١٩٦٧م، لتمنحها سنويًا للهيئات المتميزة في برامج محو الأمية وتعليم الكبار بمختلف دول العالم.

جوائز ابن تركي للإبداع والتراث

برعاية الأمين العام لجامعة الدول العربية د. عصمت عبدالمجيد، احتفل في مقر الجامعة بتوزيع جوائز مؤسسة ابن تركي للإبداع الشعري والبحوث الفكرية والتراث لعام ١٩٩٨م.

تقاسم جائزة الإبداع الشعري كل من: الشاعر العراقي يحيي السماوي، والشاعرين المصريين محمد التهامي، ود. حسن فتح الباب.

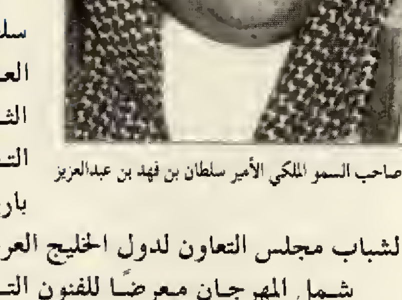
ونال جائزة ترجمة الشعر كلٌّ من: د. محمد محمد عناني عن الترجمة من اللغة الإنجليزية، د. محمد زكريا عناني عن الترجمة من الفرنسية، د. عبداللطيف أبو همام عن الترجمة من الإسبانية (وجميعهم مصريون).

وقسمت جائزة البحوث والتخطيط المستقبلي العربي والإسلامي بين مجموعة مركز البحوث بجامعة عين شمس والباحث الرئيسي د. إبراهيم البحراوي، ومجموعة

www.ahlaltareekh.com



مهرجان ثقافي لشباب دول مجلس التعاون


صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز

رعى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن فهد بن عبدالعزيز، نائب الرئيس العام لرعاية الشباب، ورئيس المهرجان الثقافي الخارجي لشباب دول مجلس التعاون، في مقر معهد العالم العربي في باريس افتتاح المهرجان الثقافي الدولي الثاني لشباب مجلس التعاون لدول الخليج العربية في نهاية شهر جمادى الأولى الماضي.

شمل المهرجان معرضًا للفنون التشكيلية شارك فيه ١٣٠ شابًا خليجيًا، ومحاضرات ناقشت موضوعات عدة منها: «التقارب بين الشعوب»، و«الاختلاف المنتج للحوار»، و«علاقات فرنسا مع دول الخليج»، فضلاً عن عروض موسيقية وفنية وغنائية. وجميعها تعطي فكرة عن ثقافة دول المجلس.

المجلة الجديدة يرأس تحريرها الصحافي د. عبدالله مناع، وتضم هيئتها الاستشارية كلاً من: د. عبدالله الجاسر، ود. منصور الحازمي، ود. مسعد البازعي، ود. عبدالواحد الحميد، وعلى محمد بخش، ومحمد رضا نصرالله، وعايض ناصر الخشيم.

ندوة الترجمة والتعريب

نظمت جامعة الملك سعود في الرياض أول ندوة وطنية علمية حول تطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية وتعميم التعريب.

عقدت الندوة تحت عنوان «تعميم التعريب وتطوير الترجمة في المملكة العربية السعودية» وقصدت إلى إلقاء الضوء على القضايا العامة للترجمة، وحصر نشاطات التعريب في المجالات العملية والطبية والتقنية.

كتب جديدة

- أثر الثقافة في الأدب الإسباني من خوان رويث إلى خوان جونبيصلو، جزآن، تأليف لوثي لوبيث بارالت، ترجمه إلى العربية د. حامد يوسف أبو أحمد، ود. علي عبدالرؤوف البمبي، وراجعه الدكتور أحمد إبراهيم الشعراوي، وصدر ضمن سلسلة «كتاب الرياض» عن مؤسسة اليمامة الصحفية بالرياض.

- العبور إلى ضفاف الإحساس، مجموعة قصصية لحمد الراشد، صدر عن دار البلاد للطباعة والنشر في جدة.

- بحيرة العطش، مجموعة قصصية لعلي محمد الحيردي، صدرت عن النادي الأدبي بالمنطقة الشرقية.

الإمارات

تراث القدس في اجتماعات وزراء الثقافة العرب

يناقش وزراء الثقافة العرب خلال اجتماع الدورة العاشرة لمجلسهم في مدينة

موضوع ندوة نظمها قصر التذوق في سيدي جابر بالإسكندرية، تحدث فيها د. محمد رفيق خليل.

- «التنمية الاجتماعية وبناء المستقبل العربي»، عنوان محاضرة ألقتها في منتدى شومان الثقافي في مدينة عمان، إنعام المفتي.

- «أثر الحضارة الحجازية على مناطق المملكة»، عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. حمود بن ضاوي القثامي.

- «مناهج المستشرقين وتقويمها»، موضوع محاضرة ألقاها في مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، د. عزالدين إبراهيم.

- «الإسلام وأوربا»، عنوان محاضرة ألقاها في مقر مجلس الشورى الإسلامي بمدينة بون الألمانية بيتر شولا لاتور.

- «جغرافية الأماكن التاريخية في المملكة»، عنوان محاضرة ألقاها في دارة الملك عبدالعزيز بالرياض الشيخ محمد العبودي.

- «الرياء: خطره والتحذير منه»، عنوان محاضرة ألقاها في مسجد أحمد بن حنبل بالرياض الشيخ أحمد بن إبراهيم الربيعان.

- «الحلم في القصة والشعر»، عنوان أمسية ثقافية نظمها مكتب جريدة الأهرام في لندن شارك فيها د. إسماعيل شعيب، ود. ماهر منزلجي، وأدارها د. عمرو عبدالسميع.

- «لماذا نحافظ على التراث؟» عنوان محاضرة ألقاها في نادي الطائف الأدبي د. صالح بن علي الهذلول.

- «الفن والاستشراق»، عنوان ندوة أقيمت في قصر الفنون بأرض الجزيرة في القاهرة، تحدث فيها د. محمد أسامة.

- «الغزو الثقافي والعولمة وهويتنا المصرية»، عنوان ندوة نظمها المجلس الأعلى للشباب والرياضة في قاعة الندوات بشارع فؤاد في الإسكندرية، تحدث فيها عصام الجمل.

www.ahlaltareekh.com

البحث بمركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية بأبو ظبي، ومجموعة البحث بجامعة المنصورة المصرية المكونة من د. ضياء الدين مطاوع ود. عبدالرحمن الوصفي.

وتقرر حجب جائزة البحث باللغة الإنجليزية لعدم مطابقة البحوث المقدمة للغرض الذي خصصت له الجائزة.

أركان الإسلام على أقراص ليزر

أعلن فريق من علماء المسلمين برنامجًا للنشء على أقراص الليزر من أجل شرح أركان الإسلام الخمسة بطريقة ميسرة سهلة، عبر ١٥ قصة وموضوعًا تلفازيًا بالرسوم المتحركة و٢٦ نشيدًا.

ويتضمن البرنامج الذي أصدرته دار سفير للنشر شرحًا لكل ركن من أركان الإسلام بصوت الفنان المعتزل محمد العربي، يصاحبه تعليق نصيّ يظهر على شاشة الحاسب الآلي، ويتضمن كلمات منشطة تكتب بلون مختلف، وللحصول على معلومات عنها يمكن للراغب النقر عليها بالفأرة لتظهر صفحة جديدة تقدم مزيدًا من المعلومات.

مقبرة عمرها ٤٥ قرنًا

اكتشفت في منطقة الجبلين في إسنا بجنوب الأقصر مقبرة ضخمة منحوتة في الجبل تعود إلى عصر الدولة القديمة قبل نحو ٤٥٠٠ عام.

عثر في المقبرة على كميات كبيرة من ورق البردي ومسند خشبي للرأس، ومجموعة من الأواني الفخارية المزدانة بالنقوش والرسوم؛ إضافة إلى تمثال نادر لرأس البقرة حتحوت إلهة الجمال عند قدماء المصريين وبقايا تابوت خشبي وهيكل عظمي.

ندوة المخطوطات

نظّم مركز المخطوطات العربية بجامعة المنيا ندوة بعنوان «علم المخطوطات وتحقيق النصوص» خلال الفترة من ٢١ ـ ٢٧ جمادى الأولى المنصرم (١٢ ـ ١٨ أيلول/ سبتمبر ١٩٩٨م)

دارت مناقشات الندوة حول محورين: قضايا تحقيق النصوص، وقضايا المخطوطات العربية. ترأس الندوة د. محمود فهمي حجازي.

الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي

تنظم رابطة الجامعات الإسلامية ندوة بالقاهرة حول الإعلام الدولي وقضايا العالم الإسلامي في النصف الأول من شهر شعبان المقبل (نهاية نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٨م).

يشارك في الندوة مجموعة من أبرز القيادات الإعلامية في الدول الإسلامية، وتبحث الندوة عدة محاور منها: الإسلام والمسلمون في النظام العالمي الجديد، والاتجاهات الحديثة في صناعة الإعلام الدولي وتأثيرها في وسائل الإعلام في العالم الإسلامي، وحدود المنافسة وضرورة التكامل بين وسائل الإعلام الإسلامية.

مكتبة جديدة للجامعة الأمريكية

افتتح رئيس الجامعة الأمريكية في القاهرة جون جيهارت ـ مؤخرًا ـ المكتبة الجديدة للجامعة، وهي واحدة من أكبر المكتبات في المنطقة وأحدثها تقنية.

تضم المكتبة مجموعة من أحدث الكتب العالمية في مختلف مجالات المعرفة، فضلاً عن قسم خاص باللغة العربية وأدبها المترجم إلى اللغة الإنجليزية، وآخر عن الفنون المختلفة من سينما ومسرح وفن تشكيلي، وثالث عن أحدث الدراسات والبحوث والمراجع في علم المصريات والحضارة الفرعونية.

كتب جديدة

ـ سيكولوجية الفرجة، تأليف د. فتحي سلامة، صدر ضمن «مكتبة الأسرة» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب».

ـ تعليم التفلسف، تأليف محمد سعيد زيدان.

ـ حكايات من أندونيسيا، تأليف عبدالتواب يوسف، صدر باكورة سلسلة «حكايات الشعوب» للأطفال.

صدر الكتابان السابقان عن دار سفير للنشر.

ـ الأسطورة والحداثة، تأليف بول. ب. ديكسون، ترجمه إلى العربية خليل كلفت، وصدر في إطار المشروع القومي للترجمة عن المجلس الأعلى للثقافة.



ـ الحريم في القصر العثماني، تأليف د. ماجدة صلاح مخلوف، صدر عن دار الآفاق العربية.

ـ إكمال المعلم بفوائد مسلم، تأليف القاضي عياض، تحقيق يحيى إسماعيل، صدر عن دار الوفاء.

ـ ظلال مضيئة، تأليف محمد إبراهيم أبو سنة، صدر ضمن سلسلة كتابات نقدية.

ـ السقوط على الأرض، مختارات من أشعار تيد هيوز ترجمها إلى العربية سهيل نجم.

صدر الكتابان السابقان عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ـ الكتب والمكتبات في الأندلس، تأليف د. حامد الشافعي دياب، صدر عن دار قباء.

ـ منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش، صدر ضمن سلسلة «الذخائر» عن الهيئة العامة لقصور الثقافة.

ـ البحث عن اليقين المراوغ: قراءة في قصص يوسف إدريس، تأليف فاروق عبدالقادر، صدر ضمن سلسلة «كتاب الهلال» عن مؤسسة دار الهلال.

ـ تطور الأدب في عمان: المصادر ـ المناهج ـ النماذج، تأليف د. أحمد درويش، صدر عن دار غريب.

العراق

استعدادت المربد تبدأ بأزمة

تبدأ أعمال الدورة الرابعة عشرة لمهرجان المربد الشعري في الخامس من شهر شعبان المقبل (٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٨م) ولمدة أسبوع.

تنظم المهرجان وزارة الثقافة والإعلام، وشهد المهرجان أزمة قبل أن يبدأ، حيث قرر



www.ahlaltareekh.com

الشاعر العراقي حسب الله الشيخ جعفر الإقامة بالأردن، مما حدا بالمكتب التنفيذي لاتحاد الأدباء العراقيين تغيير مسمى الجائزة التي كانت تحمل اسم الشاعر المنشق، وجعلها باسم الشاعر حميد سعيد، وكيل وزارة الثقافة والإعلام حاليًا. وبرر الاتحاد قراره بالمكانة التي يحتلها محمد سعيد حاليًا في الشعر العراقي والعربي.

وفاة البحاثة اللغوي د. خليل العطية

توفي الباحث العراقي د. خليل إبراهيم العطية، أستاذ اللغويات في الجامعة المستنصرية ببغداد عن عمر يناهز ٦٢ عامًا.

تخرج د. العطية في جامعة بغداد عام ١٩٥٩م، ونال درجتي الماجستير ثم الدكتوراه من جامعة عين شمس في مصر عام ١٩٧٣م، واشتهر بتحقيقاته التراثية التي منها تحقيقه: ديوان نهار بن تَوْسِعَة، وديوان ليلى الأخيلية (بالمشاركة)، وديوان مسكين الدارمي (بالمشاركة)، وديوان المُزرِّد بن ضرار الغطفاني، وديوان لقيط بن يَعْمَر الإيادي، وديوان توبة بن الحُمَيِّر الخفاجي العُقيلي العامري، والتقنية في اللغة للبندنيجي، والعنوان في القراءات السبع (بالمشاركة)، والفرق لقطرب، وكتب أخرى.

كما قام الراحل بتأليف عدة كتب منها: البحث الصوتي عند العرب، والتركيب اللغوي عند السياب.

كتب جديدة

- فهم اللغة، تأليف تيرنس مورو، وكريستين كارلنج، ترجمه إلى العربية د. حامد حسين الحجاج، وراجعه د. سليمان داود الواسطي، وصدر عن دار الشؤون الثقافية في بغداد.

سورية

توصية بتحديث الإعلام العربي لمواجهة العولمة

طالبت ندوة العولمة بتحديث المؤسسات الإعلامية العربية بالتوسع في استخدام التقنيات المتقدمة.

وأكدت الندوة التي نظمتها الأمانة العامة لاتحاد وكالات الأنباء العربية بالتعاون مع وكالة الأنباء السورية أهمية تفعيل أجهزة الإعلام العربية، وتكثيف حضورها على الساحة الدولية لتحقيق الحضور العربي في ظل العولمة دفاعًا عن الأمة العربية ومصالحها، وتوسيع التعاون بين أجهزة الإعلام العربية بما يخدم التوجهات والمصالح المشتركة، ويجعل هذه الأجهزة تتمكن من التفاعل مع إيجابيات العولمة، والتنبيه على سلبياتها.

المؤتمر العربي التاسع للمكتبات والمعلومات

تستضيف دمشق المؤتمر العربي التاسع للمكتبات والمعلومات الذي يعقد تحت شعار «الاستراتيجية العربية الموحدة للمعلومات في عصر الاتصالات» في مطلع شهر رجب الجاري (٢١ - ٢٦ أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٨م) بمشاركة ١٥ دولة.

يناقش المؤتمر سبل النهوض بالمكتبات العربية، ووضع استراتيجية عربية موحدة للمعلومات تنظم العمل وتسهم في الارتقاء بأساليب الحصول على المعلومات وطرق تسجيلها وتبادلها، آخذة في الحسبان التطور التقني الكبير في مجال الاتصالات وكيفية الاستفادة منه في الارتقاء بمراكز المعلومات العربية.

الدورة ١٤ لمعرض الكتاب العربي

شاركت ٣٨٦ دار نشر تنتمي إلى إحدى عشرة دولة عربية في الدورة الرابعة عشرة لمعرض الكتاب العربي بمكتبة الأسد الوطنية في دمشق.

وعبر ٢٣٥ جناحًا أقيمت على مساحة ستة آلاف متر مربع، تم عرض ما يزيد على ٣٥ ألف عنوان، وأقيمت على هامش المعرض ندوة ثقافية حول الأمن الثقافي العربي شارك فيها مفكرون ومثقفون من أقطار عربية مختلفة.

ندوة علمية للمعهد العربي لإنماء المدن في مدينة حلب

يعقد المعهد العربي لإنماء المدن بالتعاون

رسائل جامعية

«بيئة العمل بأجهزة الخدمات العامة وأثرها على فاعلية استخدام التقنية: دراسة تطبيقية»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة الملك عبدالعزيز في جدة، تقدم بها حمد بن حمدان البشري.

«البرامج التدريبية بمعهد الدفاع المدني والاحتياجات التدريبية للعاملين»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في معهد الدراسات العليا بأكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية في الرياض تقدم بها محمد عبده الصهدي.

«اتجاهات النقد الأدبي في صحيفة الأهرام في الفترة من ١٩٦٠ - ١٩٨٠م»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدم بها محسن عبدالخالق.

«تأثير برنامج تدريبي مقترح على تنمية الأداء الفني لكرة السلة للأطفال من ٦ - ٩ سنوات»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية التربية الرياضية للبنين في الهرم بمصر، تقدم بها مجدي محمد محمد الشيخ.

«كتاب شرح شواهد الخزانة: تحقيق ودراسة»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدراسات العربية والإسلامية في المنيا بمصر، تقدم بها أحمد الأمير.

«بدر الدين العيني وجهوده في اللغة مع تحقيق كتاب فرائد القلائد»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية التربية بجامعة عين شمس، تقدم بها حمد سلمان حمدان.

www.ahlaltareekh.com

الحركة الثقافية في شهر

مع مجلس مدينة حلب في الفترة من ٢١ - ٢٣ رجب الجاري بمدينة حلب ندوة بعنوان «مراكز المدن العربية: إعادة التأهيل عمرانيًا وحضريًا واجتماعيًا واقتصاديًا».

ويشارك في هذه الندوة عدد كبير من ممثلي المدن والبلديات والجامعات العربية والعالمية والمؤسسات المتخصصة والاستشاريين، حيث تقدم هذه الجهات بحوثًا علمية، سيتم اختيار الملائم منها من خلال لجنة علمية من المتخصصين.

وترمي الندوة إلى تعرف الأساليب والتقنيات الحديثة في مجال إعادة تأهيل مراكز المدن والحفاظ على المناطق التاريخية والتراثية فيها، تحقيق تبادل الخبرات والتجارب بين المختصين والفنيين والإداريين بالمدن العربية، وتفعيل مشاركة القطاع الخاص والمنظمات غير الحكومية والهيئات الأهلية في هذا الميدان.

ويتكون برنامج الندوة من سبع جلسات ستعقد على مدار ثلاثة أيام، كما أن هناك معرضًا خاصًا على هامش الندوة، ستعرض فيه أعمال البلديات وإدارات المدن والهيئات العاملة في إعمار المدن وجمعيات الحفاظ على التراث والمكاتب الاستشارية.

كتب جديدة

- الترجمة في العصر العباسي: مدرسة حنين بن إسحق وأهميتها في الترجمة، تأليف مريم سلامة، ترجمه إلى العربية نجيب غزاوي.

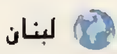
- دمشق الشام في نصوص الرحالين والجغرافيين والبلدانيين العرب والمسلمين، تأليف أحمد الإيبش، وقتيبة الشهابي.

صدر الكتابان السابقان عن وزارة الثقافة في دمشق.

- الدراما التلفزيونية السورية: قراءة في أدوات المشافهة، تأليف مازن بلال، ونجيب نصير، نشر خاص.

- تاريخ الرقة، تأليف الإمام الحافظ أبي علي محمد بن سعيد بن عبدالرحمن القشيري الحرّاني، تحقيق إبراهيم صالح، صدر عن دار البشائر.

- تمارين على قراءة الشعر الياباني، تأليف أوكا - ماكاتو، ترجمه إلى العربية محمد عضيمة، وصدر عن دار المواقف.



لبنان

مهرجان جائزة البابطين

برعاية الرئيس إلياس الهراوي، أقامت مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري مهرجانًا ثقافيًا بمناسبة توزيع جوائز دورتها السابقة التي تحمل اسم «الأخطل الصغير» في نهاية شهر جمادى الآخرة المنصرم.

تمّ خلال المهرجان تسليم الجوائز للفائزين وهم: سميح القاسم - فلسطين (الإبداع الشعري)، وإدريس بلمليح - المغرب (نقد الشعر)، وشوقي بغدادي - سورية، ومحمد القيسي - الأردن (أفضل ديوان)، وجاسم الصحيح - السعودية (أفضل قصيدة).

وأقيمت على هامش المهرجان ندوة علمية حول شعر الأخطل الصغير والقصيدة القومية في بلاد الشام في الفترة ما بين الحربين العالميتين، شارك فيها مجموعة من النقاد العرب، كما أقيمت ثلاث محاضرات، وألقيت بحوث حول قراءة القصيدة الحرة والرومانسية والتقليدية.

كتب جديدة

- مختارات من الشعراء الرواد في لبنان ١٩٠٠ - ١٩٥٠م، اختيار عصام محفوظ، صدر عن شركة المطبوعات للتوزيع والنشر في بيروت.

- سياسة باكستان الإقليمية، تأليف د. حقاني إلياس الحديثي، صدر عن مركز دراسات الوحدة العربية.

- البحر بعيدًا أسمعه يتنهد، ديوان جديد لعبدالوهاب البياتي.

«تفسير محمد بن إسحاق.. جمعًا ودراسة من أول سورة يونس إلى آخر القرآن الكريم»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، تقدم بها عبدالرحمن بن ناصر اليوسف.

«التحقيق البرلماني»، عنوان رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدم بها فارس عمران.

«الأصول الاجتماعية للحركة الوهابية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس، تقدم بها خالد الدخيل.

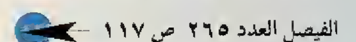
«القانون الواجب التطبيق على الزوج في القانون الوضعي والشريعة الإسلامية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدمت بها مريم عبدالله الجوفي.

«الطب النووي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في جامعة القاهرة، تقدمت بها نادية عبدالمحسن.

«دور برامج تبسيط التكنولوجيا في الإذاعة والتلفزيون في المستشفى العلمي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الإعلام بجامعة القاهرة، تقدمت بها هالة كمال أحمد نوفل.

«التحكم في ظاهرة النمو والفقد النطقي للطابعة الفلكسوغرافية على خامات التغليف المرنة المصنعة محليًا»، عنوان رسالة ماجستير نوقشت في كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان المصرية، تقدم بها مصطفى محمود.

«دور المعاهدات الدولية في حماية الاستثمارات الأجنبية الخاصة في الدول النامية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت في كلية الحقوق بجامعة القاهرة، تقدم بها علي حسين ملحم.



www.ahlaltareekh.com

ـ حوار بلا ضفاف: حوار فكري مع صادق جلال العظم، تأليف صقر أبو فخر.

صدر الكتابان السابقان عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

ـ الخلدونية في ضوء فلسفة التاريخ، تأليف د. سالم حميش، صدر عن دار الطليعة.

ـ موسوعة مصطلحات الفلسفة عند العرب، تأليف جيران جهامي، صدر عن مكتبة لبنان.

الأردن

الندوة الخامسة للجمعية الفلسفية العربية

تنظم الجمعية الفلسفية العربية ندوتها الخامسة حول «الديمقراطية والفلسفة في الوطن العربي» في عمان خلال الفترة من ٥ إلى ٨ شعبان المقبل (٢٤ ـ ٢٧ نوفمبر/تشرين الثاني ١٩٩٨م).

يشارك في الندوة عدد من مفكري العالم العربي وفلاسفته، وتناقش عدة موضوعات من بينها الديمقراطية واليوتوبيا، والديموقراطية والقيم.

كتب جديدة

ـ تلك الشجرة الجليلة، ذلك الانحدار السحيق، تأليف رسمي أبو علي، صدر عن أمانة مدينة عمان.

ـ المثقفون العرب والاستمالة السياسية، حوارات وشهادات لمجموعة من المفكرين والمثقفين العرب، صدر ضمن سلسلة «حوارات استراتيجية» عن مركز حنين للدراسات الاستراتيجية في عمان.

الجزائر

تنصيب أعضاء مجمع اللغة العربية

رعى الرئيس الأمين زروال ـ مؤخراً ـ الاحتفال بتنصيب أعضاء المجمع الجزائري للغة العربية، الذي أُسّس ليكون تعزيزاً للجهود الرامية إلى حماية الهوية الوطنية وتطويرها بكل أبعادها ومكوناتها.

وحدد زروال في كلمته مهام المجمع في خدمة اللغة الوطنية من خلال إغنائها وتنميتها وتطويرها، والعمل على مواكبتها للعصر، والإسهام في إشعاع اللغة العربية بوصفها أداة إبداع في ميادين الآداب والفنون والعلوم.

ملتقى «الإسلام وتحديات العصر»

يستضيف المعهد العالي للحضارة الإسلامية في وهران أعمال الملتقى الدولي الرابع حول «الإسلام وتحديات المستقبل» في مطلع شهر شعبان المقبل (النصف الثاني من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٩٨م).

يناقش المؤتمر التحديات التي تواجه العالم العربي والإسلامي في العصر الحديث، ويشارك في أعماله عدد كبير من مفكري العالم العربي وكُتّابه.



المغرب

مهرجان عالمي للشعر

نظم بيت الشعر بالمغرب المهرجان العالمي الأول للشعر في مدينة الدار البيضاء بمشاركة ١٤ شاعراً من العرب والأجانب.

انطلق المهرجان من فكرة اللقاء والتحاور بين الشعراء العرب ونظرائهم في بلدان العالم الأخرى، وتضمن أربع أمسيات شعرية،وثلاثة معارض: معرض ديوان الشعر المغربي الحديث، ومعرض الشعراء العرب المحدثين، ومعرض الشعر والتشكيل في المغرب. كما أقيمت ندوة بعنوان «الشاعر في زماننا» رمَت إلى التأمل في الوضع الاعتباري للشاعر في المجتمع. ووجه المهرجان رسالة إلى المدير العام لليونسكو فيدريكو مايور طالب فيها بتخصيص يوم عالمي للشعر حتى يصبح الشعر غناء الإنسانية الأول.

كتب جديدة

ـ أفواه واسعة، رواية لمحمد زفزاف، صدرت عن مطبعة الجنوب في الدار البيضاء.

ـ النمو الثقافي ومشاكله في العالم الإسلامي، تأليف مجموعة من الباحثين، صدر عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة في الرباط.

ـ غواية الشحرور الأبيض، تأليف محمد شكري، صدر عن شركة سليكي إخوان في طنجة.

ـ خط الفزع، رواية لإدريس بلمليح، صدرت عن دار إفريقيا الشرق بالدار البيضاء.

أذربيجان

ندوة الحضارة الإسلامية في القوقاز

تستضيف مدينة باكو أعمال ندوة دولية حول «الحضارة الإسلامية في القوقاز» في النصف الثاني من شهر شعبان المقبل (ديسمبر/كانون الأول ١٩٩٨م) بمشاركة عدد كبير من العلماء من مختلف أنحاء العالم.

الندوة يقيمها المركز الإسلامي لأبحاث التاريخ والثقافة والفنون في استنبول، وتناقش الدراسات العلمية التي تمت في مجال موضوعها. كما تلقي ضوءاً على المراجع والمصادر الخاصة بالثقافة الإسلامية بالقوقاز، من خلال خمس جلسات عمل تبحث المصادر المتعلقة بتاريخ الثقافة الإسلامية في القوقاز، وتاريخ دخول الإسلام إلى تلك المنطقة، والتأثيرات المتبادلة بين الثقافة الإسلامية والثقافات المحلية، وإسهامات المجتمع القوقازي في الحضارة الإسلامية، ووضع الثقافة الإسلامية في القوقاز خلال الفترة السوفياتية.

وتُعْقد حلقتان دراسيتان على هامش الندوة تناقشان عدداً من الموضوعات، من بينها تقويم بيليوجرافي لترجمات معاني القرآن الكريم إلى اللغات الموجودة في القوقاز، والفن والعمارة هناك.

روسيا

د. يفجيني بريماكوف مستعرب بدرجة رئيس وزراء

بتعيين د. يفيجيني بريماكوف رئيساً لوزراء روسيا يصبح بريماكوف أول مستعرب يتولى هذا المنصب الرفيع.

وبريماكوف من مواليد أوكرانيا عام ١٩٢٩م وتخرج في معهد الاستشراق عام ١٩٥٥م، حيث درس اللغة العربية وعمل لمدة ١٤ عاماً مراسلاً لصحيفة «برافدا»

www.ahlaltareekh.com

وإذاعة الاتحاد السوفيتي وتلفازه في الشرق الأوسط، ونال درجة الدكتوراه بأطروحة عن «مصر في عهد عبدالناصر». وبعيداً عن الخوض في عمله السياسي وتدرجه في المناصب السياسية، يُذكر أنه عضو في أكاديمية العلوم، ومهتم بقضايا الفكر والثقافة، وعلاقاته العربية وثيقة بحكم استعرابه.

الرمال

هذا اسم أحدث مجلة جامعة صدر عددها الأول باللغة العربية في العاصمة موسكو.

تسعى المجلة إلى نشر الدراسات النظرية، وبخاصة تلك التي تتناول العالم العربي والعلاقات العربية والروسية، فضلاً عن تعميق الرؤية الأدبية والفنية والتاريخية عند قارئها.

ألمانيا

اليوبيل الذهبي لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب

شارك نحو تسعة آلاف دار نشر تنتمي إلى ما يزيد على مئة دولة من مختلف أنحاء العالم في الدورة الخمسين لمعرض فرانكفورت الدولي للكتاب في النصف الثاني من شهر جمادى الآخرة المنصرم (٧ - ١٢ أكتوبر/تشرين الثاني ١٩٩٨م).

واحتفى المشاركون باليوبيل الذهبي للمعرض الذي يعد عرساً سنوياً للكتاب في العالم، حيث لا يزال محافظاً على المرتبة الأولى عالمياً بين معارض الكتب.

أقيم المعرض على مساحة تقارب من ١٥٠ ألف متر مربع ليعرض نحو ثلاثمئة ألف عنوان بلغات مختلفة، تحت شعار «عالم النشر» وتركزت الأضواء على سويسرا التي اختيرت لتكون البلد المضيف للدورة الحالية، حيث شارك عدد كبير من كتّابها ودور النشر بها في أعمال المعرض تحت شعار «سويسرا دولة مجاورة».

واحتفى المعرض بأديب ألمانيا الكبير مارتين فالزر (٨١ عاماً) بمناسبة فوزه بجائزة السلام للناشرين الألمان، كما منحت الكاتبة والناشرة التركية عائشة نور زراكولو «جائزة حرية النشر الدولية» التي قدمها الاتحاد الدولي للناشرين للمرة الأولى هذا العام.

وأقيمت عدة نشاطات ثقافية وأدبية وإعلامية وعلمية متنوعة تمثلت في مهرجانات ولقاءات وندوات ومحاضرات وأمسيات، من بينها لقاء للتعريف بالأدب العربي ضم عدداً من الكُتّاب المصريين واللبنانيين الذين دعوا لحضور المعرض في ظل مشاركة عربية فاعلة حيث تمثل قرابة نصف الدول العربية بالعديد من دور النشر الحكومية والخاصة.

أحدث الكتب

- أحوال المرأة في الإسلام، تأليف منصور فهمي، ترجمه إلى العربية رشيدة مقدادي، وراجعه هاشم صالح، وصدر عن دار الجمل (الكتاب أصلاً رسالة دكتوراه تقدم بها المؤلف عام ١٩١٣م إلى جامعة السربون الفرنسية، وقد تمت الترجمة عن الفرنسية).

الولايات المتحدة

رحيل الأديب النوبلي ألن دوروى

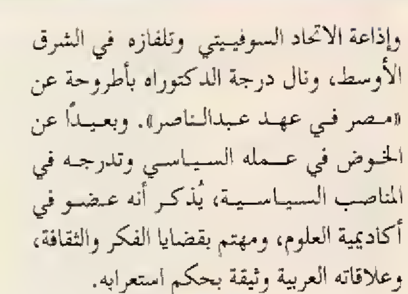
توفي الكاتب ألن دوروى، أحد رواد الحركة الأدبية الحديثة في الولايات المتحدة الأمريكية الذي توفي - مؤخراً - عن عمر يناهز ٨٠ عاماً.

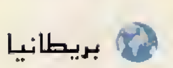
وألن الحاصل على جائزة نوبل في الآداب عام ١٩٦٠م، بدأ حياته صحافياً في مكتب صحيفة «نيويورك تايمز» في واشنطن، ثم ما لبث بعد تخرجه في جامعة ستانفورد عام ١٩٣٨م أن اتجه لكتابة الرواية والقصة القصيرة، مقدماً تسع عشرة رواية، وخمس مجموعات قصص قصيرة في مجال الخيال العلمي.

جائزة مهرجان دوفيل لماري كلارك

منحت الكاتبة الأمريكية ماري هيجنز كلارك الجائزة الأدبية لمهرجان دوفيل عن روايتها الأخيرة «أنت لي».

وتعد ماري كلارك من أبرز كُتّاب الرواية البوليسية، وقد وضعت نحو ست عشرة رواية. أما مهرجان دوفيل فهو يتميز من غيره من مهرجانات السينما بكونه يمنح جائزة أدبية.





بريطانيا

معرض للفنان فؤاد مغربل

تحت رعاية سفير خادم الحرمين الشريفين في لندن د. غازي عبدالرحمن القصيبي أقيم في المكتب السعودي معرض للفنان التشكيلي السعودي فؤاد مغربل.

ضم المعرض ثمانياً وعشرين لوحة زيتية تمثل التراث المعماري والحرف والرقصات الشعبية السعودية وقد حاز إعجاب الزوار.

جائزة عبدالله الطريقي

تأسست - مؤخراً - جائزة باسم «جائزة عبدالله الطريقي» يشرف عليها مركز دراسات الوحدة العربية من خلال «وقفية عبدالله الطريقي» التي تبلغ قيمتها مليون دولار.

تبلغ قيمة الجائزة ٢٥ ألف دولار، وتمنح في ذكرى وفاة الطريقي في ٧ سبتمبر/أيلول مرة كل عامين لشخصيات عربية تتويجاً لعطاء محدد ومواقف معينة في خدمة الأمة العربية في مجالات النفط والتحرر والتنمية المستقلة.

ويتم الترشيح لنيل الجائزة من خلال المؤسسات العلمية والسياسية والأهلية والشخصيات القومية. أما الاختيار فيكون عبر لجنة تحكيم تشكل لهذا الهدف.

أحدث الكتب

- ابتداع الصليبية، تأليف كريستوفر تايرمان.

- شرح ظاهرة هتلر، بحث في أصل شروره، تأليف رون روزنبوم.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر ماكميلان.

- رجل شيكاغو المحبوب، تأليف سيمون دي بوفوار، صدر عن دار نشر جولانس.

- سيروس يزهر في الليل، رواية لشاني موتو، صدرت عن دار نشر جرانت.



www.ahlaltareekh.com



ـ عنوان المجد في بيان أحوال بغداد والبصرة ونجد، تأليف إبراهيم بن السيد صبغة الله الحيدري البغدادي (ت: ١٨٨٢م)، صدر عن دار الحكمة.

ـ السقوط ببطء، رواية لأنيتا بروكنز، صدرت عن دار نشر فايكنج.

ـ الحضارة الغائبة عن الوعي، تأليف جون رالستون سول، صدر عن دار نشر بنجوين.



فرنسا

العثور على مخطوطات أدبية نادرة

اكتشف مسؤولو دار نشر جاليمار مجموعة نادرة من المخطوطات الأدبية لنخبة من كبار الكتاب الفرنسيين في أحد الصناديق الموجودة بالدار.

المخطوطات المكتشفة ينتظر أن تسلم إلى المكتبة الوطنية لأهميتها، حيث تضم على سبيل المثال بعض الأوراق الفلسفية الخاصة بالفيلسوف الراحل هاين ديدرو، وأعمال مسرحية وترجمات ومراسلات لكل من الشاعر أبو لينار، وريمون روسيل، والنسخة الأخيرة من كتاب ذكرياتي للروائي الراحل شاتو بريان

أحدث الكتب

ـ لقد عرفت كافكا، تأليف هانتو جرد كوش، ترجمه إلى الفرنسية فرانسوا لوران، وصدر عن دار نشر سولان اكت.

ـ مارجريت دورا، تأليف لور أدلر.

ـ الرداء الأندلسي، رواية ألزا موانشو، ترجمها إلى الفرنسية ماريو فوسكو.

صدر الكتابان السابقان عن دار نشر جاليمار.

ـ الجمهورية كما شرحتها لابنتي، تأليف ريجيه دوبريه، صدر ضمن سلسلة من الكتب التربوية عن دار نشر سوى.

ـ الزئبق، رواية لإميلي نوتومب، صدرت عن دار نشر إلبان ميشيل.

ـ العولمة، تأليف جان بيير باوليه، صدر عن دار نشر أرمان كولين.

اليابان

موسوعة إلكترونية

قالت مصادر صحفية إن أحد كبار الناشرين اليابانيين قد بدأ في العمل لإصدار موسوعة إلكترونية تضم أشهر المراجع والقواميس الكبرى في العلوم والمعرفة.

الموسوعة ينتظر ألا يزيد حجمها على حجم علبة التبغ (السجائر)، وتتضمن فهرسًا كاملاً لمحتويات كل كتاب مع ذكر تفاصيله كافة.

كوريا الجنوبية

معرض حضارات العالم القديم

يقام حاليًا في مدينة كيونج جو معرض لحضارات العالم القديم بمشاركة أربعين دولة من مختلف أقطار العالم.

يقدم المعرض ملامح الحضارة القديمة لكل دولة مشاركة في مجالات العادات والتقاليد والفنون، وتقام على هامشه نشاطات ثقافية تتمثل في محاضرات وندوات وأمسيات فنية.

بيرو

أقدم الحضارات البحرية

اكتشف آثاريون أمريكيون آثارًا قبالة سواحل البيرو وتحديدًا في كيبرادا فانجواي وكيبرادا تاكهواي، ويعتقد أنها دليل على أقدم حضارة بحرية، حيث تعود إلى ما قبل نحو ١١٠ إلى ١٣٠ قرنًا.

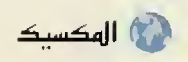
تتكون الآثار المكتشفة من أدوات وشباك صيد وبقايا السمك والقشريات والطيور البحرية، ويعتقد أن سكان تلك المنطقة اضطروا للرحيل عنها بسبب فيضانات عارمة تفاقمت نتيجة لظاهرة «النينيو» المناخية.

فنزويلا

د. ميلاد حنا يفوز بجائزة بوليفار

منح المفكر المصري د. ميلاد حنا جائزة سيمون بوليفار الدولية لعام ١٩٩٨م، التي تقدمها منظمة اليونسكو العالمية بالتعاون مع حكومة فنزويلا.

الجائزة سبق أن فاز بها كل من: ملك إسبانيا خوان كارلوس، ورئيس جنوب إفريقية نيلسون مانديلا، ورئيس تنزانيا السابق جوليوس نيريري، وتعد من أرفع جوائز اليونسكو.



المكسيك

وفاة الروائية إلينا جارو

توفيت ـ مؤخرًا ـ الأديبة المكسيكية الإسبانية الأصل إلينا جارو عن عمر يناهز ٧٧ عامًا.

وجارو من أبرز روائيات أمريكا اللاتينية، وهي زوجة سابقة للشاعر العالمي أوكتافيوباث، وعاشت معه أهوال الحرب الأهلية الإسبانية التي ظهرت آثارها في روايتها «البيت الذي بجانب النهر»، ثم توالى إنتاجها الروائي والمسرحي، فقدمت رواية «تذكّر أشياء ستأتي»، ومسرحية «الملك الساحر»، والمجموعة القصصية «أسبوع الألوان»، ومؤلفات أخرى.



أورجواي

مستشرقة تعتزم تأسيس معهد للدراسات الإسلامية

أعربت المستشرقة د. إيزابيل سو تيلودي فرانسيزيني عن عزمها على تأسيس معهد للدراسات الإسلامية في أوروجواي وترجمة الأعمال الأدبية الأوروجوية إلى اللغة العربية.

ود. إيزابيل مستشرقة عملت بالدول العربية، وآخر عمل تولته كان أستاذة اللغة الإسبانية بجامعة القاهرة، وقد عادت إلى بلدها قبل شهر.

www.ahlaltareekh.com

أحببت أن أعلم: أللنساء شيء؟

محمد سعيد مولوي

حين يرجع القارئ إلى الكتب التي تتحدث عن علاقة الرجل بالمرأة في الجاهلية يجد صُورًا مختلفة تدفع إلى العجب حينًا والدهشة حينًا آخر. فقد كان للزواج، ونحن نتوسع بمفهوم هذه الكلمة هنا، صور مختلفة، بعضها يتفق مع ما نعرفه في حياتنا اليوم، وبعضه الآخر غريب وينفر الطبع السليم منه.

فقد كانت الصورة الأجلى والأوضح والأكثر شيوعًا ما نراه اليوم في حياتنا حين يتقدم الخاطب إلى أهل الفتاة تشفع له خطبة تبيّن حسناته، ومهر يقدمه، ويتم العقد بين الطرفين ويصبحان زوجين(١).

وثمة صور أخرى أوردتها السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ (٢) منها قولها: «ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه، ويعتزلها زوجها إذا أحب؛ وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر: يجتمع الرهط ما دون العشرة، فيدخلون على المرأة كلّهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع، حتى يجتمعوا عندها. تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان تسمي من أحبت باسمه، فيلحق به ولدها لا يستطيع أن يمتنع منه الرجل».

كما ورد عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: كان الرجل إذا مات أبوه أو حميه، فهو أحق بامرأته إن شاء أمسكها أو يحبسها، حتى تفتدي بصداقها، أو تموت، فَيَذْهَبَ بمالها». وقال عطاء بن أبي رباح: «إن أهل الجاهلية كانوا إذا هلك الرجل فترك امرأة، حبسها أهله على الصبي يكون فيهم». وقال السدّي: «إن الرجل في الجاهلية كان يموت أبوه أو أخوه أو ابنه، فإذا مات وترك امرأته، فإن سبق وارث الميت، فألقى عليها ثوبه، فهو أحق بها أن ينكحها بمهر صاحبه، أو يُنكحها فيأخذ مهرها، وإن سبقته فذهبت إلى أهلها، فهي أحق بنفسها»(٣).

ويروي المؤرخون أن حال المرأة في الجاهلية لم يكن حسنًا مع أي حال، فقد كانت كالمتاع تؤكل حقوقها وتبتز أموالها، وتحرم من إرثها، فهي ليست مخلوقًا يستحق الحياة أو التفكير، وليست إنسانًا يحس كما يحس الآخرون، ويفكر كما يفكر بقية الناس، وهي ليست مستقلة في تقرير أمورها وتدبير شؤونها، بل يحق للرجل أن يفصلها ويمنعها أن تنكح زوجًا ترضاه بعد وفاة زوجها، بل تعدى الأمر هذا إلى أنها أصبحت تورث كما يورث المتاع أو الدابة، وكثيرًا ما كان الأب يزوج ابنته دون موافقتها ومن غير مشورة منها، فلا يكون لها حق في اختيار شريك حياتها ومن ستعيش معه بقية عمرها، فهي مسلوبة الإرادة منتقصة الشخصية.

هذه الصورة التي كانت للمرأة وزواجها في الجاهلية، جاء الإسلام فطمسها وأبطلها، وغيرها وأبقى منها زواجًا واحدًا وهو الزواج الذي نعرفه في حياتنا اليوم، وهو أن يتقدم لخطبة المرأة مقدمًا صداقًا.

ولقد حرص الإسلام حرصًا شديدًا على أن يكون للمرأة حقّها في اختيار زوجها والقبول به، وأعطى الولاية لأبيها إذا كانت صغيرة، ولكنه جعل من شرط الزواج الكامل أن توافق البنت المخطوبة سواء أكانت بكرًا أم ثيبًا، فإن سكتت البكر حياء دلّ ذلك على قبولها. أما الثيب فلها القبول أو الرفض نطقًا.

إن هاتين الصورتين المتقابلتين لما في الجاهلية والإسلام لم تخلوا من موقف أكدت فيه المرأة المسلمة حقها، ووقفت موقفًا مباشرًا وقويًا تطالب بحقها في قبول زوجها أو رفضه، حادّةً من سلطة وليها وتجاوزه، جاعلةً الأمر في يدها، رامحةً أباها من التجاوز عليها، وهو موقف يحتاج لتفكير وتقدير. وكما يجري في أيامنا هذه: قد يرى الأب لنفسه حقًا أو دالة، فيزوج ابنته دون أخذ موافقتها معتمدًا نظرته إلى أنه أبوها وله أن يتصرف في مستقبلها وهو لا يريد لها إلا خيرًا، أو منطلقًا من تفكير أهوج متسلط نسمعه اليوم لدى بعض الآباء الذين سيطرت مفاهيم منحرفة على عقولهم، فتسمع الواحد منهم يصرح وبكل جفاء: لا رأي للبنت عندنا، ونحن لا نأخذ رأي بناتنا في زواجهن، فما نختاره لهن يجب عليهن أن يقبلن به.

ولقد رفعت الصحابية الفتاة المغمورة لواء حق المرأة المسلمة في اختيار زوجها عاليًا، وأبت أن يستلبها أبوها حقّها من منطلق التسلط، وتحدَّت سلطة الآباء منذ ظهور الإسلام، وحتى يومنا هذا، ليس تحديَ المعاداة والمخاصمة، وإنما تحدي إثبات الحق وإبراز الوجه المشرق لهذا الدين العظيم الذي كرّم المرأة ورفع من شأنها، وأعطاها قيمتها الحقيقية إنسانًا مساويًا للرجل، له حق الحياة العزيزة والتملك والتصرف ومباشرة الأمور بحرية مساوية لحرية الرجل.

والموقف هذا له روايتان متشابهتان في كتب الحديث إحداهما عن أبي بريدة عن أبيه قال: جاءت فتاة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته. قال: فجعل الأمر إليها، فقالت: قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء(٤).

وثانية الروايتين، عن عبدالله بن بريدة، عن عائشة: «أن فتاة دخلت عليها، فقالت: إن أبي زوجني ابن أخيه ليرفع بي خسيسته، وأنا كارهة. قالت: اجلسي حتى يأتي النبي صلى الله عليه وسلم، فجاء رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأخبرته، فأرسل إلى أبيها، فدعاه، فجعل الأمر إليها، فقالت: يا رسول الله قد أجزت ما صنع أبي، ولكن أردت أن أعلمَ أللنساء من الأمر شيء»(٥).

رحم الله هذه الفتاة الحرة الأبية، لقد أحست في قرارة نفسها أن لها حقًا في اختيار زوجها، وأن أباها عدا على هذا الحق، وما كانت تريد معاداة أبيها، ولا تبحث عن غضبه، لكنها تريد أن تسترجع حقًا هو ملك لها، وأن تعلن على الدنيا كلها أن لِبَنات جنسها مثل هذا الحق، وقد أحسّت بهذا الحق بداهة ومن معرفتها لروح الإسلام الذي كَرَّم المرأة وأعطاها حقها، لكن إحساسها لم يكن كافيًا، كانت تريد القرار الذي ترفعه النساء جميعًا في وجه من يريد أن يتسلط من الآباء «أردت أن تعلم النساء أن ليس إلى الآباء من الأمر شيء».

وقد حصلت على هذا القرار وجعل رسول الله صلى لله عليه وسلم الخيار بيدها، إن شاءت رفضت، وإن شاءت أجازت.

هذه الفتاة في موقفها كانت قوية مع أن النساء ضعيفات بجانب الرجال، وكانت أقوى من الرجال؛ لأنها تسلحت بحق أعطاها إياه الإسلام وكَرَّمها به. ومن منطق القوّة الذي أحسّت به انطلقت إلى موقف البر والإحسان للأب، فإن كانت قد أغضبت، لأنها كرهت وأرادت إثبات حقها واسترجاع هذا الحق، فهي لا تريد جرح أبيها ولا إغضابه ولا الإساءة إليه، بل هي به بارّة محبة مطيعة، وكانت كلمتها المنبعثة من موقف الحب والاحترام: «قد أجزت ما صنع أبي».

ترى كم من النساء فتحت لهم هذه الفتاة في موقفها طريق السعادة؟!

الهوامش:

١ـ ذكرته السيدة عائشة رضي الله عنها في حديثها الذي رواه البخاري في كتاب النكاح.
٢ـ رواه البخاري في كتاب النكاح.
٣ـ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٣٢.
٤ـ سنن ابن ماجه ١٦٦٢/ ـ موسوعة الكتب الستة.
٥ ـ سنن النسائي ٦٨٧/ موسوعة الكتب الستة.

المواقف مستقاة من «الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر، ج٤، ص ١٧٠١ بتحقيق علي محمد البجاري، مطبعة نهضة مصر، والدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبدالبر بتحقيق الدكتور مصطفى البغا ـ مطبعة الطباخ ١٩٨٤، وصحيح البخاري باب الصلاة في الثوب الواحد.

www.ahlaltareekh.com



الجزيرة
الجزيرة تكفيك
تثري مساءك
المسائية
تصدران يوميا عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر.. ص.ب ٣٥٤ الرياض ١١٤١١ .. تلكس ٤٠١٤٧٩ جزائي اس جي.

أدب الوصايا والمواعظ

طرح مؤلف هذا الكتاب الدكتور عدنان علي رضا النحوي في كتابه مجموعة من الأسئلة، محاولاً الإجابة عنها، ومن تلك الأسئلة: ما منزلة أدب الوصايا والمواعظ في الإسلام؟ وما منهجه؟ وما خصائصه؟.

وهو في الوقت نفسه يرد على أولئك الذين لا يرون في المواعظ والوصايا مجالاً للأدب والفن، إذ يشير إلى أنها: «ثروة عظيمة في تاريخ الأدب الملتزم الإسلام، وعبق نديّ تحمله الدعوة الإسلامية في مسيرتها لتُغني به البشرية كلها».

وضم هذا الكتاب سبعة أبواب، يتجزأ كل واحد منها إلى عدة فصول. فالباب الأول الذي يحمل عنوان «قضايا في الأدب الإسلامي»، يتكون من ستة فصول تناولت مفهوم الأدب الملتزم الإسلام، وأسباب اختلاف التصورات نحو «مفهوم الأدب الإسلامي»، ولماذا اللغة العربية؟، ومدى وجود سبيل للأدب والفن المنبثق عن التصور الإسلامي، ثم أدب غير المسلمين، وحوار مع بعض الذين ينكرون الأدب الإسلامي.

أما الباب الثاني الذي عنوانه «امتداد الوصايا والمواعظ في الشعوب والعصور»، فقد تكون من فصلين ضما الوصايا والمواعظ في الشعوب والأمم والعصور، ونماذج من الوصايا والمواعظ في العصر الجاهلي.

وعن الخصائص الإيمانية لأدب الوصايا جاء الباب الثالث الذي تكون من ثلاثة فصول تناولت النهج والخصائص الإيمانية للوصايا والمواعظ، وما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من وصايا ومواعظ؛ ويعرّج المؤلف على أدب الوصايا والمواعظ في عهد الخلفاء الراشدين مفرداً له الباب الرابع المتكون من خمسة فصول، ثم يتناول في الباب الخامس أدب الوصايا والمواعظ بعد الخلفاء الراشدين في فصلين اثنين، ثم جعل الباب السادس لأدب الوصايا والمواعظ في الشعر، ويختتم الكتاب بباب عنوانه «دراسة فنية موجزة لبعض خصائص الوصايا والمواعظ».

يقع الكتاب في ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن دار النحوي للنشر والتوزيع بالرياض.

الأنشطة العلمية غير الصفيّة ونوادي العلوم (دراسة ميدانية)

كتاب أعده أ.د. بسيوني عميرة، وهو يتناول النشاطات العلمية غير الصفية التي تمارس في جماعات العلوم ونواديها، وقد قام المؤلف بهذه الدراسة بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، ويضم جانبًا نظريًا وآخر ميدانيًا، واستخدم في الدراسة أسلوب الدراسة الميدانية الاستبانية لاستطلاع آراء المشرفين على جماعات العلوم ونواديها وأعضائها من الطلاب.

وبينت الدراسة أن هناك اتفاقًا من جانب المشرفين والطلاب في دول مجلس التعاون الخليجي الست على أن الأنشطة غير الصفية مهمة، ويجب أن تكون أساسًا للمنهج الشامل للمدرسة.

والأنشطة غير الصفية أو خارج الفصل - كما يشير المؤلف - هي: «نشاطات متصلة بالمدرسة، يشارك فيها الطلاب والمعلمون، وذلك بصرف النظر عن الدراسة الأكاديمية التي تُخصّص لها حصص في جدول الدراسة مثل الرياضة، والنوادي المختلفة، ومجالس الطلاب، والصحافة المدرسية، والرحلات. ومن خصائص هذه الأنشطة أن تترك فيها الحرية للطالب للاشتراك، بحيث يكون التوجيه الذاتي للطالب، والدافعية الذاتية له أعلى ما يمكن، بينما يكون توجيه المعلم (أو تدخله) والدافعية الخارجية التي تدفع الطالب للاشتراك في النشاط أقل ما يمكن».

وأكد المؤلف أن الأنشطة غير الصفية جزء مهم من برنامج المدرسة لتربية أبنائها، مشيرًا إلى ما لخصه رولاند قادنس عنها في دائرة معارف البحث التربوي، إذ أشار إلى أنها تتفق مع خصائص الذهنية، وتسهم في إتاحة الحرية للطلاب في ممارسة أنواع من التعليم يرغبونها، وأنها تغني المنهج الأكاديمي، وتدعم الصلة بين المدرسة والمجتمع.

الكتاب يقع في ٣٤١ صفحة من القطع المتوسط، وقد صدر عن مطبعة مكتب التربية العربي لدول الخليج.

الوطن في أدب الشراكسة

الكتاب دراسة موسعة لتاريخ الشراكسة وعاداتهم وتقاليدهم وأصولهم ووطنهم ودياناتهم وتنقلاتهم ورحلاتهم ودولهم وسلاطينهم وأدبهم من شعر ونثر وأثره في الأدب الشركسي العربي وأشهر شعرائهم. تقدمه لقراء العربية الكاتبة إيمان بقاعي ذات الخؤولة الشركسية. وطأت المؤلفة لبحثها بمدخل عن أصل الشراكسة وقبائلهم وموطنهم القفقاس، وأثر البيئة الجغرافية في تكوينهم الجسمي والنفسي، وصفاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ودياناتهم بدءًا من الوثنية، ومرورًا بالمسيحية، وانتهاءً بالإسلام، ثم تشرذمهم وتفرقهم في بلاد العالم والبلاد العربية، وأخيرًا حكم بعض سلاطينهم لمصر فترة من الزمن. ثم تناولت أدب الشراكسة العربي بدءًا من عصر سلاطين الشراكسة وأعطت نموذجين عنه أحدهما الشاعر والمؤرخ ابن إياس (ت:نحو:٩٣٠هـ/١٥٢٤م) والثاني السلطان الشاعر قانصوه الغوري (ت:٩٢٢هـ/١٥١٦م)، وذكرت نماذج كثيرة من أشعارهما، بعد ذلك تحدثت بتفصيل عن الشاعر الشركسي محمود سامي البارودي (ت:١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) فتناولت حياته وشعره وموطنه مصر بين الحنين والوجع، وأهم الموضوعات التي طرقها في شعره، وأغلبها حديث عن السيف والخيل والحرب والشجاعة، ووثّقت ذلك كله بفيض كبير من أشعاره.

ثم تحدثت عن القضية الفلسطينية في شعر الشراكسة واتخذت نموذجًا لذلك الشاعر أحمد محرم (ت:١٣٦٤هـ/١٩٤٥م)، وعدّته شاعر القضية الفلسطينية، واستشهدت بكثير من شعره.

واستعرضت الشتات والغربة في شعر الشراكسة وضربت مثلاً على ذلك الشاعر فيصل حبطوش الذي صور الأحزان الشركسية التي عاناها الشراكسة.

كما تحدثت عن الشتات والغربة في الرواية الشركسية العربية والمعربة واتخذت أنموذجًا لذلك الأديب راسم رشدي والأديبة زهرة عمر أبشاشة، واستعرضت عدة روايات تناقش معاناة الشركس وشتاتهم وتمزقهم وتفرقهم.

وتحدثت كذلك عن أثر التراث الشركسي في أدب الشراكسة العربي من لغة وشعر وأساطير وأمثال وأغانٍ وأناشيد وعادات وتقاليد، وضربت الأمثلة الكثيرة على ذلك.

وختمت الكتاب بفهرس للمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في إعداد بحثها ثم بفهرس للمحتويات.

يقع الكتاب ٤٨٠ صفحة من القطع المتوسط وليس فيه إشارة إلى الدار الناشرة أو سنة النشر.



www.ahlaltareekh.com

فيسلاوا شيمبوسكا: الشاعرة المسكونة بالعذاب!

سعيد بو عطة

منحت الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للآداب لعام ١٩٩٦م للشاعرة والناقدة البولونية فيسلاوا شيمبوسكا (١٩٢٣م) بوصفها من أقطاب الشعر البولوني الحديث؛ فقد أصدرت منذ عام ١٩٥٢م حتى عام ١٩٩٣م ست عشرة مجموعة شعرية تُرجم أغلبها إلى لغات حية.

لقد عرف الشعر البولوني في نهاية الأربعينيات وبداية الخمسينيات العديد من التيارات والمدارس الإبداعية؛ إذ برز شعراء مختلفو الاتجاهات والأساليب، مثل: ستانيسلاف جيرزي ليك، وزبغنيو هربرت، وتاديوش روسيفيت، إلخ..

في هذا المشهد الشعري، كانت فسلاوا شيمبوسكا نموذجًا لهذا التمازج الفني والأسلوبي؛ حيث مرت بمراحل عدة؛ بدءًا بالواقعية الاشتراكية، والقصيدة الدعاوية، ثم الرمزية (التي تجمع بين شارل بودلير CH. BOUDELAIRE، وإليوت T. S. ELIOT وإزرا باوند) وانتهاءً بالأنا المفرطة في اختيار الألفاظ، وتكوين معجم شعري ينطلق من الواقع اليومي. هذا الأخير، جعل شيمبوسكا تقول بأنها «تكرّم شعرًا يستخدم الدقة الساخرة لكي يسمح للسياقين التاريخي والبيولوجي بالظهور إلى العلن، حيث شظايا الواقع الإنساني». هذا النزوع نحو الواقع والإسراف في البساطة؛ حيث المعنى الواضح واللهجة شبه الساذجة، جعلها تحقق شعبية عريضة.

إلا أن هذه البساطة جعلت الشاعرة تخوض صراعًا مع العرف الأدبي البولوني، خاصة الجانب القاموسي منه. حيث شكل هذا الأخير حجرة عثرة أمامها؛ مما جعل شيمبوسكا تكابد معه المشاق، وبخاصة إذا أخذنا بالحسبان بولونيا الخمسينيات (بولونيا الستالينية). إذ على الرغم من انتماء الشاعرة إلى الحزب الشيوعي وإيمانها بالعمل الجماهيري ـ كما يتضح في مجموعتها الشعرية «هذا ما نعيش من أجله» (١٩٥٢م) ـ؛ فإن نزوعها نحو التجديد والتجاوز قادها إلى الصراع والصدام مع المؤسسة الحزبية. لكنه صراع إيجابي، تجلى ذلك في ديوانها الثاني «أسئلة مطروحة على نفسي» الذي أوضحت، من خلاله، خطأها الأول. هذا الخطأ على حد تعبيرها هو «أن يقع الشاعر في هوى النوع البشري، بدل البشر أنفسهم». هذه المجموعة الشعرية الثانية شكلت بداية نوع من التجدد في أسلوب شيمبوسكا. تجلى ذلك أساسًا في تفتيت الصوت الإنساني داخل القصيدة وتقسيمه وتعميقه؛ بحيث لا تقتصر على تعريف واحد لجهة الحالة الشعورية. شأنها في ذلك شأن الموقف الكلاسي الذي تتخذه شخصيات الروائي والمسرحي الإيرلندي صمويل بيكيت S. BECKETT حيث شدد على معنى وحيد خاص بها. وعندما ترجم جيسلاو ميوش بعض قصائد شيمبوسكا إلى الإنجليزية، أشار في التقديم إلى هذا التقارب بينها وبين بيكيت.

ثمة خاصية أخرى، هي الاعتماد على تخطيط سردي داخل القصيدة. تجلّى ذلك مثلا في قصيدتها «جنازة» التي تتألف من ٣٥ سطرًا محصورًا بين مزدوجات كناية عن ٣٥ جملة حوارية، تدور بين المشيعين. تقول شيمبوسكا في هذه القصيدة:

«كيف كان بوسع أحد أن يراه خارجًا، هكذا بغتة».

«الإرهاق والتدخين، لقد قلت له مرارًا».

«بخير شكرًا لك. وأنت، كيف حالك».

«يجب كشف الغلاف عن هذه الأزهار».

«لم أكن أعرف أنك أطلت لحيتك».

«كازيك يقيم في وارسو، وتاديك سافر إلى الخارج».

أما خواتيم قصائدها، فإنها تسفر عن مشهد متكامل مشحون بتفاصيل يومية إنسانية: مأساوية أو هزلية (كوميدية)، مريرة أو ساخرة، واضحة أو غامضة، إلخ.

أما عندما هيمنت على قصائدها موضوعات العذاب، بشقيها الروحي والعضوي (الفيزيائي)، فإنها ستعرف تنويعها في هذا الخيار الأسلوبي. تقول في قصيدتها «عذابات»:

لا شيء تغيّر
الجسد خزّان للألم
يأكل ويتنفس وينام

www.ahlaltareekh.com



شارل بودلير

إزرا باوند

وله جلد سميك، ودم تحت الجلد
وله مؤونة كافية من الأسنان والأظافر
ولعظامه أن تنكسر، لمفاصله أن تتمدّد
وفي التعذيب يوضع ذلك كله في الاعتبار
لا شيء تغيّر
الجسد ما يزال يرتعش إذ يرتعش
قبل تأسيس روما وبعدها
في القرن العشرين قبل المسيح وبعده
العـذابات هي العـذابات، وحـدها الأرض انكمشت
وكل ما يجري أشبه بالذي يجري في غرفة مجاورة

إن صيغة التكرار الحواري الذي تعرفه قصيدة «عذابات» تشي بتكرار أزمة العذاب في نبرتها الرثائية. عذاب يتكرر في مطلع كل مقطع: (المقاطع الأربعة):

أ- لا شيء تغيّر
الجسد خزان للألم.
ب - لا شيء تغيّر
الجسد ما يزال يرتعش إذ يرتعش.
ج - لا شيء تغيّر
ما عدا أن البشر يزدادون عددًا.
د - لا شيء تغيّر
ما عدا مسيل الأنهار.

هذا الطابع، جعل الشاعرة شيمبوسكا تبرز بشكل جلي، على الرغم من التعتيم الذي مُورس على صوتها وأسلوبها. لكنها تخطت الحواجز، ووضعت نفسها في إهاب كساندرا (ابنة بريام ملك طروادة، والنبية العرافة التي استبصرت سقوط طروادة، وتعرضت للأذى لأنها رفضت عشق الإله أبوللو. ثم اغتالتها كليتيمنسترا وهي في أحضان أجا ممنون).

إن شيمبوسكا امرأة بامتياز، لكنها تقشعر ذعرًا من انفلات العاطفة بعيدًا من مساحة إنسانية لازمة لا غنى عنها. إنها مساحة العذاب والأثر المطبوع على الأرض في انتظار أقدام المعذّبين. كل ذلك يجعل شيمبوسكا شاعرة مسكونة بالعذاب. لكنه عذاب جميل.

قصائد من فيسلاوا شيمبوسكا:

أ- العودة:
كان قد عاد. لم ينبس ببنت شفة
لكن كان واضحًا بأن شيئًا قد كدر مزاجه
يستلقي ببزته
مخفيًا رأسه تحت البطانية
يرفع ركبتيه
إنه في الأربعين، أو نحوها
إنه حي.. ولكن فقط كما لو كان في بطن أمه
خلف سبع طبقات جلدية، في ظلام يحميه
غدًا سيحاضر عن التوازن الجسدي
في فضاء السفر الكوني
لكنه الآن تكور ونام..

ب - الضحكة:
البنت الصغيرة كنتُها ذات يوم
أعرفها كيف لا!
لديّ بضع صور
من حياتها القصيرة
أشعر بشفقة يشوبها المرح
نحو قصائد صغيرة
أتذكر القليل من الأحداث
مع ذلك
لأجعل الرجل الذي معي الآن
يضحك ويطوقني بذراعيه..

ج - في مدح أختي:
أختي لا تكتب الشعر
ولا أعتقد بأنها ستكتب على حين غرة
وهي في ذلك مثل أمها التي لم تكتب شعرًا
وأبيها الذي لم يكتب هو الآخر
تحت سقف بيت أختي أشعر بالأمان
لو سألت زوجها لفضل الموت على كتابة الشعر
ولا أحد - بدأت القصيدة بالتشتت - يكترث بالشعر بين أقاربي..

www.ahlaltareekh.com

استراحة العدد

ويأتيك بالأمثال:

ليس الفَرَسُ بِجُلِه وبُرْقُعِه

أي لا تحكم على الشيء من مظهره، فالمظهر كثيرًا ما يخدع.
والجل غطاء يُلقى على الدواب لوقايتها من البرد، والبرقع - كما هو معروف - غطاء وجه المرأة.
والفرس قد يبدو في برقعه وجله جميلاً حسنًا، لكنه قد يكون في مخبره ضعيفًا عاجزًا، لا يقوى على السبق، وحينذاك يحقر منه ما عظم، ويذهب عجزه بحسن منظره وجمال شكله، فالفرس ليس بجله بل بحقيقته وأصله. وكذلك البشر قد يبدو مظهرهم عكس مخبرهم.

سقراط وتعلم الصمت

قال الفيلسوف اليوناني الأشهر سقراط (٤٧٠ - ٣٩٩ق.م) متحدثًا عن زوجته وكانت سليطة اللسان: «أنا مدين لهذه المرأة، فلولاها لما تعلمت أن الحكمة في الصمت، وأن السعادة في الهموم».

قلق... وقلق

يقول الكاتب الإيرلندي الساخر برناردشو في تعريف القلق بين الرجل والمرأة: «تقلق المرأة على المستقبل حتى تجد زوجًا، ولا يقلق الرجل على المستقبل إلا بعد أن يجد زوجة».

الزوجة الحكيمة

سئل فيلسوف: صف لنا الزوجة الحكيمة، فقال: «هي نعمة من نعم الله على الزوج والأولاد والبيت، تعرف متى تتجاهل، ومتى تراقب، ومتى توجه»

في الوفاء

يُروى أن المنصور سأل يومًا قائدًا كان يعمل مع هشام بن عبدالملك عن تدبيره في الحروب فقال القائد الشجاع: كان رحمه الله تعالى يفعل كل ما يحتمه عليه الحرص من واجب وينفذه.
فقاطعه المنصور قائلاً بغضب: ما هذا يا رجل؟ انطأ بساطي وتترحم على عدوي؟ فقال القائد بذات الشجاعة: أجل أترحم عليه في كل وقت فإن نعمة عدوك قلادة موضوعة في عنقي ولن ينزعها إلا من يغسلني قبل الدفن!!

فتعجب المنصور من شجاعة ذلك القائد الوفي وقال له: ارجع يا رجل وكن كما أنت وإني أشهد إنك لوفيٌ وحافظ للخير.

عيشة الإنسان

قيل للفيلسوف فيليب بايلي يومًا: نريد منك أن تصف لنا عيشة الإنسان في كلمات مبسطة فقال: نحن نعيش في الأفعال لا السنين، في الأفكار لا الأنفاس، في المشاعر لا الأشكال.. وعلينا أن نحسب الزمن بخفقات القلب، والإنسان الذي يعيش أكثر هو الذي يفكر أفضل، ولديه المشاعر النبيلة، وهو الذي يستطيع أن يقوم بجلائل الأعمال.

هواية

أكدت الصحف أن هناك هواية غريبة جدًا تمارسها أناس أثرياء في وسط باريس عاصمة فرنسا كل ليلة.
الهواية ببساطة هي البحث في صناديق القمامة! عن ماذا بالضبط؟ هؤلاء الناس يبدأ عملهم بعد أن تنام باريس وتطفئ أنوارها، أي قبل طلوع الفجر.. لا يبحث هؤلاء عن الطعام بل عن الثروة، عن التحف الثمينة.
وتقول الصحف إن أحدهم وجد مجموعة كاملة من مؤلفات «جول فيرن» طبعت عام ١٨٨٠ وهي من الندرة بحيث تساوي النسخة الواحدة منها ما قيمته عشرون ألف دولار، ومهندس يطوف بسيارته الأنيقة بصناديق القمامة للبحث عن الطوابع النادرة وقد جمع منها عشرة آلاف طابع معظمها نادر جدًا كما صرح بذلك بلسانه.
وآخر عثر على إناء أثري نادر لا تقل قيمته عن عشرة آلاف دولار.
أما رئيس عمال القمامة فله وضع آخر تمامًا. فقد جمع ثروة طائلة مكنته من شراء عشرين شقة في باريس يعيش من ريعها، وقد استقال من وظيفته ليتفرغ للبحث عن الثروات المدفونة في القمامة. هناك في شوارع باريس وقبل طلوع الفجر تمامًا.

الأخ الموافق

تلقى الأحنف بن قيس - وهو عربي حكيم وقائد شجاع - خطابًا من صديق يطلب منه أن يقدم له نصحًا في معاملة ابن وأخ له يجد منهما جحودًا، فكتب له: أما بعد .. سأذكر لك في معرض الكلام ما تسأل عنه فأقول، وبالله التوفيق: إذا قدم عليك أخ لك موافق فليكن منك مكان سمعك وبصرك، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف.. ألا تسمع إلى قول الله عز وجل لنوح عليه السلام في شأن ابنه ﴿إنه ليس من أهلك﴾. ويقول: وليس من أهل ملتك، فانظر إلى هذا وأشباهه فاجعلهم كنوزك وذخائرك وأصحابك في سفرك وحضرك، فإنك إن تقربهم تقربوا منك، وإن تباعدهم يستغنوا بالله عز وجل والسلام.

غرور

يُروى أن الشاعر الإيطالي وفنزيو كان معتزًا بنفسه إلى درجة التصلب في الرأي.. وذات يوم وصلت إليه رسالة، وما إن قرأ العنوان حتى رفض أن يتسلمها لأن العنوان كان كالآتي: إلى أكبر شاعر في إيطاليا، ولما سئل عن ذلك قال: إن هذا ليس أنا ... فأنا أكبر شاعر في العالم.!!

الرشيد وبهلول

يُروى أن هارونًا الرشيد خرج إلى الحج وأبصر في أثناء سيره بهلولاً، ذلك الحكيم الذي يتظاهر بالجنون، ويلقي بالحكم والمواعظ، وكأنه عالم كبير، وكان بهلول يركب قصبًا، وخلفه عدد من الصبيان يلعب ويمرح معهم، وكأنه قد نسي كل متاعب الحياة! فقال هارون لمن حوله: لا حول ولا قوة إلا بالله! لقد كنت أشتهي أن أرى بهلولاً ذلك الحكيم الذي يتظاهر بالجنون، أمام الناس... كم أتمنى أن أدعوه إلى مجلسي من غير ترويع.
وتطوع عدد من حاشية هارون وأسرعوا إلى بهلول وقالوا له:
إن أمير المؤمنين يريد أن يتحدث إليك، ولكنه لم يجب، ومضى في لعبه ولهوه فمضى إليه الرشيد بنفسه وقال له في تبسط ورحابة صدر: السلام عليك يا بهلول! فرد بهلول بغير اكتراث، وعليك السلام يا أمير المؤمنين. قال ذلك ولاذ بالصمت فقال الرشيد يستحثه على محادثته: يا بهلول لقد دعوتك لاشتياقي إليك أفلا... فقاطعه بهلول: لكني لم أشتق إليك أبدًا، قال الرشيد: حسنًا يا بهلول.. أرجو أن تعظني! فقال البهلول: بم أعظك؟

www.ahlaltareekh.com

هذي قصورهم وهذه قبورهم أفيحتاج هذا إلى موعظة؟ فقال الرشيد في محاولة لجره في الكلام: زدني لقد أحسنت. فقال بهلول: يا أمير المؤمنين من رزقه الله مالاً وجمالاً فعف في جماله وواسى في ماله كُتب في ديوان الأبرار.
فظن الرشيد أن بهلولاً يريد شيئًا فقال: قد أمرنا لك أن يقضى دينك! فقال بهلول في عزة نفس: لا يا أمير المؤمنين لا يُقضى الدين بدين! ارْدُدِ الحق على أهله واقض دين نفسك من نفسك!
فقال الرشيد: فإنا قد أمرنا أن نُجري عليك! فقال بهلول: يا أمير المؤمنين أترى أن الله يعطيك وينساني؟ ثم ولّى هاربًا.

الخبز قبل التاريخ

في دراسة شاملة عن الأغذية التي كان يتناولها الإنسان في عصر ما قبل التاريخ ذكر خبيران بريطانيان أن اليونانيين القدماء «الإغريق» تمكنوا من صناعة أنواع عالية الجودة من الخبز في العصر البرونزي، وبالتحديد قبل ميلاد السيد المسيح بحوالي ٣٣٠٠ عام، كما ذكرت أن الفراعنة «بناة الأهرام» كانوا يخبزون ويأكلون أنواعًا مختلفة من الخبز في ذلك الوقت، مما يعني أنه كان معروفًا لهم قبل ذلك الوقت بكثير.
وقالت الدراسة: إن الاختبارات التي أجريت على حمض «دي إيه» لبذور قمح محفوظة منذ العصور القديمة، أوضحت أن أنواع القمح الصالحة لصناعة الخبز كانت معروفة في تلك العصور على الرغم من أن المعروف عن القمح أنه لا ينمو عشوائيًا، ويحتاج إلى الرعاية والعناية الزراعية حتى يصل إلى آخر مراحل النمو.

قالوا

فضل الرجل الحر في تجنب الخطر لا يقل عن فضله في التغلب عليه.

«سبنوزا»

ليس المهم أن نعرف أكانت دموع الباكية لسبب معقول أم لا ... إنما المهم أن نعرف كيف نمسح هذه الدموع.

«ماترلنك»

لايدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار.

«جبران»

المرأة أقوى بنظرها من شرائع الرجل، وأشد قوة بدموعها من فصاحته.

أديب

إن ظلام الدنيا كلها لا يستطيع أن يطفئ نور شمعة خافتة!!

«حكيم»

إذا كان الشيطان وراء اللسان فخير لك أن تلزم الكتمان!

«مثل عربي»

وصية

قيل لرجل صالح: نريد أن نستمع إلى وصية من وصاياك نستفيد منها فقال: أحذركم من أربع خصال هي: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة؛ فالكبر يمنع الانقياد إلى أوامر الشرع، والحسد يمنع قبول النصيحة أو بذلها، والغضب يمنع العدل، والشهوة تمنع من التفرغ لعبادة الله.

البركان

قيل لرجل حكيم: من هو الرجل العظيم؟ فقال: العظيم هو الرجل الذي إذا مات ضمته الأرض إلى نيران قلبها بركانًا جديدًا.

أسوأ أهل الجمع حالاً

أثار عبدالله بن المبارك في حكاياته قصة غريبة جاء فيها أنه كان يحب المجلس الذي يكون فيه العارف بالله «سفيان الثوري» ودخل عليه يومًا ـ وكان وحيداً ـ في ليلة عرفة، فرآه جاثيًا على ركبتيه، وعيناه تهملان دموعًا، فجلس على مقربة منه ووجد نفسه يبكي مثله، فالتفت سفيان إليه وقال: ما شأنك يا ابن المبارك؟ يعني من أي شيء تبكي؟
قال ابن المبارك: سيدي .. مَنْ أسوأ أهل الجمع حالاً؟ فقال سفيان: الذين يظنون أن الله لا يغفر لهم.

حكَم يطرد نفسه

ذكرت الصحف الإنجليزية أن الحكَم الإنجليزي «مينفين سيلفستر» طرد نفسه بينما كان يقوم بتحكيم مباراة بين فريقين من الهواة بعدما قام بضرب أحد اللاعبين.
ونقلت صحيفة «ديلي تلجراف» وقائع هذا الحادث الغريب بقولها: إن سيلفستر أثناء قيادته للمباراة في شارلتون، جنوبي إنجلترا وجّه فجأة سيلاً من اللكمات لأحد اللاعبين، فأصيب اللاعب «٢٧ عامًا» بتورم في عينه ونقل للعلاج خارج الملعب، وعندما تدخل اللاعبون لتهدئة الحكم الثائر رفع البطاقة الحمراء لنفسه، وخرج من الملعب قبل تسليم إدارة المباراة للحكم الاحتياطي.

لا تطلب ثمنًا لحبك

قيل لرجل حكيم عربي: كيف يحصل الإنسان على حب الناس، ويكون سعيدًا بذلك؟ فقال: أولاً لا تطلب ثمنًا لحبك للناس من حولك وإنما افتح قلبك وأعط من نفسك للجميع، والسماء سوف تعوضك عن كل كنوزك التي لم تبخل على الناس بها.
وإذا أردت أن تكون سعيدًا فكن كالشمس التي تشرق للجميع، وكالسماء التي تمطر بالخير على الجميع، وكالأرض التي لا تبخل بخيرها على الجميع.
واعلم أن السماء وحدها هي أم العدل.. وقمة الإنصاف، وهي وحدها التي تراك وتراقبك وتقدّر صنيعك، وإياك أن تيأس من تقديم الحب ولا تطلب أبدًا ثمنًا له، والله الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية.



www.ahlaltareekh.com



يقصد الباب إلى تشجيع المواهب الناشئة التي تتلمس لها سبيلاً إلى الإبداع الفني والكتابة الأدبية، ولذلك تقوم تباشير باختيار عمل أدبي أو أكثر وفق معايير فنية محددة وحسب المساحة المتاحة، ومن ثم يُعرض على أحد النقاد المعروفين الذي يتناوله بالمتابعة النقدية أو التعليق أو التوجيه لتكون خطوة ثابتة لهذه المواهب في طريق الإبداع. وهذه دعوة للمواهب الأدبية الناشئة للمشاركة في هذا الباب، علماً بأن هناك مكافأة رمزية تشجيعية للعمل الذي يحظى بالنشر.

قصة قصيرة

غريب أمر هذا الغريب

بدر عمر المطيري

الرجل الغريب، منذ أن دخل القرية وحالها مختلف، لم تزل الشكوك تحيط بالرجل وتطوقه كالسوار!

أينما ذهب، كانت العيون تتدحرج خلف خطاه السريعة، وحين يعود في المساء إلى شقته الصغيرة كان الأطفال والنساء - حتى بعض الرجال - تطل برؤوسها عبر النوافذ!

كان الرجل يحس بهذه الشكوك التي تنبعث روائحها كلما عاد مساء أو انطلق صباحًا إلى العمل في بداية الأمر ظن مايراه عادة سكان القرى أمام الغرباء. لكن ظنه هذا سرعان ما اكتشف أنه في غير محله. فقد ترامى إلى سمعه ما يقوله رجال القرية حين يجتمعون كل ليلة عند شيخهم!

اتفقوا على أن هذا الغريب يحمل معه سرًا «ما»، بل سرًا خطيرًا!

منذ أن وُجِّه إلى القرية لتدريس أبنائها، وهو يحلم بالمجتمع البدائي، صوره في ذهنه، وعاش يتطلع إلى رؤية البساطة والفطرة والسذاجة التي تقترب من الصورة المثالية!

لم يتصور أبدًا أن يكون سوء ظن المدينة وارتيابها قد طغى، حتى فاض على القرى بهذه السرعة!

لابد لهذا الغريب أن يستمر في صمته، متشحًا بالصبر، ريثما تنقضي السنة الأولى، ربما ساعده الحظ وعاد يعمل في المدينة.

مر الشهر الأول، وأهل القرية لا حديث لهم إلا عن هذا الغريب، البعض قالوا: إنه جاسوس! قال الآخرون: لا: إنما هو ساحر! ضحك آخرون وقالوا: كلا.. كلا.. بل إنه جاء لنسف القرية، ومن فيها!

ومضى الجميع.. كلٌ يدلي بتخمينه الساذج، بينما الغريب يحس بهذا إحساسًا حادًا محاولاً أن يكتسح هذا الإحساس الحاد بالقراءة. في غالب أيام الأسبوع، حالما ينتهي من العمل ينطلق بسيارته إلى مكتبة كبيرة في مدينة مجاورة، يستغرق الوصول إليها الظهر كله، يقضي بقية النهار في ذرع المكتبة ليعود في المساء محملاً بكتب متنوعة ليبقى ليله رهن شقته مشغولاً بدرجات الطلاب، والتحضير، والقراءة. مر الشهر تلو الشهر، وكادت السنة أن تنقضي، لا هو ارتاح من هذه العيون التي تضيق عليه حُرِّيته، ولا اتفق أهل القرية على قول واحد!

ذات ليلة وبينما الغريب منهمك في القراءة بداخل شقته، سمع طرقًا عنيفًا، ثم ما لبث أن سمع الطارق ينادي: يا غريب! يا غريب!! من صوته الجهوري عرف أنه شيخ القرية.. لكن ما الذي أتى به في مثل هذه الساعة؟ منذ أن جئت لم يجرؤ أحد

www.ahlaltareekh.com

على الاقتراب من المنزل! ماذا يريد؟ وراحت تطوف بخياله الجامح صور شتى من تلك النظرات المريبة، وذلك التطلع الغريب.

فتح الباب، وكانت الابتسامة الوقورة التي تفضل بها الشيخ كافية لإعادة الطمأنينة إلى قلب الغريب وإحساسه بالهدوء.

بادره الشيخ: السلام عليكم.

- عليكم السلام!!

الليلة عشاؤك عندنا.

- لكن..

- أنت تعرف أن هذه آخر ليلة تجتمع بك..

- ثم أردف الشيخ.. ولك علينا حق لم تأخذه حتى الآن!

- عافاك الله، اذهب وسآتي خلفك مباشرة..!

أحس الغريب أن شيئًا «ما» سيحدث في حياته!

حضر مجلس الشيخ تطلع في عيون الحاضرين، إنها نفس العيون التي كانت بالأمس ترمي بشرر الشك والارتياب. هذه الليلة يراها تمتلئ بالود واللهفة والحزن العميق!

من الغد ودع القرية، عاد مدرسًا في مدينته، بينما عيونه تتطلع إلى تلك القرية الغامضة، وأهلها الطيبين.

ما الذي يشدُّه إلى القرية؟ لماذا يخطئ أحيانًا فيمشي بطريق القرية؟ لماذا هو يبتسم دائمًا كلما استعاد ذكريات سنته الأولى في التدريس؟ ليته يعرف الجواب! ليته يجد تفسيراً لما حدث!!

التعليق

قصة الأخ بدر جميلة وذات خصوصية تبدو في صياغتها حدثًا عاديًا بطريقة درامية تدل على تمكن أوّلي يمكن أن يتطور في الطريق الصحيحة.

إن أسلوب الأخ بدر جيد، وصياغته مطمئنة وإن كانت تختل في بعض الأحايين فيضع الأشياء في غير موضعها كما في قوله: «... حتى بعضِ الرجال تطل برؤوسها عبر النوافذ!» وقد وضع قوله «حتى بعض الرجال» بين «معترضتَين ــ» وحبذا لو قال «بل بعض الرجال» يُطلّون برؤوسهم عبر النوافذ» وكذلك قوله «لكن ظنه هذا سرعان ما اكتشف أنه في غير محلّه» وتبدو هذه الصياغة قلقة، ولو قال: «لكنه سرعان ما اكتشف أن ظنّه هذا في غير محله» لوضع الأشياء في أماكنها. أمّا من الناحية الفنية الدرامية فإن نهاية القصة نهاية مبتورة مفاجئة، وقد تكون المفاجأة عنصراً يساهم في البناء الدرامي ولكنها هنا كانت مصطنعة دون سياق، ودون أن يرهص بها أي حدث من أحداث القصة فقد تمّ تجاوز الزمن بطريقة سريعة وغير فنية فوجدنا أنفسنا أمام الحدث النهائي الغامض الذي ترافق بتحول غير مسوغ ممّا أضعف البناء الفني للقصة.

نرجو من الأخ بدر أن يكثر من قراءة القصص القصيرة المتقنة شكلاً ومضمونًا ليخطو إلى الأمام في أعماله المقبلة، ولن أختم كلمتي دون أن أشير إلى ضرب من الخطأ اللغوي الذي يكاد يكون سمة مشتركة في لغة المبتدئين وهو خطأ الفصل بين اسم الموصول وصلته وهذا لا يجوز بحال من الأحوال ويخلق قطعًا لا تستسيغه الذائقة الصحيحة.

يقول الأخ بدر «... إنها نفس العيون التي بالأمس ترمي بشرر الشك» ولو وضع «كان» بعد اسم الموصول لصارت عبارته أصح لغة وأمتن سبكًا «... إنها العيون نفسها التي كانت بالأمس ترمي بشرر الشك» فيكون بذلك وضع كلمة «نفس» في مكانها الصحيح ولم يفصل بين اسم الموصول وصلته بشيء. ونرجو له مزيدًا من التقدم والنجاح في إنتاجه المقبل.

د. محمد خير البقاعي

الأخ هشام فايز أبو لبدة،
الخرطوم، السودان:

(خواطر) عنوان قصيدتك الأولى تحتاج إلى كثير من التنقيح العروضي. وهي وإن كانت محاولة جيدة، إلا أنها مازالت في بداية الطريق. عليك بالقراءة الجادة في تراثنا الأدبي العربي الخالد شعراً ونثراً حتى تنضج تجاربك ولغتك وأسلوبك.

الأخت نوال مهني، المنيا، مصر:

محاولاتك في قصيدتي «رب الحجيج» و«أنغام شعري» لا بأس بها، وهي تبشر بموهبة واعدة على الطريق حيث يوجد لديك الحس الشعري الذي يتمثل في الصورة المعبرة التي تتخللها التشبيهات والاستعارات الدقيقة مثل قولك في قصيدة «أنغام شعري» (أطرز فرحتي وسعودي)، إلاّ أنه ينبغي عليك بذل مزيد من الجهد والمثابرة بالاطلاع على دواوين الشعر قديمها وحديثها، وكذا سائر الآداب الأخرى، حتى يمكنك معالجة بعض الأخطاء العروضية واللغوية وإلى الأمام. مع تمنياتنا لك بمزيد من الإبداع والتجديد.

الأخ محمد آدم صباح الخير،
النماص، السعودية:

لا شك أن مقطوعاتك الثلاث هادفة، وتحتوي على الكثير من الموضوعات النافعة والمفيدة، إلا أنها لا تنتمي بشكل أو بآخر إلى أي من الأجناس الأدبية المتعلقة بالإبداع الناتج عن موهبة مميزة أو ملكات فطرية. وكلنا نحييك على ثقافتك المتنوعة، ولا سيما ما يتعلق منها بالدراسات الإسلامية التي يمكن عن طريق التعمق فيها تحقيق أمنيتك في النشر، وذلك بالاتجاه بكتاباتك إلى هذا الباب المهم، فتصبح بذلك كاتبًا أو صحفيًا مميزاً في هذا المجال، مع تمنياتنا لك بالنجاح والتوفيق.

الأخ فاتح بن عيسى الأشرم،
دير الزور، سورية:

بداية نشكر لك ثقتك الغالية في مجلة الفيصل، وتعليقنا السابق على شعرك لم يكن إلا لجودة هذا الشعر. قصيدتك هذه المرة «لوعة وابتهال» وإن كانت تعتمد على الوزن والقافية والبناء القديم الذي تحبه، إلاّ أنها لا تخلو من بعض الهنات العروضية والنحوية والإملائية. كما أن بها من المباشرة واللهجة الخطابية أكثر مما فيها من عذوبة الشعر. يمكنك التخلص من ذلك بمضاعفة القراءة والاطلاع في دواوين الشعر العربي، واستدراك هذه الأخطاء مستقبلاً.

www.ahlaltareekh.com



الأخ د. محمد محمود أبو العلا ـ شبرا الخيمة ـ القاهرة:

الملحق الذي أصدرته «الفيصل» مع العدد ٢٢٠ الذي ضمّ قائمة ببليوغرافية عن البيئة، يمكن طلب ما تريده منها من موضوعات من مركز الملك فيصل للبحوث للدراسات الإسلامية الذي يرحب بطلب الباحثين، ويعمل على تلبيتها، وعنوان المركز، هو:

ص.ب ٥١٠٤٩ ـ الرياض ١١٥٤٣ ـ هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ فاكس: ٤٦٥٩٩٩٣.

الأخ اللواء أحمد عبدالوهاب علي ـ المركز الإسلامي العام لدعاة التوحيد والسنة ـ القاهرة:

لايمكن إرسال الصور التي نشرت عن ثمود، ولكن سوف نرسل إليك العدد من «الفيصل» الذي ضم هذا الموضوع، فنأمل أن تجد فيه مبتغاك.

الإخوة: عزيز الحمدوني ـ فاس المغرب، نايب المختار ـ الجلفه ـ الجزائر، يعقوب عزيز ـ البويرة ـ الجزائر ، علي يحيى الحرازي ـ صنعاء ـ اليمن، محمد محمد الخطيب ـ دمياط ـ مصر:

عذراً إذا لم نستطع تحقيق رغباتكم جميعها، ولكن سوف تصل إليكم بعض أعداد المجلة التي طلبتموها، شاكرين لكم حسن ظنكم بمجلتكم، ومرحبًا بمشاركاتكم.

الأخت زهية بركان ـ تيبازة ـ الجزائر:

تم تحويل رسالتك إلى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ونأمل أن تجدي ما طلبتِه، ويمكنك مراسلة المركز مباشرة للحصول على ما تحتاجين إليه من بحوث، أما عنوان المجلة المشار إليها فلا يتوافر لنا حاليًا.

الأخ دريد فتوحي ـ نيودلهي ـ الهند:

أحيل خطابكم إلى القسم المختص، أما المشاركات من الإخوة القراء، فإن المجلة ترحب بها، وتقوم بتحديد النشر من عدمه بناء على معايير النشر وضوابطه التي تلتزمها.

الأخ محمد صبح ـ شارع الجبل ـ بيت لحم ـ الضفة الغربية ـ فلسطين:

قيمة الاشتراك السنوي في المجلة كما هي موضحة في الصفحة الثالثة، تبلغ ١٥٠ريالاً أو ما يعادلها، وقد أحيل خطابكم إلى القسم المختص، حتى يمكن تأمين الأعداد التي طلبتها.

ومرحبًا بمشاركاتك، وشكرًا لك إطراءك المجلة، ونأمل أن نكون عند حسن ظن جميع الإخوة القراء.

الأخ محمد العربي الثوري ـ ولاية سطيف ـ الجزائر:

مشكلة توزيع المجلة في الجزائر في طريقها إلى الحل قريبًا، وإن شاء الله سوف تتمكن من الحصول عليها في المنطقة التي تسكن فيها، وشكرًا لك على ما جاء في خطابك من شكر للمجلة ومؤسسيها والقائمين عليها، ويأمل الجميع أن تكون المجلة على المستوى المأمول دومًا.

الأخت حمدة حسن ـ المحرق ـ البحرين:

نشكرلك وصفك المجلة بالبناء الرصين، ونأمل أن يعلو هذا البناء بما يتناسب مع متطلبات الإخوة القراء الذين يسرنا تلقي آرائهم وملاحظاتهم، أملاً بتحقيق مزيد من التطوير، وسوف ينتظم وصول العدد مع مطلع أول كل شهر.

الأخ عبدالله حمود الحبيشي ـ صنعاء ـ اليمن:

نعتز بملاحظات الإخوة القراء فيما يتعلق بالمادة التحريرية أو الإخراج أو التوزيع، وما قلته عن التوزيع سوف يؤخذ بعين الاعتبار، وكان غياب «الفيصل» عن السوق اليمنية لفترة مؤقتة فقط، ثم عاودت بعد ذلك التوزيع في اليمن. وقد أحيل خطابك إلى القسم المختص لبحث إمكان موافاتك بالأعداد التي طلبتها حسب ما هو متبع.

الأخ عيسى عبدالرحمن كنفي ـ دمشق ـ سورية:

إشارتكم إلى ما تقوم به المجلة من دور في توعية الشباب المسلم وتثقيفهم نقدرها لكم، ولا تتطور المجلة أو تتقدم إلا بقرائها، وبآرائهم وأفكارهم، وما قدمته لك المجلة من تيسير للحصول على الكتب التي أشرت إليها، هو جزء من دورها في خدمة العلم والثقافة.

ويمكنك مراسلة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فيما يخص البحوث التي تتعلق بدراستكم، وسوف تجد العون إن شاء الله.

www.ahlaltareekh.com

بين القارئ والقارئ

أرغب من الإخوة قراء «الفيصل» مساعدتي في الحصول على دراسات وكتب تبحث في الأدب الإسلامي، وأتمنى الحصول على بعض الأشرطة السمعية والبصرية لمحاضرات أو ندوات للدكتور نجيب الكيلاني - يرحمه الله - ممن يستطيع ذلك.

حسن الهيثمي - سميري سليمان - حي الغمارين - زلقة ٢٤ رقم ١٢ - المغرب.

بما أنني أقوم بإعداد رسالة جامعية لنيل درجة الماجستير في موضوع يحمل عنوان «حمزة شحاته: حياته وأدبه»، وقد مضى أكثر من عام وأنا أبحث عن مراجع تفيدني في بحثي هذا، نأمل الحصول على الكتب التالي:

- رفات عقل للأديب حمزة شحاته، إصدار مكتبة تهامة، جدة، ١٤٠٠.
- قمة عرفت ولم تكتشف للأستاذ عزيز ضياء، المكتبة الصغيرة، الرياض، ١٣٩٧.
- رحلة إلى الأعماق للأستاذ محمد الدمياطي (بلا ذكر ناشر ولا تاريخ نشر).
- الشعراء الثلاثة في الحجاز للأستاذ عبدالسلام الساسي، مكة المكرمة، ١٣٦٨هـ.
- الموسوعة الأدبية، ج٢، للأستاذ عبدالسلام الساسي، مكة المكرمة، ١٣٩٥هـ.
- شعراء الحجاز في العصر الحديث للأستاذ عبدالسلام الساسي، نادي الطائف الأدبي، ١٤٠٢هـ.
- أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة للأستاذ محمد علي مغربي، مكتبة تهامة، جدة، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة للأستاذ محمد علي مغربي، مكتبة تهامة، جدة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- المرصاد لإبرهيم تلالي (بلا ذكر الناشر أو تاريخ النشر)، وأنا على استعداد لتحمل تكاليف هذه الإصدارات، شاكرًا لمن يستطيع مساعدتي من إخواني القراء.

ليتني أستطيع الاتصال مع أحد من أسرة الشاعر حمزة شحاته - يرحمه الله - للحصول على معلومات وافية عن حياته.

عباس عبدالفتاح عباس

١٠ حارة رمضان عبدالجواد المتفرع من شارع ترعة الجندي عزبة الوسيمي - خلف قسم حدائق القبة - القاهرة - مصر - عن طريق عطية أحمد يونس.

ملحوظة:

تسعى هذه الزاوية «بين القارئ والقارئ» إلى إيجاد قناة مباشرة بين القراء أنفسهم لتبادل المعلومات عن الكتب النادرة أو المجلات التي توقفت عن الصدور أو نفدت أعدادها.

عناوين

الأخ ثامر الجاسر - أبو ظبي - دولة الإمارات العربية المتحدة:

يصدر كتاب «من المسرح العالمي» عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، وتتم المراسلات باسم الأمين العام للمجلس والعنوان:

ص.ب ٢٣٩٩٦ - الصفاة - الكويت ١٣١٠٠

الأخ حسن كاف - الرياض:

«آفاق الثقافة والتراث» مجلة فصلية ثقافية تراثية مكتبية تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعة الماجد للثقافة والتراث وعنوانها:

دبي - ص.ب ٥٥١٥٦
هاتف ٦٢٤٩٩ - ٤ - ٩٧١ -
فاكس ٦٩٦٩٥٠ - ٤ - ٩٧١

الأخت نادية الحسن - أبها - المملكة العربية السعودية:

عنوان المجلة العربية:

طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين - شارع المنفلوطي)
ص.ب ٥٩٧٣ الرياض
٤٧٧٨٩٩٠ - فاكس ٤٧٦٦٤٦٤

الأخ نور الدين الكابلي - الخرطوم - السودان:

عنوان مكتب التربية العربي لدول الخليج

ص.ب ٩٤٦٩٣ الرياض ١١٦١٤
هاتف ٤٨٠٠٥٥٥ فاكس ٤٨٠٢٨٣٩
الرياض - المملكة العربية السعودية

الأخت هند خليل - الطائف:

عنوان مركز البحوث والدراسات التابع لوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بدولة قطر:

الدوحة ص.ب ٨٩٣
هاتف ٣٢٤٥٨٤ فاكس ٤٤٧٠٢٢

إيضاحات

تعتذر المجلة سلفاً من عدم تقديم اشتراكات مجانية، ومن عدم التجاوب مع طلبات الحصول على إصدارات أخرى (كتب ومجلات) لاعلاقة لها بها.

المسائل الشخصية كطلب وظائف أو مساعدات مالية أو إعانة على زواج، أو ماشابه ذلك والتعارف بين هواة المراسلة، ليست من اختصاصات المجلة ولا اهتماماتها، ومن حقها عدم الالتفات إلى رسائل تختص بهذه الأمور أو الرد عليها.

يتعذر على المجلة الرد الشخصي البريدي على جميع القراء الذين يراسلونها وذلك لكثرة الرسائل، وتكتفي بالرد عليهم من خلال «ردود خاصة»، أو بنشر مشاركاتهم في الصفحات المخصصة لذلك.

الرسائل ذات العلاقة بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية أو بأي نوع من خدماته، يُرجى توجيهها إليه مباشرة على عنوانه: ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ المملكة العربية السعودية.

عند مراسلة الصفحات المخصصة للقراء (مناقشات وتعليقات، بريد، المسابقة، تباشير، ردود خاصة - بما في ذلك زواياها الجديدة: بين القارئ والقارئ، عناوين) يرجى ذكر اسم الباب أو الزاوية على المظروف، مع شكرنا للجميع.

www.ahlaltareekh.com

الدر الفريد وبيت القصيد



فقد اطلعت على ما نشر في مجلة الفيصل الغراء بعددها رقم ٢٥٩ الصادر في محرم ١٤١٩هـ، مايو ١٩٩٨م، عن مخطوط «الدر الفريد وبيت القصيد» تأليف محمد بن أيدمر، ويحث كاتب المقال المهتمين بأدب العرب وشعرهم أن يقوموا على خدمة هذا السفر العظيم، وتحقيقه علميًا، ويحث مجامع اللغة العربية والمراكز العلمية في الجامعات وغيرها على تبني هذا العمل.

إن كتاب «الدر الفريد وبيت القصيد» أصل مهم من أصول شعرنا العربي حتى بداية القرن الثامن الهجري، إذ اشتمل على آلاف الأبيات لشعراء من مختلف العصور، معروفين ومجهولين، ويعد هذا الكتاب مصدرًا مهمًا من مصادر توثيق الشعر العربي، إذ ينفرد برواية أبيات من الشعر لم ترد في المصادر التي بين أيدينا، ويتصل بذلك نسبة كثير من الأبيات إلى قائليها.

ولهذا الكتاب قيمة كبيرة وأهمية عظيمة، لأنه وصل إلينا بجميع أجزائه بخط المؤلف نفسه. وقد تناول أيضًا مسائل كثيرة في النحو والصرف واللغة، وروى بعض القصائد كاملة إذ لا نجدها كاملة إلا في هذا الكتاب، وقد ذكر المؤلف قصصًا وحكايات كثيرة لا نجد بعضها إلاّ في هذا الكتاب أيضًا.

وتزداد القيمة العلمية لهذا الكتاب حين نعلم أنه اعتمد على مصادر ما تزال مفقودة حتى الآن، ويعتمد صاحب الكتاب على دواوين ومصادر شعرية لم تصل إلينا، إذ يورد كثيرًا من الأبيات والمقطوعات والقصائد لم ترد في دواوين أصحابها، وهي لشعراء من مختلف العصور مثل: الأعشى. وحسان بن ثابت، وأشجع السلمي والبحتري، وخالد بن يزيد، وابن الرومي، ورؤبة، والسري الرّفاء، الصّمة بن عبدالله القشيري، وعبدالله بن الزبير الأسدي، وعلى بن الجهم .. وغيرهم.

وأود أن أشير إلى أنني أقوم على تحقيق هذا الكتاب منذ أكثر من ست سنوات، وقد صدر منه مقدمته وهي تقع في قسمين في أكثر من خمسين وثمانمئة صفحة، كما أصدرت دراسة مستقلة لهذه المقدمة في كتاب بعنوان «قواعد الشعر وقوانينه عند آيدمر» وذلك في عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ونشرت جريدة البلاد السعودية عرضًا وتحليلاً لهذه المقدمة بتاريخ ١٠/صفر/١٤١٩هـ في ملحق «التراث»، وسيصدر الجزء الأول من كتاب «الدر الفريد وبيت القصيد» محققًا تحقيقًا علميًا سليمًا قريبًا إن شاء الله تعالى.

هذا ما أردت توضيحه وشكرًا لكم على اهتمامكم بالتراث الذي هو جزء من كيان أمتنا، وإحياء هذا التراث واجب يقع على عواتق علماء أمتنا الذين لا يألون جهدًا في تحقيقه، وإخراجه ليكون بين أيدي الناس مصدرًا مهمًا من مصادر العلم والثقافة والمعرفة، وعلى الخصوص في هذه الأيام التي شهدت بعض الأقلام التي استسلمت للحضارة المادية، وسلمت لها بكل شيء حتى بالشعر والأدب، كما حاولت فصلنا عن ماضينا بمحاولة طمس معالم حضارتنا العربية الإسلامية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

د. مصطفى حسين عناية
أبها - ص.ب ١١٨٣

دحض نظرية داروين



أطل على العالم عصر أكثر بشاعة وأشد ظلامًا من عصور الشرك والوثنية الماضية، ألا وهو عصر الإلحاد البغيض، «وفي الإمكان أن نؤرخ لبداية هذا العصر من أوائل القرن التاسع عشر تقريبًا، ويستمر حتى نهاية السياسة الماكرة الخبيثة التي تحيط بإنسان اليوم»(١).

ولإضفاء الصيغة العلمية على فلسفة

www.ahlaltareekh.com

هذا العصر فقد وُضعت له نظريات عديدة انبرى أناس يدعون للاقتناع بها ويدافعون عنها ويجزمون بأنها حقائق لا تقبل الشك، ومنها: نظريات الاشتراكية والغريزة الجنسية .. إلخ.

ولكن تبقى أكثرها شهرة ودعمًا «نظرته التطور» لتشارلز داروين على الرغم من أنها أكثر هذه النظريات هشاشة وقربًا إلى عدم تصديقها والاقتناع بمحتواها!

«هذه النظرية شغلت العالم ولا تزال تشغله، ذلك لأنها نظرية تريد تقديم تفسير لأصل الإنسان بل لأصل الحياة ونشأتها على سطح الأرض»(٢).

ولست هنا بصدد مناقشة بنود النظرية ومحتواها من ناحية علمية، ولكن تجاوبًا مع ما كتبه الأخ حسن حسين المهنا في عددي الفيصل رقم ٢٥٩ بعنوان «الوجه الآخر للعلوم والتقنية» ورقم ٢٦٢ بعنوان «نظرية داروين: جاهلية العلم»، فإنني أود أن أسجّل هذه النقاط:

ـ من الأسس التي تقوم عليها نظرية داروين: المصادفة، وهذا الأساس يُظهر جهلاً مطبقًا بالرياضيات والاحتمالات تحديدًا، فلو أردنا سحب عشر أوراق من ١ إلى ١٠ حسب تسلسلها وذلك عشوائيًا لكانت نسبة ظهور الأوراق بالتسلسل من ضمن المحاولات العشوائية هي ١:١٠ أي ١ إلى عشرة مليارات(٣) بمعنى أننا نحتاج إلى ١٥٠٠ سنة من المحاولات إذا كنا نجري السحب كل خمس ثوان! وهنا نود التذكير أن أكبر تقدير لعمر الأرض لا يتعدى أربعة مليارات سنة.

والغرض من هذا المثال هو إيضاح كيف تتكاثر الأعداد بشكل هائل ضد المصادفة، لذلك لا بد أن يكون في الطبيعة نوع من التوجيه السديد، ولابد أن يكون هناك هدف»(٤).

ولنسمُ عاليًا إلى القرآن الكريم لنجد قوله تعالى: وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرعٌ ونخيلٌ صنوانٌ وغيرُ صنوان يُسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكُل إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون. الرعد:٤.

وقوله تعالى: *هو الذي أنزل من السماء ماءً لكم منه شرابٌ ومنه شجر فيه تُسيمون. يُنبت لكم به الزرعَ والزيتونَ والنخيلَ والأعنابَ ومن كلِّ الثمرات إن في ذلك لآيةً لقوم يتفكّرون.* **النحل**:١٠ ـ ١١.

وقوله تعالى: ألمْ ترَ أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فأخرجنا به ثمرات مختلفًا ألوانُها ومن الجبال جُددٌ بيضٌ وحُمرٌ مختلفٌ ألوانُها وغرابيب سود ومن الناس والدّوابِّ والأنعام مختلف ألوانُهُ كذلك إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ. فاطر:٢٧ ـ ٢٨.

هكذا يسوق القرآن الحجة البالغة على وجود الله سبحانه وتعالى وقدرته بمختلف الآيات الدالة على أن هذا الكون والتكوين أثر من آثار القصد والإرادة والحكمة لا من أثر المصادفة العمياء(٥).

وعودًا على هشاشة الأساس الرياضي في نظرية داروين بخصوص المصادفة نجد أن داروين يعترف في رسالة لأحد طلابه بقوله: «إن قابليتي محدودة في مجال الفكر المجرد والتأمل الطويل، لذا لم أوفق أبدًا في الرياضيات والعلوم الميتافيزيقية»(٦).

ـ الأساس الهش الثاني للنظرية هو مبدأ «الانتخاب الطبيعي» فعندما تُفحم من يناقشك في مبدأ المصادفة يُحيلك إلى الانتخاب الطبيعي، وتلقائيًا إلى البقاء للأصلح. (ظلماتٌ بعضُها فوقَ بعض)! وهنا تبرز فضيحة التزوير الشهيرة في موضوع «إنسان بلتداون بصفتها واحدة من محاولات ردم الهوة بين الإنسان والقرد، محافظةً على مبدأ الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح.

ـ الخلية الأولى التي نشأت منها الحياة استقر رأي الداروينيين على أنها هبطت من الفضاء الخارجي بعد فشل جميع التلفيقات الموضوعة لذلك علميًا، وفي ذلك ما فيه من تجاهل فاضح لما هو ثابت علميًا «من أن الإشعاع الكوني الذي يملأ الفضاء لا يدع مجالاً ولا فرصة للحياة في الفضاء»(٧).

ـ مما يدعو إلى أشد العجب أنه في أنواع الحياة الحيوانية التي لا تحصى لسنا نجد أي مظهر للعقل، ولكننا نجد الغرائز وحدها حتى نصل إلى الإنسان، فنراه استأثر بالعقل وحده، إن أي حيوان لم يسجّل لنفسه قدرة على تربيع حجر، أو العد من واحد إلى عشرة أو فهم معنى عشرة»(٨).

وهنا مرة أخرى أسمو شاهقًا عن هذه المستنقعات الآسنة لأقف عند قوله تعالى: لقد خلَقْنا الإنسانَ في أحسن تقويم. التين:٤. وقوله تعالى: *اقرأ باسم ربّك الذي خلق. خلق الإنسانَ من علق. اقرأ وربُّك الأكرمُ. الذي علّم بالقلم. علّم الإنسان ما لم يعلمْ.* **العلق**: ١ ـ ٥.

ـ إذا كانت هذه النظرية بهذه الهشاشة العلمية، فلماذا تصمد؟ إذن فهناك أمر آخر لا علاقة له بالعلم يدفع أنصار هذه النظرية لإقناع الناس بها بأي ثمن وأي وسيلة، وإن كان عن طريق جعل العلم أداة للتزوير والغش(٩)، وهذا الأمر لا يتعدى كون هذه النظرية بديلاً لفكرة الخلق والخالق، وبذلك «خرجت من كونها مجرد نظرية وتحولت إلى أيديولوجية لدى مؤيديها»(١٠) ثم أصبحت حربًا حاقدة على الأديان السماوية، مما يرجعنا إلى ارتباطها بعصر الإلحاد المذكور.

ـ إذا كان بعض المسلمين يدعو إلى الاحتفال بمنجزات العلوم والتقنية، فينبغي وجود النظرة الفاحصة لما يأتي من الخارج وعدم النظرة إليه على أنه كلٌّ متكامل لا

www.ahlaltareekh.com

يقبل التجزئة، بل ينبغي استبعاد ما لا يتفق أبداً مع فلسفة الإسلام في الكون والحياة والإنسان، خصوصًا ما يمكن إدراجه تحت الخداع العلمي! لأنه ببساطة مناف للواقع والعلم الصحيح.

ـ من كلمة مركز أبحاث «بني آسيا» إستانبول ـ كتبها: أميد شمشك: «إن العلم لايمكن أن يكون حياديًا بين الدين والإلحاد! إن قيام المدرس أو الكتاب المدرسي بذكر أن الكون مخلوق من قبل الله، لا يشكّل تدخلاً في ضمير أي شخص، أو ضغطًا عليه، ولكن القيام بمحاولة تفسير الطبيعة بالمصادفات العمياء، إنما هو الذي يشكل حربًا ضد عقيدة كل أفراد هذه الأمة. وقد بدأنا كافة ندفع الثمن غاليًا نتائج هذه الحرب الحاقدة، إذ نحاول أن نسد الفراغ الذي نتج عن زوال خشية الله من أدمغة الجيل وضمائرهم، بزيادة رجال الشرطة في الشوارع»(١١).

ـ أعجب من وجود قصة للأطفال في مكتباتنا بعنوان «داروين ورحلة العجائب»(*) تصاغ بأسلوب أدبي وحبكة قصصية مؤثرة تشجّع على الاقتناع بالنظرية ثم تشير إلى أن ذلك ربما كان كذبًا في آخر القصة!.

ـ هل من إرهاق لا يحتمله الطالب في كليات الدعوة والعقيدة في دراسة ساعة أوساعتين من متطلبات الجامعة في أساسيات عمل الأحياء والخلية والوراثة.. تُضاف إلى أسلحته العلمية التي يجاهد بها في الدعوة إلى دين الله، ورد كل شبهة؟

الهوامش:

١ـ محمد تقي الأميني، عصر الإلحاد خلفيته التاريخية وبداية نهايته، ترجمة د. مقتدي ياسين، دار الصحوة، القاهرة، ص١١٧.
٢ـ شمس الدين آق بلوت، دارون ونظرية التطور، ترجمة أورخان محمد علي، دار الوثائق ، الكويت، ص٥.
٣ـ المرجع السابق، ص١٠.
٤ـ كريسي موريسون، العلم يدعو إلى الإيمان، ترجمة محمود صالح الفلكي: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ص٥١.
٥ـ محسن جهز أبو عقال، خطوات إلى اليقين، الدار السعودية، جدة، ص٩٣.
٦ـ شمس الدين آق بلوت، مرجع سابق، ص١٥.
٧ـ المرجع السابق،ص٩.
٨ـ كريسي موريسون، المرجع السابق، ص١٢٩.
٩ـ شمس الدين آق بلوت، مرجع سابق، ص٦.
١٠ـ المرجع نفسه، ص٦.
١١ـ المرجع نفسه، ص١٠٩.
* القصة المذكورة «داروين ورحلة العجائب» تأليف محمد فتحي صبري، دار الفكر العربي، القاهرة.

محمد فالح مبروك الجهني
ص.ب ٦١٠٣ ـ المدينة المنورة
المملكة العربية السعودية

تعليقًا على طريق الهدى:
الأحاديث النبوية وروايتها

نشكر القائمين على مجلة الفيصل الغرّاء لما تقدمه للقارئ العربي من زاد ثقافي قيم، ووفقكم الله لما فيه الخير. اسمحوا لي بهذا التعقيب على باب «طريق الهدى» عسى أن يكون منه الفائدة إن شاء الله.

إن من خصوصيات هذه الأمة الإسلامية عنايتها الفريدة برواية الحديث النبوي وحفظه، ولقد حاز حديث النبي صلى الله عليه وسلم من الوقاية والمحافظة ما لم يكن لحديث نبي من الأنبياء قط.

لكن الخصوصية الكبرى لهذه الأمة في نقلها للحديث النبوي، وعنايتها العظمى بصيانة الحديث من التحريف فيه والدخيل عليه، وذلك بما توصلت إليه من قوانين للرواية، حتى كان علم النقد التاريخي الحديث مدينًا للمسلمين.

من هنا، فإن من الواجب على المسلم أن يدقق مليًا في الحكم على حديث من أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم بالرجوع إلى العلماء الأفاضل وكتب الفقهاء المعتمدة، وكان من الحق على ذوي العلم أن يبيّنوا الأحاديث المفتريات، ويعرّفوا الناس الصحيح والمكذوب لتصفو ثقافتهم الدينية من الشوائب الدخيلة على الدين.لذلك فإن فضيلة الشيخ الدكتور صالح اللحيدان في أثناء رده على أسئلة القراء في مدى صحة عدد من الأحاديث النبوية الشريفة لا يعطينا جوابًا كافيًا شافيًا، وربما يكون مغلوطًا، في بعض الأحيان، وجلّ من لا يخطئ. وبالعودة إلى العدد «٢٥٧» يمكننا التعقيب على عدد من هذه الأحاديث ففيها الفائدة إن شاء الله تعالى: يقول فضيلته عن حديث «ذهب الظمأ وابتلت العروق» لم يصح حسب علمي. ولو عدنا إلى هذا الحديث الشريف لوجدناه من الدعاء المأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم يدعوه المسلم عقب الإفطار بأن يقول: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت وعليك توكلت، وبك آمنت، ذهب الظمأ، وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى. يا واسع الفضل اغفر لي». فقوله: «اللهم لك صمت، وعلى رزقك أفطرت» رواه أبو داود مرسلاً. وروى أيضًا «ذهب الظمأ.. إلخ».

وروى الدارقطني من حديث أنس وابن عباس: أن النبي صلى الله وعليه

www.ahlaltareekh.com

وسلم قال: «اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت، فتقبل منا إنك أنت السميع العليم» وروى الدارقطني عن ابن عمر «ذهب الظمأ.. » الحديث.

أما قوله عليه الصلاة والسلام «أبغض الحلال عند الله الطلاق» الذي يشير فضيلته إلى ضعفه الشديد، فالحديث رواه أبو داود و ابن ماجة بإسناد صحيح، والحاكم وصحّحه عن ابن عمر «نيل الأوطار ٦/٢٢٠» وحول الحديث الشريف القائل «خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء» فبداية نقول إن الحميراء تصغير حمراء بمعنى بيضاء اللون مُشرب بياضها بحمرة، والعرب تسمي الرجل الأبيض أحمر. وأهل نجد لا يزالون يقولون عن أبيض اللون أحمر، والمرأة: حمراء، وكانت السيدة عائشة رضي الله عنها بيضاء اللون مُشربًا بياضها بحمرة، وهي المقصودة بالحميراء هنا، وهو تصغير محبب.

يقول الإمام بن القيم الجوزية في كتابه «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» الفصل١١: وكل حديث فيه «يا حميراء» أو ذكر الحميراء مختلق، ثم يعلق الدكتور عبدالفتاح أبو غدة - رحمه الله - محقق الكتاب قائلاً: هذه الكلية غير مسلمة، فقد صحت ثلاثة أحاديث جاء فيها ذكر الحميراء. قال الإمام بدر الدين الزركشي في كتابه «الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة» ص٦١ - ٦٢، في أثناء تعداد خصائصها رضي الله عنها:

«السابعة والعشرون» جاء في حقها: «خذوا شطر دينكم عن الحميراء» وسألت شيخنا الحافظ عماد الدين بن كثير- رحمه الله - عن ذلك، فقال كان شيخنا حافظ الدين أبو الحجاج المزّي رحمه الله تعالى يقول: كلّ حديث فيه ذكر الحميراء باطل إلا حديثًا في الصوم في «سنن النسائي». قلت: القائل ابن كثير - وحديثًا آخر في «سنن النسائي» أيضًا عن أم سلمة قال: قالت عائشة: دخل المسجد والحبشة يلعبون فقال لي: يا حُميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟ وإسناده صحيح.

وروى الحاكم في «مستدركه» ٣: ١١٩ حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت:

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم خروج بعض أمهات المؤمنين، فضحكت عائشة فقال انظري يا حُميراء ألاّ تكوني أنت، ثم التفت إلى علي وقال: إن وُلّيتَ من أمرها شيئًا فارفق بها.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين. ولم يخرجاه. وقال الذهبي: عبدالجبار لم يخرجا له».

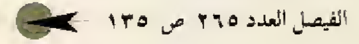
قال العلامة الزرقاني في «شرح المواهب اللدنية» ٧: ٢٥٧ بعد ذكر القسطلاني حديث أم سلمة هذا من رواية الحاكم والبيهقي: «حديث صحيح فيه: حميراء، فيردّ به على زعم أنّ كل حديث فيه ذلك موضوع» انتهى.

ويقصد الزرقاني بالزاعم المشار إليه المؤلف الشيخ ابن القيم رحمه الله تعالى.

ونعرّج أخيرًا على حديث «من حج فلم يزرني فقد جفاني» ولعل الدكتور اللحيدان تشدّد بقوله «ولعل واضعه قبوري جاهل» فنقول - وبالله التوفيق - إن الصحابة الكرام والتابعين لهم بإحسان والسلف الصالح، وعامة المسلمين من بعدهم دأبوا على زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وبذل الجهد لبلوغها واستحبابها لأنها من أهم القربات وأرجى الطاعات. ويدل على ذلك ما ثبت من استحباب زيارة القبور عامة بقوله عليه الصلاة والسلام: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها»، وبفعله عليه الصلاة والسلام إذ كان يزور البقيع بين حين وآخر، ولاشك أن الاستحباب يتضاعف إذا كان القبر قبر النبي صلى الله عليه وسلم، كما يدل على ذلك جملة أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم لمعاذ عندما أرسله إلى اليمن: «يا معاذ عسى ألاّ تلقاني بعد عامي هذا، ولعلك أن تمر بمسجدي هذا وقبري» رواه أحمد بسند صحيح، وكلمة «لعلك» في الحديث بمعنى الحض والطلب. وقال صلى الله عليه وسلم «من وجد سعة ولم يفد إليّ فقد جفاني» أخرجه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك، وابن حبان في الضعفاء، والخطيب في الرواة عن مالك في حديث ابن عمر «من حج ولم يزرني فقد جفاني» والحاصل أن أحاديث الزيارة لها طرق كثيرة يقوي بعضها بعضًا، كما نقله المناوي عن الحافظ الذهبي في فيض القدير (ج٦، ص١٤٠)، خصوصًا أن بعض العلماء صححها أو نقل تصحيحها كالسبكي وابن السكن والعراقي والقاضي عياض في «الشفاء» والملاعلي قاري شارحه والخفاجي كذلك في «نسيم الرياض» (ج٣، ص٥١١) وكلهم من حفاظ الحديث وأئمته المعتمدين. ويكفي أن الأئمة الأربعة رضي الله عنهم وغيرهم من فحول العلماء وأركان الدين قالوا بمشروعية زيارة النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله عنهم أصحابهم في كتب الفقه المعتمدة. وهذا كاف منهم في تصحيح أحاديث الزيارة وقبولها لأن الحديث الضعيف يتأيد بالعمل والفتوى، كما هو معروف من قواعد الأصوليين والمحدّثين.

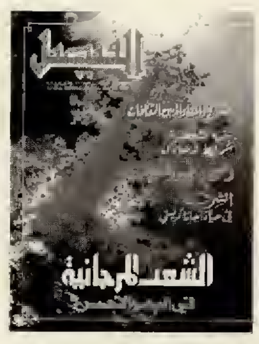
وبعد، فهذا ما تيسر لنا كتابته، فإن كان صوابًا فالحمد لله، وإن كان غير ذلك فإنني بشر أصيب وأخطئ، وكل منا يؤخذ منه ويرد عليه إلا السيد المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى. وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين

فاروق شاهر النفوري
النبك - ص.ب (١١٣) - سورية

www.ahlaltareekh.com

أدباء أطباء وأدب الأمثال



رسالتي إلى «الفيصل» الغراء تأتي تعقيباً على دائرة المعارف التي أعدها الأستاذ خليل محمود الصمادي تحت عنوان «أدباء أطباء» وذلك في العددين رقمي ٢٤٥، ٢٤٦ الصادرين في شهري ذي القعدة، وذي الحجة ١٤١٧هـ.

فالأستاذ الصمادي ذكر نماذج للأدباءالأطباء، ولكنه فاته بعض الشخصيات المهمة في عالم الأدب والطب، وأذكر منهم شخصية تخرجت في كلية الطب وعملت بالأدب والثقافة، وهي شخصية الأستاذ الدكتور حسين فوزي.

والدكتور حسين فوزي شخصية أغنت الحياة الأدبية والثقافية بكثير من جلائل الأعمال، حيث كان الرجل من هواة الرحلات، وجاب كثيراً من بلدان العالم، فجمع مشاهداته في أعمال، منها: «حسين فوزي - سندباد مصري - جولات في رحاب التاريخ» الذي صدر في عام ١٩٣٥م.

ولد حسين فوزي في مدينة الإسكندرية في ١١ يوليو/تموز ١٩٠٠م وحصل على بكالوريوس الطب، ثم ليسانس العلوم من جامعة السوربون، ودبلوم الدراسات العليا في الأحياء المائية من جامعة تولوز.

وعندما أنشئت جامعة الإسكندرية «جامعة فاروق الأول» حيث كانت تسمى، عام ١٩٤٢م عيّن أول عميد لكلية العلوم بها ثم مديراً لها عام ١٩٥٤م. وفي عام ١٩٦٥- ١٩٦٨م عيّن مديراً لأكاديمية الفنون، وفي عام ١٩٦٨م انتخب رئيساً للمجمع العلمي المصري.

ثم بعد ذلك بدأ كتاباته الصحفية، إذ كان أحد كتاب صحيفة الأهرام القاهرية، وظل يمارس فيها الكتابة حتى تاريخ وفاته. وبدأ دراساته لعالم البحار منذ عام ١٩٢٣م.

وكان ضمن الرحلة العلمية للسفينة «مباحث» التي طافت المحيط الهندي، ومن دراساته لعالم البحار ورحلاته عبر البحار ألف كتابه الشهير المذكور آنفاً.

ألف عشرات المؤلفات في الرحلات والإبداع ومنها: سندباد عصري يعود إلى الهند، وحديث السندباد القديم، وسندباد في رحلة الحياة، وسندباد في سيارة.

كان المرحوم حسين فوزي من هواة الموسيقى، وكان يجيد العزف على بعض الآلات، وكان يعشق الموسيقى الغربية، وأنشأ البرنامج الثاني في إذاعة القاهرة، ومنح جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٦٥م. وانتهت حياة هذا السندباد الذي كان يعشق الرحلات حيث جال وصال في البحار في جميع أنحاء العالم في عام ١٩٨٨م. رحم الله د. حسين فوزي.. الطبيب الأديب الرحالة العاشق لحياة البحار رحمة واسعة.

وفي العدد ٢٢١ كنت قد طالعت مقالة بعنوان «من أدب الأمثال» للدكتور ماجد أحمد المومني، الذي كنت أرجوه أن يعطي القارئ فكرة في عجالة قصيرة عن نبذة تاريخية عن المثل وكيف تم جمعه، وكتّاب الأمثال في القديم.

وهو قد تناول تقسيماً للمثل إلى واقعي وفرضي، ولكنّ هناك تقسيماً آخر أورده حتى تتم الفائدة على النحو التالي: المثل القولي، والمثل الأصيل (الشعبي)، والمثل الكتابي، والمثل المولّد.

إن الأمثال كما هو معروف - مرآة كل قوم - تصف أخلاقهم وعاداتهم وشاهد عدل على حالة لغتهم.

وقد عُني علماء اللغة بجمع الأمثال والتأليف فيها - وكانوا يجوبون البادية لالتقاط الأمثال والاستعانة بها على فهم دقائق اللغة العربية وغيرها، فكانت الأمثال عوناً على معرفة الشخصيات والتواريخ والوقائع التي جاءت بها الأشعار والأراجيز.

وكذلك فإن الأمثال هي من أدب العرب ومرآة حقيقية تتجلى فيها صور الأمم، وماعليها من أخلاق وعادات. وإن الأمة لا ترقى إلى العمران، أو تتألف لها لغة، إلا وهي تنطق بالأمثال لأنها غرس الحكمة، وثبت الخبرة، ومقياس الأدب.

وقد تصل صور الكلام إلى أعلى مثل في البلاغة فيؤثر فيها ما يعلق بالضمائر لنفاسته، وتعيه الأسماع للطف مدخله، ويتصل بالقلب لرقته، فسهل حفظ تلك الأمثال، كما سهل انتشارها. وليس في الكلام ماهو أوقع في الأسماع وأشد تأثيراً في النفوس من الأمثال التي بقيت على مر الأيام والتاريخ. فإذا تناول المثل معنى يدل على المدح كان برداً وسلاماً على السامع أو القارئ لهذا المثل، وإذا كان يحتوي نقيصة أو رذيلة معينة فيعمل الإنسان على تفاديها أو الوقوع فيها. كالمثل الذي تناوله بيت الشعر التالي:

وعَدْتَ وكان الخُلفُ فيك سجيّةً
مواعيدَ عُرقُوب أخاه بيثربا

وهو في خلف الوعد. فيقولون مواعيد عرقوب إذا أعطى فلان شخصاً ميعاداً معيناً ثم خالفه ولم يأته أو لم يحضره بالميعاد المضروب. ولا شك أن خلف الوعد يعدّ صفة ذميمة في الشخص الذي لم يتعود الوفاء بالعهود.. وهو في الوقت نفسه يعمل على تسليح الإنسان بالقيمة الأدبية والأخلاقية.

هذا وقد ألّف في الأمثال جمهرة كبيرة من العلماء والأدباء أمثال عُبيد بن شَريّة الجُرهمي (ت:نحو:٦٧هـ)، وأبي عمرو بن العلاء (ت:١٥٤هـ)، ويونس بن حبيب (ت:١٨٢هـ)، والنّضر بن شُمَيْل (ت:٢٠٣هـ).. وجميع مصنفاتهم مفقودة.

وأقدم الكتب التي وصلت إلينا في الأمثال العربية، أمثال العرب للمفضل بن محمد الضبي - صاحب المفضليات (نحو: ١٧٠هـ). وكتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبّي (المتوفى عام ٣٥٠هـ) وبالطبع فهو غير الكتاب السابق لبعد الزمان بين الكتابين والمؤلفين.

هذه مقدمة كان من المفروض أن أقدم بها للتعليق على مقال الدكتور ماجد أحمد المومني، مع شكرنا وعظيم تقديرنا وامتناننا لما ساقه في هذا المقال من التعريف بالأمثال والتركيز على المثل في القرآن الكريم والحديث النبوي.

ونأتي إلى التقسيم الذي أوردناه من قبل وهو تقسيم المثل إلى:

www.ahlaltareekh.com

أ- قولي ب- أصيل أي شعبي. ج- كتابي. د- مولّد.

وسنتناول كلاً منها في عُجالة وجيزة:

- المثل القولي: أُطلق المثل القولي في الاصطلاح القديم على فنون من التعبير بعضها موجز وبعضها مطول. أطلقوه على الكلمة الموجزة التي اكتسبت صفة الشيوع والشهرة بين الناس. وأطلقوه أيضًا على القطعة الأدبية التي قد تبلغ الفقرة والفقرتين من الكلام والتي تقص نبوءة من النبوءات أو تنزع منزع الأنشودة الشعرية.

وأُطلق المثل على العبارة الموجزة المعبِّرة عن رأي الشعب أو اتجاهه.

- المثل الأصيل أو الشعبي: إن الأمثال الشعبية هي الأمثال التي تنبعث من صميم الشعب - إذا تأملناها وجدنا أنها قديمًا كانت تمت إلى السلطة الحاكمة بسبب ما؛ فمنها ما شاع في مجالس الحكام من أصحاب السلطة الحاكمة. وهذه وأشباهها اشتهرت حتى وصلت إلى مسامع الخاصة من الحكماء ورجال الدين وغيرهم من الزعماء. ويبدو أن احتكار فن الكتابة والتدوين في العصور القديمة لم يتح لكثير من الأمثال الشعبية أن تظهر على مسرح التاريخ المدون المكتوب؛ فقد كانت الكتابة وقفًا على طبقة خاصة من الناس؛ لهذا كانت أصوات الشعب التي تعبر عنها الأمثال والتي وصلت إلينا من مصر وبابل والعبرانية القديمة قليلة قلة ظاهرة، ومع ذلك فإذا رجعنا إلى أمثال العرب التي ذكرها المفضل الضبّي، وهي من أقدم ما وصل إلينا منها، وجدنا أن كثيراً منها قد شاع في مجالس ملوك الحيرة وشيوخ القبائل. وهي تفسر في معظمها الأمثال الشعبية القديمة.

من ذلك كله نجد أن المثل بأشكاله المختلفة قد نشأ في بادئ الأمر ليكون لقبًا خاصًا على بعض العبارات والصور المجازية التي صدرت عن الحكام أنفسهم أو لقيت قبولاً أو شهرة في مجالسهم.

والألفة الشعبية ركن مهم من أركان المثل الشعبي؛ ولا تأخذ العبارة حكم المثل الشعبي إلا إذا كانت نابعة من الجماهير، أو تكون مقبولة لديهم بحكم أنها حقيقة. فالمثل الشعبي في أعمق معانيه هو صوت الشعب.

فالمثل الأصيل أو الشعبي إذن عبارة لها ماض، تنمو من صميم البيئة، وتنبع من موارد القومية، واستحسانُ الشعب لها هو الذي يمنحها ذلك التأثير العميق، ولو كانت تتضمن معاني زائفة أو مبادئ غير صحيحة أحيانًا.

وفي مصر نجد صدى لهذا الكلام حيث إنه توجد مؤلفات في هذا النوع من الأمثال وعلى رأسها مؤلف المغفور له العلامة المحقق أحمد تيمور باشا والمعنون باسم «الأمثال العامية» - مشروحة ومرتبة على الحرف الأول من المثل؛ وأيضًا كتاب صدر في عام ١٩٣٩م للأستاذة فايقة راغب بك وأهدته إلى روح ابنها الذي فقدته في ريعان شبابه، وغيرها كثير. وهذه الأمثال تمثل وتعبّر عن البيئة المصرية - حيث جاءت مرآة صادقة لهذه البيئة المصرية الخصبة.

ومن ضمن الأمثال التي ذكرها المغفور له أحمد باشا تيمورعلى سبيل المثال: (١٦١)«اعمل بخمسة وحاسب البطّال».. وهو يضرب للحث على العمل ومحاربة البطالة. (١٦٣)«اعمل الطيب وارميه البحر».. وهذا يدل على الحث على فعل الخير حتى ولو كان ضائعًا عند من صنع له. (١٦٦)«أعمى ويَرْجِسْ في النخل».. البرجسة هي السباق بالخيل واللعب بها، والأعمى لا يستطيع ذلك. فإذا حاول ذلك وسط النخل فقد حاول المحال.... الخ.

- المثل الكتابي: يتجلى ذلك في المثل العربي القديم وهو الذي عبر عن اتجاهات العرب الشعبية. وإن الموضوعات التي استمدها من أصول غير عربية لم تلبث أن لبست ثوبًا شعبيًا. وتبناها العرب واتخذوها جزءاً من تراثهم. وإن حركة التدوين التي قامت في العراق، وأدت إلى جمع الأمثال العربية وتسجيلها، قد سارت قدمًا في غمار هذا النشاط الثقافي الذي خلّفه الآراميون والفرس في هذه المنطقة، فالمثل العربي القديم لم يخل من آثار كتابية. ولكنها كانت منحصرة في جانبين:

أحدهما ما قام به الكتابيون الآراميون والفرس من تشجيع لحركة جمع الأمثال وتدوينها. والثاني ما أودعه العرب في أمثالهم من حوادث وأفكار كتابية استمدوها من نصوص مدونة، أو من الأوساط الكتابية، التي تشغل مناطق من شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام.

ومن الأمثلة على المثل الكتابي: المثل القرآني - لأن القرآن الكريم يعدّ أول وثيقة بالعربية الفصحى تصل إلينا سليمة صحيحة، وهو الشاهد الأول على عناية الدعوة الإسلامية بالمثل الكتابي. فهو يؤكد موقف الاعتزاز في بضعة عشر موضعًا. إنه يضرب للناس الأمثال بيانًا وتذكيرًا، وإن ما ضربه الله من الأمثال للناس هو الحق وأحسن تفسيراً - فلا تستوي أمثاله - تعالى - وأمثال الكفار، فأمثال الكفار ضلال وبهتان: وله المثل الأعلى في السموات والأرض(الروم:٢٧).

وقد زخر القرآن الكريم بالأمثال الموجزة والمطولة، وعرض لها العلماء القدماء بالبحث مفرقة ومطولة في المؤلفات الدينية والأدبية، وألف بعضهم في أمثال القرآن، وقد عالج الدكتور الفاضل المثل في القرآن الكريم والحديث النبوي معالجة قيمة ولا يسعنا إلا أن نشكره.

- المثل المولَّد: يرسم هذا المثل خطًا ثالثًا في تاريخ المثل العربي، ولقد أُطلق هذا الاصطلاح على الأفعال التي جرت على ألسنة الناس في العالم الإسلامي. بعد أن ضعف النفوذ العربي منذ نهاية العصر الأموي، ومع ذلك فمن العسير أن نعيّن نقطة لبداية ظهورهذا المثل في الأدب العربي - فليس من شك في أن بواكيره الأولى قديمة ترجع إلى ماقبل الإسلام، وأن الحكمة الكتابية، وهي تراث مشترك، قد سمحت لبعض أمثال الشعوب الشرقية والغربية أن تتسرب إلى العرب القدامى في جزيرتهم.. وينقسم المثل المولّد قسمين:

- قسم يتألف من هذه العبارات التي جاءت من عصر متأخر قياسًا على أمثال عربية قديمة أو اقتباسًا من نصوص عربية سابقة يعرفها أهل اللغة، ومن هذه الأمثال ماجاء أوله على وزن (أفعل).

- أما القسم الثاني من المثل المولّد فهو يتألف من أمثال لم يألفها العرب غالبًا من قبل، فهي جديدة على الطابع العربي القديم في مادتها أو في صيغتها أو في الأمرين جميعًا. وقد أفرد «الميداني» لهذا القسم أبوابًا خاصة وأطلق عليها «أمثال المولّدين».

ومنابع المثل المولّد أتت من التقاء أجناس مختلفة وثقافات متعددة في العالم الإسلامي. هذا ما أردنا أن نضيفه إلى المقال الذي كتبه الدكتور ماجد أحمد المومني حتى تتم الفائدة ويعمّ النفع، ومجلة الفيصل من المجلات الرائدة التي تخاطب علية المثقفين في وطننا العربي وفي غيره من البلاد الإسلامية. فكان لزامًا أن يكتب في هذا التعقيب ماسقناه من إضافات في موضوع المثل.

الهوامش:

١- أحمد تيمور باشا - الأمثال العامية ط٢ - مطابع دار الكتاب العربي.
٢- فايقة راغب بك - حديقة الأمثال العامية ط١٩٣٩م.
٣- الميداني - مجمع الأمثال - منشورات عيسى البابي الحلبي - القاهرة.

إبراهيم عبدالعزيز شرف
جامعة المنصورة - مصر

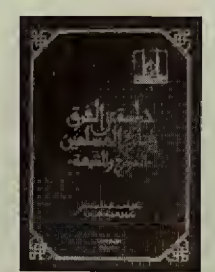
 

www.ahlaltareekh.com

إصدارات
مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية



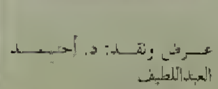


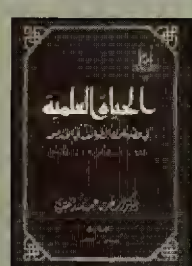











كتاب الأموال لابن زنجويه
تحقيق: شاكر فياض

زخرفة الفضة والمخطوطات عند المسلمين
مركز الملك فيصل

المنهاج الدراسي: أسسه وصلته بالنظرية التربوية الإسلامية
عبدالرحمن صالح

إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين
عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني،
تحقيق: د. عبدالمجيد دياب

نور العيون وجامع الفنون
صلاح الدين يوسف الكحال
تحقيق: د. محمد ظافر الوفائي، ود. محمد قلعجي

وحدة الفن الإسلامي
(معرض) «عربي وإنجليزي»
مركز الملك فيصل

الخط العربي
(معرض) «عربي وإنجليزي»
مركز الملك فيصل

فهرس مخطوطات مركز الملك فيصل (١ - ٧)
مركز الملك فيصل

دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين (الخوارج والشيعة)
د. أحمد محمد جلي

النظرية الخلقية عند ابن تيمية
د. محمد عبدالله عفيفي

الوقف وبنية المكتبة العربية
د. يحيى محمود ساعاتي

فهرس الميكروفيلم
مركز الملك فيصل

كتاب معرض الجهاد في فلسطين وأفغانستان «عربي وإنجليزي»
مركز الملك فيصل

دليل الرسائل الجامعية في المملكة العربية السعودية
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

وقائع «ندوة الملك فيصل والتضامن الإسلامي»
مركز الملك فيصل

محاضرات الموسم الثقافي ١٤٠٦ - ١٤٠٧هـ
مركز الملك فيصل

الأسلحة الإسلامية: السيوف والدروع (معرض) «عربي وإنجليزي»
مركز الملك فيصل

أدب الطبيب للرهاوي
د. مريزن عسيري

السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية
د. مهدي رزق الله

الاستشراق في الأدبيات العربية
د. علي بن إبراهيم النملة

منهج إمام الحرمين في دراسة العقيدة
عرض ونقد: د. أحمد العبداللطيف

الحياة العلمية في عصر ملوك الطوائف في الأندلس
د. سعيد عبدالله البشري

كشف الرين في أحوال العين
تحقيق: د. محمد ظافر الوفائي، ود. محمد رواس قلعجي

الفيصل: مكنز عربي شامل في علوم الحضارة
د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

www.ahlaltareekh.com

للاستفسار أو حجز نسخ من تلك الكتب : هاتف ٤٦٥٢٢٥٥ - فاكس ٤٦٥٩٩٩٣ - ص.ب ٥١٠٤٩ الرياض ١١٥٤٣ - المملكة العربية السعودية